المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة



البحوث والدراسات :

...سدرها قسم التاريخ
...لية الآداب جامعة القاهرة
...د الثالث والعشرون يناير ٢٠٠٠

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري
دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة

العدد
الثالث والعشرون
يناير ٢٠٠٠

محتوى العدد

جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة

العدد
الثالث والعشرون
يناير ٢٠٠٠

البحوث والدراسات

جامعة القاهرة - كلية الآداب

يصدرها قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة

العدد الثالث والعشرون

يناير ٢٠٠٠

قواعد النشر

- ترحب المؤرخ المصرى بنشر الأبحاث والدراسات الأصيلة ذات المستوى الأكاديمى الجاد بعد التحكيم ، فضلا عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة .
- تقبل المؤرخ المصرى للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة على ديسك كمبيوتر وفق برنامج (WORD) مع نسخة مطبوعة على ورق حجم A4 بما فى ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع ، على أن تكتب الهوامش فى نهاية البحث .
- المؤرخ المصرى لا تنشر بحوثا سبق أن نشرت أو معروضة للنشر فى مكان آخر ، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم .
- تحتفظ المؤرخ المصرى لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أيا كان قرار هيئة التحكيم .
- النشر فى المؤرخ المصرى متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية .
- الآراء الواردة بالمؤرخ المصرى تعبر عن وجهة نظر أصحابها .

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري
دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة

العدد
الثالث والعشرون
يناير ٢٠٠٠

المراسـلات : ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور/ **حامد زيان غانم** رئيس التحرير على العنوان التالى : كلية الآداب – جامعة القاهرة (قسم التاريخ) بريد الأورمان – محافظة الجيزة .

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

مع مطلع الألف الثالث لميلاد السيد المسيح عليه السلام ، يسعدنى أن أقدم للقارئ الكريم العدد الثالث والعشرون من مجلة المؤرخ المصرى . وهو أول عدد يصدر فى هذه الألفية الجديدة التى نتمنى من الله العلى القدير أن يجعلها مباركة علينا جميعا .

ويضم هذا العدد مجموعة من البحوث والدراسات التاريخية التى تمثل مختلف عصور التاريخ سواء القديم منها أو الوسيط أو الحديث لنخبة ممتازة من الباحثين والدارسين الذين عملوا على إثراء هذا العدد بفكرهم وخلاصة علمهم .

وقد أثبتت المؤرخ المصرى خلال السنوات الماضية جدارتها بأن تصبح من طليعة المجلات العلمية فى حقل الدراسات التاريخية ، ويتضح ذلك من مختلف المقالات التى نشرت بها حتى الآن ، ومن كثرة ما يرد إليها من دراسات وبحوث من شتى أنحاء العالم العربى .

وبمناسبة إصدار هذا العدد فإننى أقدم خالص شكرى للأخوة الأفاضل الذين شاركوا بجهدهم سواء كانوا محكمين أو باحثين .

ودائما ترحب المؤرخ المصرى بكل الأعمال الجادة والجديدة التى تثرى الدراسات التاريخية فى مختلف العصور التاريخية .

والله من وراء القصد .

رئيس التحرير

أ. د. حامد زيان غانم

البحوث والدراسات

إنتاج الطوب بين الاحتكار الحكومى والإنتاج الحر
فى مصر فى العصر الرومانى
فى ضوء الوثائق البردية

د. إبراهيم عبد العزيز الجندى
كلية الآداب – جامعة عين شمس

استخدم المصريون الطوب على نطاق واسع فى تشييد أبنيتهم الدنيوية منذ أقدم العصور وحتى أيامنا هذه ، وقد كشفت لنا الوثائق البردية والحفائر الأثرية عن استخدام سكان مصر ابان العصر الرومانى للطوب فى بناء منازلهم فى القرى والمدن فقد شاع استخدامهم للطوب اللبن فى القرى بأقاليم مصر المختلفة ، هذا فضلاً عن استخدام القرويين للطوب الأحمر فى بناء منازلهم ، وإن كان بشكل نادر ، بينما استخدم على نطاق واسع فى بناء الآبار والسواقى والخزانات والحمامات ، وتدعيم قواعد المنازل والأماكن المعرضة للرطوبة ، وتمدنا الحفائر بمعلومات قيمة حيث تكشف عن شيوع استخدام الحضريين للطوب الأحمر فى بناء منازلهم فى المدن [١].

وتكشف لنا الحفائر الاثرية أيضا عن معلومات بشأن تباين أنواع وأحجام وأشكال الطوب[٢] ، كما تقدم لنا الوثائق البردية معلومات عن أسعاره[٣] ووصفا للعاملين فيه[٤] وكيفية إنتاجه[٥] وأجورهم[٦] وأحيانا ذكر أنواعه[٧] .

وقد أثارت بردية P.Fay.36=W.Chr316 .من عام ١١١/١١٢م – من قرية كيركيثويوريس Kerkethoeris بقطاع بوليمون بالفيوم – نقاشا بين الباحثين منذ بواكير هذا القرن ، فقد اختلفوا فى مواقفهم و آرائهم بشان

احتكار إنتاج الطوب و بيعه فى مصر ، و سنحاول أن نعرض لآرائهم ووجهات نظرهم فيما يلى:

يرى العلامة **فيلكن** أن الدولة كانت تحتكر إنتاج الطوب وبيعه فى العصر الرومانى و قد استند فى وجهة نظره الى بردية P.Fay 36 =W.Chr.316 و استطرد قائلا "إنه من المرجح أن هذا الاحتكار قد يعود إلى العصر البطلمى ثم امتد إلى العصر الرومانى"(٨) . وقد تبنى هذا الرأى جملة وتفصيلا برنارد بالمى (Bernhard Palme) فى دراسته المسهبة حول *ἀπαιτηταί* بقوله أن صناعة وإنتاج الطوب كانت احتكارا حكوميا(٩). وقدساير بعض الباحثين هذا الرأى وإن اختلفوا معه قليلا فى بعض الاحيان ، ومن بين هؤلاء الباحثين العالم **والاس** إذ يذكر " أن تصنيع الطوب كان من الراجح احتكارا حكوميا فى العصر الرومانى"(١٠) ، بيد أنه عاد فذكر أن صناعة الطوب كانت احتكارا حكوميا فى مديرية أرسينوى (١١) . ومن هؤلاء الباحثين أيضا الباحث **جونسون** الذى يذكر " أن إنتاج الطوب وبيعه كان احتكارا حكوميا " ثم نجده يعود ليذكر فى فقرة أخرى أنه من الثابت أن الدولة قد احتكرت انتاج الطوب فى أرسينوى ثم نجده فى فقرة ثالثة يقول "من المحتمل أن الاحتكار الحكومى كان لإنتاج الطوب الأحمر ، بينما ترك إنتاج الطوب اللبن حرا للأفراد "(١٢) . بيد أن بعض الباحثين قد اكتفى بالقول بأن الدولة كانت تحتكر إنتاج الطوب فى الفيوم ومن بين هؤلاء العالم **لوكرد** Luckhard إ ذ يقول"إن صناعة الطوب كانت احتكاراً حكومياً فى إقليم الفيوم"(١٣) .

ويرى كل من **رايل** (١٤) و **دُرست**(١٥) أن مصر فى العصر الرومانى قد عرفت احتكار الطوب فى بعض المناطق وفى الوقت نفسه عرفت إنتاجه حراً للأفراد .

ويرى **جرنفل وهنت**(١٦) أن هناك قرى بعينها فى الفيوم كان حق إنتاج الطوب وبيعه احتكاراً حكومياً فيها وقد منح هذا الحق لأعلى عطاء فى المزاد العام .

وهكذا نجد أن فريقاً من الباحثين قد قال بأن الإنتــــاج كــان احتكــاراً حكومياً بشكل كامل لمصر كلها وفريق آخر ، وهو الأكثر عدداً ، قد نظــــر إليه على أنه قد وُجد فى مديرية أرسينوى كلها ، بينما نظر إليه أحد البـاحثين على أن الاحتكار كان للطوب الأحمر فقط ، بينما تُرك إنتاج الطــوب اللبــن حراً للأفراد ، وأخيراً فإن هناك من يذكر أن مصر عرفت إنتاجه حرَاً للأفراد كما عرفت الاحتكار الحكومى فى بعض قرى الفيوم . والجديــر بــالذكر أن الباحثين الذين رأوا أن الدولة احتكرت إنتاج الطوب فى مصر كلها ، وأيضــاً من رأى أن الدولة قد احتكرت إنتاج الطوب وبيعه فى الفيوم لم يقدمــوا لنــا أسـباباً وأســانيداً لهــذا الــرأى أو ذاك . وإنما اســتندوا فى آرائهم علــى بردية P. Fay - 36 = W.Chr. 316 وحدها ، وسنحاول فى ضوء ما لدينا مــن وثائق أن نصل إلى الرأى الأصوب أو الأقرب للصواب من البردية ذاتها أولاً ومن برديــات أخــرى ثانيــاً . فإذا حاولنا أن نذكر أهم النقاط فى P. Fay - 36 = W.Chr. 316 فسنجدها تقدم لنا المعلومات الآتية :

١- إن مقدم العطاء قدمه للمشرفين على احتكار صناعة الطوب فى الإقليـــم (ἐπιτηρηταί πλίνθου νομοῦ).

٢- إن مقدم العطاء قدم عرضه لاستئجار حق إنتاج الطوب وبيعه فى قريـــة كيركيثويسيس وعزبها وسهولها εποικιων και πεδιων فقط . "<u>وليـــس الإقليم كله.</u>"

٣- يكون لمقدم العطاء الحق فى تأجير حق الاحتكار لمن يشاء سواء للإنتـاج أو البيع .

٤- إن تأجير حق الاحتكار للإنتاج والبيع كان يتم فى مزادات عامة ويحصل عليه أعلى مزايد مع دفع الرسوم المستحقة .

فى ضوء هذه النقاط من الوثيقة سالفة الذكر ومن وثائق أخرى سيرد ذكرها نلاحظ ما يأتى :

(أ) إن ذكر المشرفين على الاحتكار الحكومى لإنتاج الطوب وبيعه فى الإقليم قد يشير إلى وجود احتكار حكومى فى قرى أخرى من قرى الإقليم، وقد يشير أيضا إلى أن هناك أملاكا حكومية كانت تستخدم لإنتاج الطوب فى بعض القرى خاصة - على الجسور، و الساحات العامة ، والأراضى الفضاء المملوكة للدولة داخل القرى ، والأملاك التى صادرتها الدولة لسبب أو لآخر ، وكان يتم تأجيرها لمقدم أعلى عطاء إذا ما كان هناك إقبال على تأجيرها تحت إشراف هؤلاء المشرفين .

(ب) إن الوثيقة سالفة الذكر تشير إلى إشراف الدولة على إنتاج الطوب وبيعه فى زمام القرية سواء فى القرية نفسها أو فى عزبها وسهولها وهذا يعنى أن الدولة قد تكون قد فرضت قيودا على إنتاج الطوب وبيعه من قبل الأفراد فى أملاكهم الخاصة فى القرية ، وكانت تبيع هذا الحق لأعلى مزايد . وقد يثير هذا تساؤلا : وهو لماذا فرضت الدولة الاحتكار لإنتاج الطوب وبيعه فى هذه القرية ؟ فهل لكونها تقع موقعا وسطا وتعد سوقا رائجة لإنتاج الطوب وبيعه فى المناطق المجاورة ؟ فى الواقع لا نستطيع أن نجيب على هذا التساؤل فى ضوء معلوماتنا الحالية وقد تكشف الوثائق غير المنشورة فى المستقبل عن إجابة لهذا التساؤل . ومع ذلك يمكننا أن نقدم التفسير الآتى :

لما كان الرومان أصحاب عقلية عملية وواقعية فإن إدارتهم فى مصر حيثما وجدت الاحتكار الحكومى باهظ النفقات قليل الارباح فإنها تتنازل عنه للأهالى ، فكانت الحكومة تحتكر بعض الصناعات مثل استخراج الملح والمعادن ... الخ ، بينما تركت صناعات أخرى لنشاط الأفراد مثل صناعة الزيت والنبيذ واكتفت بفرض الضرائب على الإنتاج [١٧] ، ومن ثم يبدو لنا

أن الإدارة الرومانية لمصر قد وجدت أن إنتاج الطوب وبيعه في القرية وزمامها يعد أمرا مربحا، فاحتكرته لنفسها ، بينما تركت الإنتاج والبيع حرا للأفراد فى مناطق أخرى نظير أن تحصل على الضرائب المستحقة لها من القائمين على الإنتاج . و هذه صورة جلية تكشف عن أن صوالح الدولة فوق صوالح الأفراد، بل يكشف الامر هنا أن احتكار الدولة كان احتكارا جزئيا لصناعة الطوب .

(حـ) تكشف لنا وثائق أخرى عن أن الرومان والبطالمة من قبل على ما يبدو قد لجأوا إلى أساليب أخرى لاستغلال ممتلكاتهم العامة فى إنتاج الطوب ومنها تحصيل مستحقات الدولة من المستفيدين نظير حق استخدام أملاكها أحيانا إذ تكشف لنا بردية SPP XXII 35 من عام ٥٠ م. من قرية سوكنوبايونيسوس عن أن الدولة كانت تحصل على مستحقاتها العامة ($\delta\eta\mu\acute{o}\sigma\iota\alpha$) من صناعة الطوب فى الساحة الخاصة خارج القرية . فنجد فى هذه الوثيقة أن اثنين من صانعى الطوب قد تعاقدا على توريد ٦٥ ألف طوبة ، وأنهما قد تسلما ثمن الطوب ، على أن يقوما بتصنيعه فى ساحة إنتاج الطوب الخاصة بالقرية ، ويتعهدان بالبقاء مع المتعاقد لصنع الاعداد سالفة الذكر من الطوب ولمدة عام ، وعلى أن يعملا بجد وألا يتغيبا يوما واحدا عن العمل فى تصنيع الطوب لحسابه ، وإذا ما تغيبا فإن على كل منهما أن يدفع دراخمتين عن اليوم الواحد إلى أن يكتمل العدد المتفق عليه من الطوب . وعلى المتعاقد المشترى أن يتسلم الكمية فى ساحة ضرب الطوب وعليه تكاليف نقله كما كان عليه أن يدفع المستحقات الحكومية . وتكشف لنا هذه الوثيقة عن الحقائق التالية :

١- أن ساحة إنتاج الطوب كانت خاصة بالقرية أى أنها أملاك عامة .

٢- أن الطرف الثانى فى العقد، وهو المشترى، كان عليه أن يدفع مستحقات الدولة ($\delta\eta\mu\acute{o}\sigma\iota\alpha$) نظير استخدام املاكها وبما فيها على ما يبدو ضريبة

ممارسة الحرفة ($\pi\lambda\iota\nu\vartheta\varepsilon\upsilon\tau\iota\kappa\acute{\eta}$) وكان قدرها درخمتان شهريا للصانع[١٨].

٣- هذه الوثيقة لا تنص على وجود احتكار حكومى لإنتاج الطوب وبيعه إذ يحق للمتعاقد نقله والتصرف فيه ولكن بعد دفع مستحقات الدولة .

٤- إن الوثيقة تنص على ثمن الطوب من قبل المشترى وهذا يعنى أن صانعى الطوب كان عليهما أن يقدما المواد اللازمة لإنتاج الطوب المتعاقد عليه .

وتكشف لنا وثيقة أخرى (P. Hamb. 12 عام ٢٠٩ / ٢١٠ م.) [١٩] من إحدى قرى الفيوم ، أن الدولة كانت تؤجر بعض أراضيها لإنتاج الطوب لفترات طويلة وهذه الوثيقة تحتوى على تقرير لفحص قسم من أراضى القرية الضعيفة الإنتاج ومساحة هذا القسم ٢١٣, ٠٦٣ أرورة تزرع حبوبا وكان إيجارها السنوى ١٨٨ , ٢٦ ٥ أردب من القمح و ٨٤, ٣٧٥ أردب من الشعير، وأرض تستخدم لإنتاج الطوب ومساحتها ٢, ٢٥ أرورة هذا بالإضافة إلى بيدر مساحته ٢ أرورة . وإجمالى إيجارها ٢٣٧, ٨٧٥ أردب من القمح . وتكشف لنا الوثيقة عن أن شيوخ القرية هم الذين كانوا مسئولين عن زراعة ودفع أجرة المساحة من الأرض السالفة الذكر والتى تعانى لفترة طويلة من ارتفاع نسبة الاملاح هذا فضلا عن عدم وصول مياه الفيضان إليها. وتثبت الوثيقة أيضا أن أرض البيدر وساحة إنتاج الطوب قد صنفت ضمن الاراضى غير المنتجة. ولا ندرى إذا ما كانت الدولة قد أجرتها فى مزادات عامة أم أنها فرضتها على القرية ممثلة فى شيوخها وكان عليهم أن يقسموها بين ملاك الأرض بالقرية ، إذ من الثابت أن هذه الأرض كانت تعانى من قلة الإنتاج ونتيجة لذلك لم يقدم أحد على طلب إيجارها .

وتشير الوثائق أيضا إلى أن الإدارة الرومانية كانت تقوم بإنتاج الطوب لحسابها مباشرة فى أملاكها الإمبراطورية . وهذا ما تكشف عنه فروض التبن

(*ἀχυρικα τέλη*)[٢٠] التى حصلتها الدولة من الأفـــراد لتصنيـــع الطـــوب ولأغراض أخرى ، كما تشير الوثائق إلى أن الدولة كـــانت تحصـــل علـــى فروض فرضتها على الأهالى وهـــــى ... *υπὲρ πλινϑ* [٢١] و *μερισμὸς* *πλινϑευομένης* [٢٢] سواء من الأفراد بأشخاصهم أو على ما يملكه الفـــرد من أرورات بدلا من الحصول على الطوب منهم. وهذا يعنى أنها كانت تنتـــج طوبها الخاص اللازم للمبانى العامة " معابد وجسور ومعسكرات" [٢٣] ولعـــل السبب فى ذلك هو رغبتها فى الحصول على نوع واحد يمكنها استخدامه فـــى مشاريعها الانشائية المختلفة . وهذا يكشف لنا أن الدولة كانت تستغل املاكـــها استغلالا مباشرا فى إنتاج الطوب . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هــــذه الفروض تكشف لنا عن أن الأفراد كانوا يقومون بإنتاج الطوب فى املاكــــهم بشكل حر فى قرى الفيوم وبقية المديريـــات الأخـــرى . وســـنحاول الآن أن نعرض للوثائق التى تشير إلى أن إنتاج الطوب كان حرا للأفراد فى أملاكـــهم الخاصة ، وفى هذا ما يدحـــض الآراء القائلة بأن الدولة قد احتكرت إنتـــاج الطوب فى مصر كلها وفى الفيـــوم . وسنحاول أن نعرض لوثـــائق الفيـــوم أولا:

(أ) تكشف لنا وثيقة بردية (P. Tebt II 402) من عام ١٧٢ م. مـــن قريـــة تيتونيس ، احدى قرى قطاع بوليمون ،عن وجود مصنع خـــاص ضمـــن ضيعة فلافيا ابيماخى ، وكان المصنع يسمى مصنع كالون **Kallon** . وفى ضوء هذه المعلومات من الوثيقة يمكننا القول أن الدولة لم تحتكر إنتـــاج الطوب بكل قرى قطاع بوليمون والأصح القول أن لدينا بعـــض القـــرى كانت الدولة تحتكر إنتاج وبيع الطوب بها و تبيع هذا الحق لأعلى عطـــاء تم تقديمه فى قرى بعينها .

(ب) تشـــير وثائـــق مـــن قـــرى قطاع هيراقليـــس إلى أن إنتـــاج الطـــوب كان حرا بها . أو بعبارة أخرى تركت الدولة إنتاجه للأفراد فى مصانعـــهم

الخاصة وفى ساحات إنتاج الطوب المملوكة ملكية خاصة لـــهم . فعلـى سبيل المثال : فى وثيقتين برديتين (P. Petaus 20 / 1) [٢٤] مــن قريـة بطليمايوس هورمو (Ptolemais Hormu) احدى قرى قطاع هـــيراقليس ، نجد عرضاً تقدم به روفوس **Rufus** بـــن بنيفــروس **Pnepheros** إلـى الاستراتيجوس ابوللونيوس مدير قطاع هيراقليس . يعبر عن رغبتة فـى شراء قطعة من أرض أرباب الاقطاعات مساحتها ٠,٠٦٣ أرورة غـــير منتجة وجرداء كى يستخدمها كساحة لإنتاج الطوب بسعر ٢٨ دراخمـة ، بالإضافة إلى رسوم نقل الملكية والرسوم الإضافية ، وسيدفع هذه الأموال فى بنك الدولة ، على أن تصبح حقوق الملكية مكفولة له ولذريتـــه مـن بعده. كما يكون له سلطة التصرف بها بحيث لا ينازعه أحد عليها وقـــد حول الاستراتيجوس هذا العـــرض إلـى الكـاتب الملكـى كولانثـوس **Kollanthos** والذى أحاله بدوره إلى كاتب القرية بوتاؤس Petaus لاتخاذ الاجراءات الضرورية فقام هذا بناء على طلب الكـــاتب الملكـى ومعـه الشخصيات المختصة بالأمر وفحصت قطعة الأرض وثبت من المعاينـــة أنها جرداء لا يمتلكها أحد ومعروضة للبيع ولا تنتمى إلى أى فئـــة أرض أخرى غير المذكورة ولا مانع من شـــرائها وأن المشـــترى ليـس مـن الاشخاص الممنوعين من الشراء ، كما أنه لا يعمل نيابة عـــن أطـراف أخرى وأنه لا يوجد سبب للمعارضة هنا ، كما أن الحـــدود المذكـورة لقطعة الأرض تتفق تماما مع ما ذكره المذكور فى رسالته .

وهكذا نجد أن الدولة كانت تبيع الأراضى غير المنتجة المملوكـة لـــها للأفراد بغرض استصلاحها وزراعتـــها فـى أغلـب الأحيـان أو بغـرض استخدامها فى أغراض أخرى غير الزراعة مثل اســتخدامها فـى أغـراض صناعية حرة فى بعض الأحيان [٢٥]، والملاحظ أن السعر المقدم لـــها كـان عاليا مقارنة بأسعار الأرض غير المنتجة فى القرية نفسها إذ يصـــل سـعر الأرورة إذا ما استخدمت مساحة من الأرض العامة لإنتـــاج الطـوب ٤٤٨

دراخمة . بينما يتراوح معدل سعر الأرورة فى الأراضى المخصصة للزراعة بين ٥٢ دراخمة (Petaus 17) و ٥٦ دراخمة (Petaus 18, 22) فى القرية نفسها . ولعل ارتفاع السعر يكشف عن العقلية الاقتصادية للرومان إذ سيقوم المالك باستغلالها مباشرة وستدر عليه دخلاً بينما الأراضى الأخرى الجافة وغير المنتجة تحتاج إلى إصلاح ونفقات لتصبح صالحة للزراعة . كما أن الأجرة التى حصلتها الدولة من أراضيها التى أجرتها لشيوخ القرية فى بردية P. Hamb 12 وكانت تستخدم لإنتاج الطوب ، كانت أكثر من ضعف أجرة أرضها الأخرى المزروعة بالحبوب فنجد أن أجرة الأرورة من أرض البيدر وساحة إنتاج الطوب ٥,٦٢ أردب من القمح ، بينما كانت أجرة الأرض المزروعة بالحبوب ٢٤٧ أردب من القمح و ٠,٤٠ أردب من الشعير. وهذا مثال آخر على أن الإدارة كانت تدير مصالحها وفقا لعقليتها الاقتصادية العملية . وجملة القول أن هذه الوثيقة تكشف أن الدولة كانت تسمح للأفراد بأن ينتجوا الطوب دون تدخل منها مما يؤكد أن إنتاج الطوب كان حرا .

وتقدم لنا وثيقة بردية أخرى P. Cairo Goodsp. 30 من عام ١٩٢/١٩١م من قرية **كرانيس** بقسم **هيراقليس** حسابا خاصا بضيعة خاصة وقد دون به أجور العمال الذين اشتغلوا وانجزوا أعمالا بالضيعة ومن بين هؤلاء العمال صناع الطوب الذين حصلوا على أجورهم نظير ما قاموا بإنتاجه من الطوب بالضيعة .

وتكشف وثيقة أخرى CPRI 206 = ZPE 61 (1985) p. 85 من عام ١٦١/١٣٨م. من قرية بطلميوس يؤرجيتس Ptolemais Eurgetis عن بيع أدوات وساحة لإنتاج ا لطوب وفناء وقد دفع المشترى مبلغ ٦٠٠ دراخمة لهذه الممتلكات . وهذا يعنى أن الملكية الخاصة لساحات إنتاج الطوب موجودة .

وتقدم لنا وثيقة أخرى BGU III 699 من القرن الثانى من أرسينوى معلومات عن أجرة نقل الطوب من مصنع الطوب الأحمر " القمين " $\kappa\alpha\mu\iota\nu o\varsigma$ (٢٦).

وفى بردية P. Wess. Prag 4 = SB 9409 من القرن الثالث الميلادى من ثيادلفيا نجد حسابا خاصا بضيعة قد ورد به ذكر لنقل الطوب فى سطرى ٦٤ و ٦٥ ، ومما هو جدير بالذكر أنه لا يوجد أى ذكر لشراء الطوب المنقول . ويرى دومنيك راتبونى وهو على حق فى هذا الافتراض أن إنتاج الطوب كان يتم فى تلك الضيعة (٢٧).

فى ضوء الوثائق السالفة الذكر يتضح أن إنتاج الطوب كان حرا للأفراد فى جهات مختلفة من الفيوم ، وإذا كانت قرية كيركيثويوريس بقسم بوليمون والتى احتكرت الحكومة إنتاج الطوب وبيعه بها ، فإن قرية تبتونيس بنفس القطاع تكشف لنا عن أن الإنتاج كان حرا وأن الأفراد كانوا يمتلكون مصانع خاصة بهم ،أو أن هناك ساحات لإنتاج الطوب كانت مملوكة لهم . وهكذا يمكننا القول بأن الرأى القائل باحتكار الدولة لإنتاج الطوب فى مصر وفى محافظة أرسينوى قد جانبه الصواب .

أما بالنسبة لبقية الأقاليم الأخرى فإن الوثائق تعضد حقيقة أن الدولة تركت إنتاج الطوب حرا للأفراد . فلدينا عدد من حسابات الضياع الخاصة والتى تكشف عن أن هذه الضياع قد وجدت بها مصانع دائمة وثابتة لإنتاج الطوب الأحمر وأيضا ساحات لإنتاج الطوب اللبن . وكانت تستأجر عمالا لإنتاجه نظير أجور يحصلون عليها. ففى بردية P. Lond. 1166 p. 104 من عام ٤٢ م. من هرموبوليس نجد عقدا بين هوريون بن هليودوروس وتوثيس بن توثيس من هرموبوليس كطرف أول وديوس بن سانون الجمنازيارخوس كطرف ثان . ويتعهد فى هذا العقد الطرف الأول وهم الموردون لحساب ديوس الشخصى ١٥٠ حزمة من القش تسلم بقرية إيبيون تيتاختى Ibion

Tetachthi حيث يوجد مصنع الطوب الخاص به . وهذه الوثيقة تشـــير إلـــى الملكية الخاصة لمصانع الطوب فى وقت مبكر مـــن العصـــر الرومـــانى أى قبـــل ٦٠ عاما من تاريخ P. Fay 36 التى احتكرت فيها الدولة إنتاج الطـــوب بقرية من قرى الفيوم .

وفى بردية P. Lond. 131 V من عام ٧٧ / ٧٩ من هرموبوليس ، قـــد دون حساب لنقل الطوب من مصنع خاص مملوك إلـــــى بيمـــوس Peimous كاهن زيوس إلى منزل وفناء صاحب الضيعة . وفى بردية P. Sarap 55 = Amh II 126 من عام ١٢٨م من هرموبوليس ، و هو حساب خاص بضيعـــة ومصروفاتها وقد سجل به أجرة عمال إنتاج الطوب وجملة هذه الأجـــور ٥٢ دراخمة [٢٨].

وهكذا نجد أن وثائق هرموبوليس تؤكد الإنتاج الحر للطوب ، كمـــا أن لدينا وثائق أخرى من اوكسيرينخوس تعضد هذا الأمر ففى برديـــة SB XIV 11958 [٢٩] نجد حساب لعمليات بناء ومن بين هذه التكـــاليف تكـــاليف نقـــل الطوب من ساحة إنتـــاج الطـــوب إلـــى العزبـــة *απο τ[ου πλινθορ γ(ιου) μεταφε]ρουσι εις το εποικον*

وفى بردية أخـــرى P. Oxy. XLI 2153 مـــن القـــرن الثـــالث مـــن اوكسيرينخوس ، نجد خطاب يكشف من أعمال خاصة بضيعـــة وحســـاباتها ويكشف لنا الخطاب أيضا عن أن الطوب كن يتم إنتاجه وحرقه بالضيعـــة إذ يرد به " والبناء الـــذى يقـــوم بحـــرق الطـــوب وأنـــه قـــد تســـلم أجرتـــه" *και του οικοδομου σημέρον εκβαντι της ὑποκαυσεως τῆς οπτῆς*

كما تشير وثائق أخرى من اوكسيرينخوس من بواكير العصر الرومانى المتأخر (٢٨٤ - ٦٤٢ م.) وهى حسابات خاصة بضياع خاصة، بأن إنتـــاج الطوب كان يتم بالضياع نفسها وكانت الأجور نقدية أحيانـــا وعينيـــة أحيانـــا أخرى[٣٠].

كما تقدم لنا بعض الشقافات معلومات عن أجور عمال إنتاج الطـوب ، وهذه الشقف من مصر العليا (٣١) .

وإذا كان الأفراد يملكون مصانع وساحات إنتاج الطوب فـإن الوثـائق تكشف عن أن بعض المعابد كان لها ساحاتها الخاصة بإنتاج الطوب ، فـهناك ساحة لإنتاج الطوب تابعة لمعبد حورس بأدفو وأخرى خاصـة بمعبـد فـى كرانيس (٣٢) وثالثة خاصة بمعبد فى اوكسيرنيخوس (٣٣).

فى ضوء الوثائق السابقة يمكننا القول وبتأكيد بأن مصر عرفت الإنتـاج الحر للطوب ولم يكن احتكارا حكوميا ولا ندرى لماذا احتفظت الدولة بإنتاجـه وبيعه فى بعض المناطق بينما تركته حرا فى بعض مناطق أخرى .

أما عن رأى **جونسون** فى شقه الأول والقائل بأن الدولة كانت تحتكـر إنتاج الطوب الأحمر ، بينما تركت إنتاج الطوب اللبن حرا للأفراد فلنا عليـه ملاحظتين اساسيتين :

أولا : أن الوثـائق تشـير إلـى أن الدولـة كـانت تملك سـاحات إنتـاج الطوب اللبن (P. Hamb. 12 , SPP XXII 35) ولا توجد لدينـا وثـائق تشير إلى تملكها لأفران حرق الطوب " القمائن *κάμινος* " وهـذا لا يمنعنا من القول بأنه ربما آلت إليها أفران حرق الطوب عـن طريـق المصادرة لسبب أو لآخر ، وربما أن الضياع الواسعة التى آلت اليها قد شملت على مصانع لإنتاج الطوب الأحمر ، وهذا ما كشفت لنا الوثـائق الخاصة بالـ (*ἀχυρικα τέλη*) وهى فروض التبن التى كان يسـلمها الأفراد للدولة لإنتاج الطوب الأحمر ولأغراض أخرى، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن حرق الطوب لا يحتاج إلى مصانع متخصصـة فيمكن للأفراد العاديين أن يقوموا بحرق الطوب اللبن الخاص بهم فـى ساحات إنتاج الطوب أو فى أرض خالية بعد ترتيبـه بطريقـة معينـة ووضع القش والخشب واشعال النار لحرقه ، ولعل الخطاب الوارد مـن

اوكسيرنيخوس وهو يحتوى على حسابات خاصة بأملاك ومنها تكليف البناء بالقيام بأعمال حرق الطوب فى الضيعة وهنا نجد أن الحرفى يمارس حرفة البناء مضافا إليها حرق الطوب .

ثانيا : إن الوثائق تشير بشكل صريح إلى تملك الأفراد لمصانع خاصة لإنتاج الطوب الأحمر ، أو قمائن الطوب[٣٤]. هذا فضلا عن إنتاج الطوب اللبن .

فى ضوء كل ما سبق يمكننا القول بأن الدولة كانت تملك ساحات لإنتاج الطوب اللبن ، وتؤجر هذه الساحات للأفراد سواء عن طريق حق الاحتكار فى مزادات عامة أو تأجيرها بالطرق العادية أو فرضها على المواطنين لمدد غير محددة . كما أن إنتاج الطوب الأحمر و كذا الطوب اللبن كان إنتاجا حرا للأفراد يحق لهم إنتاجه فى قرى الفيوم المختلفة وفى غيرها من المديريات ، مثل اوكسيرنيخوس وهرموبوليس ، وكان على أصحاب ساحات إنتاج الطوب وقمائنه أن يدفعوا مستحقات الدولة من الضرائب كما أن المعابد كان لها مصانعها وساحاتها لإنتاج الطوب .

الحواشى

(١) عن كيفية صناعة وإنتاج الطوب انظر :

سيد أحمد الناصرى : الناس والحياة فى مصر زمن الرومـــان دار النهضـــة ، القاهرة ، سنة ١٩٩٥ ، ص٢٦٩ وما بعدها ، لوكاس : المواد والصناعات عنـد قدماء المصريين ، ترجمة زكى إسكندر & محمد زكريا غنيم ، القــاهرة ١٩٩١ ص ٨٨ وما بعدها . انظر أيضا الدراسات الآتية :

T. Reil , Beiträge zur kenntnis des Gewerbes im Hellenistischen Ägypten, Leipgzig , 1913, pp. 35, F. Luckhard , Das privathaus im ptolmäischen römischen Ägypten, Diss., Gissen, 1914 pp. 26 ; S. Yeiven private Architecture in Fayum Villages of Roman period, M. A. London , 1929 , A.E.R. Book and E.E.Peterson, Karanis :Topographical and Architectural Report of Excavations during the Seasons 1924 - 28, Ann - Arbor , 1931; Idem; Soknopaiou Nesos : The University of Michigan excavations at Dime in 1931 - 32, Ann Arbor 1935 ; E. M. Husselman, Karanis : excavations of the University of Michigan in Egypt, 1928 - 1935 Topography and Architecture, Ann Arbor, 1979 ; M. Nowicka , la maison privée dans l'Egypt ptolemaique, wroclaw, 1969, pp. 28; A. J. Spencer , Brick Architecture in Ancient Egypt, Guilferd. Surry 1979; J. Husson, Oikia ; le vocabulaire de la maison privée en Égypt d'apres les papyrus grecs, Paris, 1983, pp. 129; pp. 232; R. Campbell, An Archaeological study of Egyptian houses particularly those from Hellenistic period, Ph. D. Durham, 1984, pp. 162; M. R. Rodziewicz , Alexandria III : d'Alexandrie a la lumiere des fouilles polonaises a kom el Dikka, Varsovie, 1984.

(٢) وقد قدم لنا سبنسر دراسة مفصلة عرض فيها أنواع وأحجام وأشكال الطـــوب ابتداء من العصر الفرعونى حتى العصر الرومـــانى المتــأخر (٦٤٢م) فــى مناطق مصر المختلفة فى ضوء نتائج الكشوف و التنقيبات الأثرية .

A. J. Spencer, op. cit. , pp. 54, pp. 22, pp. 92 , pp. 102 ; p. 110; pp. 141.

(٣) I. A. A. Gendy , Economic Aspects of Houses and Housing in Roman Egypt ; ph. D. London , 1990 , pp. 17 .

من اللافت للنظر أن الوثائق لا تجود علينا طوال العصر الرومانى إلا بأربعة وثائق ورد بها ذكر لسداد ثمن الطوب ؟ فلماذا هذا النقص فى الوثـــائق التى تسجل أسعار الطوب ؟ لعل أسباب ذلك هى :

١- على ما يبدو أن عددا كبيرا من الراغبين فى بناء أو ترميم منازل أو أبنية شيدت لأغراض أخرى غير السكن كانوا ينتجون ما يحتاجونه سواء مـــن الطوب المحروق أو الطوب اللبن ، فكان البعض منهم يستخدمون فى ذلــك صناع طوب أجراء أحيانا وهذا ما نستشفه من الرسائل والحسابات الخاصة بالأفراد وبالضياع "P. Sarap. 55, P. Amh II 126; Cairo Goodsp. 30;. P. Oxy. 2153, O. Strassb. 686, 713,727".

ونود أن ننوه أن أغلب حسابات الضياع تسجل تكاليف نقل وإنتاج الطــوب ومع ذلك لدينا استثناء يوجد فى بردية P. Rein 52 Recto 10 – 14 حيث تـم شراء طوب لحساب ضيعة بوسيدونيوس Posidonios . وفى أحيان أخــرى كان البعض الآخر منهم يقوم بصناعة الطوب اللبن اللازم لـــه والــذى لا يحتاج إلى محترف ولا إلى تجهيزات خاصة .

٢- قد يكون السبب فى ذلك أيضا هو أن كثيرا من الناس البســطاء كــانوا لا يسجلون نفقات بناء وترميم المنازل والأبنية الأخرى ، فلا يعقل أن يدون لنا صاحب منزل فقير نفقات بناء منزله البسيط (ففى BGU. I 282 نجد قيمـــة المنزل ١٠٠ دراخمة).

أما عن الوثائق التى تذكر ثمن الطوب فهى على النحو الآتى :-

فى بردية SPP. XXII 35 نجد بها ذكر لسداد الثمن ولكن لا تذكر قدره ، بينمـــا نجد فى بردية SB XIV 11958 من عام ١١٧ م. أن قيمة ٤٦٠٠ طوبة محروقة ٤٦ دراخمة أى دراخمة واحدة لكل مائة طوبة ، وفى بردية P. Oxy. Hels. 31 من القرن الثالث تبلغ قيمة ٨٠٠ طوبـــة ١٦ دراخمـــة أى ٢ دراخمـــة لكــــل مائة طوبة ، وفى بردية SB 9363 نجد أن سعر ٣٥٠٠ طوبـــة ١٣٦ دراخمـــة وثمن كل ألف طوبة هنا ٣٨ دراخمة ومن ثم سعر المائة طوبة ٣,٨ دراخمة.

ونخلص من تلك الوثائق بالملاحظات الآتية :-

١- أن الوثيقة الثانية قد ذكرت أن الطوب محروق بينما لا تذكر الوثيقتين الثالثة والرابعة هل هو محروق أم غير محروق ! كما أن كل الوثائق لا تذكر حجم الطوب ودرجة جودته .

٢- أن سعر الطوب قد تضاعف أربع مرات تقريبا فى الفترة الممتدة ما بين عام ١١٧ و٢٤٧ / ٢٥٧م.

٣- أن قيمة الطوب إما أنها كانت تحسب بالمائة أو بالألف طوبة. كما كانت تحسب أجرة نقل وبناء الطوب أحيانا بالألف .P. Lond. I. 131 Recto. P. Tebt. II 402.

كما تكشف لنا الوثائق عن أن البنائين كانوا يعملون باليومية أو بالمقطوعية أو بالألف. (I.A.A. Gendy, op. cit. pp. 50.)

(٤) ورد فى الوثائق التسميات الآتية لمنتجى الطو

١ – صانع القوالب πλάστηφ. (O. Meyer 61) .

٢ – أطلقت التسميتان الآتيتان على صانع الطوب : أولاهـا : πλινθεντήφ وقد وردت فى الوثائق الآتية :-

(P. London I 131 Recto (A. D. 7819); SB XI 11958 A. D. 117); P. Goodsp. 30 (A. D. 191/2); P. Sarap. 79 (II cent. A. D.); O. Cair. GPW 126 (II cent. A. D.).)

وقد استمر ذكرها فى العصر الرومانى المتأخر (٢٨٤ – ٦٤٢م).

وثانيتها : πλινθοργόφ وقد وردت فى الوثائق الآتية :

P. Sarap. 55 = P. Aml. II 126 (Early II cent. A. D.); O. Strassb. 686; 713; 723. (II cent.A. D.).

٣- وتذكر شقفة المشرف على إعداد القمائن وحرق الطوب .

. O. Meyer. 61 (III cent. A. D.) : πλινθοποιοφ

٤- نجد أن البناء οἰκοδόμοφ كان يتولى حرق الطوب . P. Oxy. XLI 2153 (III cent. A. D.).

(٥) انظر عن ذلك : سيد الناصرى : نفسه ص٢٨٠.

Reil.op.cit. p. 35; A. J. Spencer, op. cit. p. 3; Spp. XXII 35; P. Lond. 1166 p. 104.

(٦) تسجل لنا برديتان وثلاث شقفات أجور صناع الطوب هى : بردية (P.Aml.II 126 P. Sarab. 55) عام ١٢٨م حيث نجد ذكر لأجر صناع الطوب فى شهر أبيب وقدره ٣٢ دراخمة ، فى بردية (P. Cairo. Goods p. 30) من عام ١٩٢م نجد ذكر لأجور صناع طوب ، وأن كان بعضها قد فقد بشكل جزئى وبعضها الآخر فقد بشكل كلى ، ومع ذلك نجد أن المبالغ المدفوعة المحفوظة والباقية لأجور صناع الطوب فى هذه البردية كانت ضخمة وقدرها ٥٢٦ دراخمة منها ٥٠٢ دراخمة لصناع الطوب المحليين و٢٤ دراخمة لصناع الطوب الغرباء ، وفى شقفة (O.Strassb. 686) من القرن الثانى نجد ذكر لأجور صناع الطوب وقدرها ٥٦ دراخمة وذلك عن أسبوعين عمل . وفى كل من الشقفتين O.Strassb. 713, 723 من القرن الثانى نجد ذكر لمبلغ ٢٨ دراخمة كأجر مدفوع لصناع الطوب .

ونخلص من المصادر السالفة الذكر إلى الملاحظات الآتية :-

١- ذكر أجور صناع الطوب كمجموعة وليس كأفراد وللأسف لا تذكر عدد العمال فى كل حالة ومن ثم لا نعرف أجر صانع الطوب اليومى .

٢- أغلبها لا تحدد مدة العمل فى ضرب الطوب ولعل المدد كانت تختلف من حالة إلى أخرى وذلك يعتمد على مقدار ما يطلبه صاحب العمل من طوب .

٣- أن ملاك الضياع كانوا يحتاجون لإنتاج كميات كبيرة للغاية من الطوب فقد دفع المالك مبلغا كبيرا للغاية لأجور عمال ضرب الطوب وعلى الرغم من ضياع جانب منه إلا أن الباقى وهو ٥٢٦ دراخمة يمثل مبلغا ضخما للغاية .

٤- كان أصحاب الضياع يستخدمون كل من صناع الطوب المحليين وصناع الطوب الغرباء ، وإن كان اعتمادهم على الصناع المحليين يفوق اعتمادهم على الغرباء .

انظر أيضا : I. A. A. Gendy. op. cit. pp. 20; Reil; op. cit. p. 36.

(٧) ناقش كل من لوكرد وسيد الناصرى وفمنر وجنيفيف هوسون هذا الموضـــــوع بالتفصيل

S. A. A. El-Nassery & G. Wagner, Bull. Inst. Fr. Arch. or. 76 1976 p. 231 – 275.

J. Husson , op. cit. , pp. 232 ; Luckhard , op. cit. , pp. 31 .

(٨) Wilcken , Grundz. p. 253 , pp. 256 - 7 .

(٩) B. Palme, Das Amt des apuitetes in Ägypten, Wien, 1990, p. 44.

(١٠) Wallace, Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, Princeton, , 1938 pp. 188.

(١١) Ibid. , p. 427 .

(١٢) Johnson, Roman Egypt to the reign of Diocletian, Baltimore 1936 ; pp. 330 ; pp. 362

(١٣) Luckhard , op. cit. , p. 29 .

(١٤) T. Reil , op. cit. , pp. 35 .

(١٥) K. Durst, zubehör und unternehmen im Recht der Papyri, Gissen, 1938, pp 34.

(١٦) P. Fay. 36 , introd. p. 131 .

(١٧) Wallace , op. cit. , p. 182 .

(١٨) ويقول ولاس أنها ، ربما ، هى *ξειρωνάχιον* والتى كان يدفعـــــها صنـــاع الطوب .

Wallace ,op.at. p.205; P. Fay 36, Aeg. XIV 1933 p. 430.

(١٩) P. M. Meyer, P. Hamb. Intrad.

(٢٠) ناقش كل من فيلكن ومن بعده ولاس هذا الفرض بالتفصيل .

W. O. I. pp. 162 - 163; Wallace , op. cit. , p. 25.

(٢١) عن هذا الفرض انظر : W. O. I. p. 280 .

(٢٢) ناقش هذا الفرض كل من ولاس وبرنارد بالمى بالتفصيل

Wallace , op. cit. , pp. 163 . B. Palme, op. cit. pp. 44.

(٢٣) W. O. I. pp. 182 , 280 , Wallace , op. cit. , p. 25 ; pp. 163., B. Palme, op. cit. pp. 44.

(٢٤) قام بنشر بوتاؤس والتعليق عليه كل من هيربرت يوتـــى وزوجتـــه وديـــتر هاجدورن وزوجته. فى الجزء الرابع من مجموعة بردى كولون .

Uisulla Hagedorn, and others, Das Archiv des Petaus, Koln, 1969.

(٢٥) عن بيع أراضى الدولة غير المنتجة انظر :

إبراهيم الجندى : تطور أوضاع الأرض الزراعية فى مصـــر ابـــان العصـــر الرومانى من عام ٣٠ ق.م - ٢٨٤م. ، رسالة ماجستير غير منشـــورة ، آداب عين شمس ١٩٨٢ ص١٧ - ٢٢ والحواشى ، ص٨٥ - ٩٠ والحواشى.

(٢٦) نجد أن هذا المصطلح قد اتخذ معنى آخر فى العصور الهلينستية والرومانيـــة إذ أصبح يعنى مخزن انظر :

J. Husson , op. cit. , pp. 129 .

(٢٧) D. W. Rathbone, Heroninos Archive and The Estate of Aurlius Appianus, Ph. D. 1986, Jesus College, p. 106; p. 304 notes 62 – 64.

(٢٨) ورد أن الأجرة ٥٠ دراخمة فى P. Amh. 126 .

(٢٩) انظر :

A. Swiderek, deux papyrus de la Sorbonne relatifs des travaux effectues dans des temples de l'Heracleopolite , JJP. XI / XII (1957 / 8) pp. 59 - 91 = Reinach 2005 - 6 = N. Lewis Sur deux papyrus de la Sorbonne , JJP . XIII (1961) pp. 87 - 8 .

(٣٠) PSI I 83 ; P. Oxy . XVII 2143 V. ; PSI VI 712.

(٣١) O. Strassb 686 , 713 , 723 .

(٣٢) W. Otto , Priester und Temple im hellenistischen Ägypten , Vol. I. Leipzig -1905 pp.312.

(٣٣) SB XIV 11958.

(٣٤) P. Lond 1166 , P. Tebt II 402, P. Petuus 20 / 21.

التركيب الاجتماعى للسلطة النيابية فى مصر

١٨٢٩ – ١٩٥٢

د. إسماعيل محمد زين الدين

كلية الآداب – جامعة القاهرة

فى مايو ١٨٠٥ ، قدر لذلك الجندى الألبانى وأسرته – فيما بعد – حكم مصر والذى امتد لما يقرب من قرن ونصف القرن من عمر البلاد . وفى البداية حرص محمد على على استمالة زعماء الشعب والعمل بمشورتهم ، فتم الاتفاق معهم على إطلاق يده فى إعادة تنظيم الدولة التى تغلغل فيها الفساد نتيجة للمنازعات والصراعات الداخلية بين مختلف الفئات مما ترتب عليه استنزاف مواردها وطاقتها الإنتاجية ، هذا بالإضافة إلى انعدام الأمن الداخلى وضعف هيبة وسلطة الدولة(١) .

وهكذا أصبح لمحمد على حرية التصرف فى إدارة شئون البلاد التى أرادها بثاقب نظره وطموحه السياسى فى مستوى الأهداف التى ما كان يسعى إلى تحقيقها ، وهذه الأهداف تنبع من المعطيات الأساسية التى صنعت آنذاك قوة وازدهار الأمم الأوربية الحديثة والمتطورة . إصلاحات داخلية تتناول بشكل جوهرى الاقتصاد الريفى التقليدى ، ضمان الأمن والاستقرار الداخلى للمواطنين من خلال لوائح وقوانين عادلة ، وتبدو فيها سمة الليبرالية ، وتشجيع هجرة بعض العناصر الأجنبية الفنية والمنتجة واندماجها فى البلاد ، هذا بالإضافة إلى سياسة خارجية توسعية وطموحة ، فى محاولة لإقامة دولة قوية حديثة على أنقاض الدولة العثمانية التى دب فى أوصالها الضعف وأصبحت عرضة للانهيار ومطمعا للدول الأوروبية . وهذه السياسة التى اتبعها محمد على كانت ترتكز على جيش قوى جيد التدريب ، وحسن التسليح .

وانطلاقًا من هذه الخلفية التاريخية يمكننا تتبع تطـور السلطة النيابيـة فى مصر منذ تلك الفترة وحتى انتهاء تجربة مصر الليبرالية فى يوليـو ١٩٥٢، مع التنويه – بداية – إلى أن محور دراستنا هو محاولة رصد أثر الـتركيب الاجتماعى للأعضاء على النواحى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

لقد لمح محمد على من خلال احتكاكه بالفرنسيين فـى مصـر معـالم الحضارة الأوروبية واضحة جلية ، وتبين أثرها فى تكويـن وبنـاء الـدول الحديثة المنظمة ، لذا شرع فى الأخذ بسياسة إصلاح واسـعة النطـاق فـى مختلف فروع الإدارات المصرية .

ولضمان تنفيذ مشروعاته وسرعة إنجازها ، قام بتأسيس وإنشاء العديـد من المجالس التى أخذت – فيما بعد – طابع المجالس النيابية التـى عرفتـها المجتمعات الأوروبية الحديثة كان أهمها المجلس الخاص الذى تأسـس فـى بداية حكمه (١٨٠٥) ، وتفرعت منه سائر المجالس والدواوين الأخـرى . وكان يعرف بالديوان العالى ، ويتكون من كبار موظفى الدولة وعددهم ١٥٧ عضوًا منهم ثلاثة وثلاثون عضوًا من الأكابر ورؤسـاء مصـالح الحكومـة والعلماء ، وأربعة وعشرون عضوًا من مأمورى الأقاليم ، ومائة عضو مـن مشايخ الأقاليم برئاسة الكتخدا بك (نائب الباشا) ، أناط بـه مهمـة ضبـط وتنظيم الإدارة والنظر فيما يقدم من الدعاوى والعرائض التى تقع عناصرهـا وعين فى هذا المجلس عالمًا من كل مذهب من المذاهب الأربعـة . وكـانت مهمة هذا المجلس أيضًا النظر فى تطبيق أحكام الشريعة الإسـلامية ، إلـى جانب وضع القوانين والنظم الابتدائية . وكـان المجلـس يجتمـع بانتظـام فتعرض عليـه أمـور الحكومة كافة فيفحصها ويعرضهـا علـى الباشـا ، كما اعتاد محمد على المداولة مع أعضائه فـى جميـع الأعمـال المتعلقـة بالحكومة قبل الشروع فى تنفيذها[٢] .

وقد استمر هذا المجلس فى عمله حتى عام ١٨٢٩ ، حين أنشأ محمد على مجلسًا للمشورة ، تكون من كبار التجار والأعيان والعمد والمشايخ والعلماء ، وكانت مهمة هذا المجلس عرض الاقتراحات المتعلقة بالشئون الإدارية العامة ، دون أن يلتزم الباشا بتنفيذها ، فكانت آراء هذا المجلس ذات طابع استشارى محض . وكان محمد على يختار الأعضاء بنفسه ، وبانتهاء عهده انفرط عقد المجلس ، فلم يدع للاجتماع خلال عصرى عباس الأول ومحمد سعيد باشا .

وحين تولى إسماعيل الحكم (١٨ يناير ١٨٦٣) اتجه بفكره نحو تأسيس مجلس نيابى وفقًا لأسس جديدة ، دعاه بمجلس شورى النواب . ولم يكن تأسيس هذا المجلس وليد تطور طبيعى للصراع بين الجماهير والسلطة الحاكمة الأوتقراطية ممثلة فى الخديو بهدف الحصول على حق المشاركة مع السلطة القائمة ، وتقييد صلاحيات الحاكم بقيود دستورية ، تضمن للأمة حقوقها ، وتحدد التزامات الحاكم أمام شعبه ، بل كان قيام هذا المجلس بمثابة منحة من الخديو ، وهو أمر قد يبدو غريبًا فى بابه ، خصوصًا أن الحركة السياسية لم تكن قد تبلورت خلال تلك الفترة بالشكل الذى يؤدى إلى قيام حياة نيابية بمفهومها الحقيقى[٣] ، كما أن كبار الملاك والأعيان لم يعتادوا منذ عصر محمد على أن يرفعوا صوتًا بالمعارضة فى وجه الحاكم .

وقد أنشئ مجلس شورى النواب فى ديسمبر ١٨٦٦ ، وفقًا للائحة خاصة صدر بها أمر من الخديوى لناظر الداخلية . وقد أوضحت هذه اللائحة أن تأسيس هذا المجلس « مبنى على المداولة فى المنافع الداخلية » ، وكل ما تراه الحكومة أنه من اختصاص المجلس تتم « المذاكرة وإعطاء الرأى عنها وعرضها على الخديوى » ، الذى له الحق فى دعوة المجلس للانعقاد أو تأخيره ، وتحديد مدته ، وكذا تغيير أعضائه وانتخاب غيرهم . كذلك منحت اللائحة الخديو الحق فى تعيين رئيس المجلس ونائبه[٤] .

وكما هو واضح ، فقد كانت مهمة هذا المجلس مهمة استشارية بحتة ، كغيره من المجالس التى عرفت قبل هذا العهد ، وكان يجتمع بناء على دعوة الخديو له – كما سبق وأوضحنا – ، وكان للخديو الحق فى تأجيل انعقاده وأيضا حله . ولما كان النظار مسئولين عن إدارتهم لشئون البلاد أمام الخديو وحده ، فإن قيام هذا المجلس النيابى الأول لم يؤد فى الواقع إلى قيام نظام جديد للحكم فى البلاد(٥) .

وقد كان هذا المجلس يتكون من ٧٥ عضوا ينتخبون لمدة ثلاث سنوات، واشترط فى الناخب ألا يقل عمره عن خمسة وعشرين عاما ، وأن يكون معروفا بين ذويه (من أبناء الوطن) ، ولم تقع عليه أحكام أو لم تصدر ضده أحكام جنائية ، وألا يكون من العسكريين المجندين تحت السلاح. وحددت اللائحة مدة العضوية بثلاث سنوات ، كما أوضحت أسلوب وطريقة الممارسة النيابية للأعضاء ، وكيفية تقديم الاقتراحات وعرض التقارير التى تراها الحكومة ، واشترطت اللائحة أيضا ضرورة وجود ثلثى أعضاء المجلس – على الأقل – حتى تكون الآراء صحيحة ، وأتاحت للأعضاء حق التمتع بالحصانة البرلمانية خلال دورات انعقاد المجلس(٦) .

وقد خصصت اللائحة ستة مقاعد لنواب القاهرة والإسكندرية وبعض الثغور والمدن الأخرى . أما بقية المقاعد ، فقد خصصت لنواب الأقاليم الذين كان يتم انتخابهم بواسطة شيوخ القرى ، حيث كانوا يجتمعون بالمراكز لانتخاب نائب القسم من بينهم ، ومن ثم فقد كانت أغلبية أعضاء المجلس من العمد والأعيان .

ولقد رسمت لائحة تأسيس مجلس شورى النواب فى عصر إسماعيل بالشكل الذى أدى إلى بروز هذه الطبقة من الأعيان وكبار الملاك على مسرح الحياة السياسية ، وتطلعهم – فيما بعد – إلى المشاركة مع السلطة

القائمة فى إدارة شئون البلاد ، ضمانًا للحفاظ على مصالحهم المتنامية . فقد قصرت اللائحة حق الانتخاب - بشكل جوهرى - على طبقة أصحاب الأراضى الزراعية من العمد والمشايخ (أعيان الريف المصرى) لما تتمتع به من نفوذ على القائمين بأعمال الفلاحة ، ولما لها من اتصال وثيق بحياة أهل الريف ، بالإضافة إلى الخبرة الواسعة والدراية التامة بكافة الشئون الزراعية . فكان مجلس شورى النواب الذى تأسس عام ١٨٦٦ بمثابة مجلس للأعيان ، حيث بلغ عدد أعضاء هذا المجلس من العمد والمشايخ ٥٨ عضوًا من بين ٧٥ عضوًا هم عدد أعضاء المجلس . وفى الهيئة النيابية الثانية عام ١٨٧٠ ، كان عدد الأعضاء من عمد ومشايخ القرى ٦٣ عضوًا . أما فى الهيئة النيابية الثالثة والأخيرة ، التى انتخبت عام ١٨٧٦ ، فقد بلغ عدد أعضائها الممثلين لهذه الطبقة ٦٠ عضوًا[٧] . وهذا المجلس لم يشهد تمثيلاً حقيقيًا يتفق وما حدث من تطورات اجتماعية واقتصادية وثقافية شهدتها البلاد منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وأفضت بدورها ، إلى ظهور فئات وشرائح عديدة داخل المجتمع كأصحاب المهن الحرة من الأطباء والمهندسين والمشتغلين بمهنة المحاماة ، بالإضافة إلى التجار والمثقفين .

ولم يكن بروز طبقة الأعيان وكبار الملاك فى مصر إلا نتيجة طبيعية لما حدث من تطورات سياسية واقتصادية منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وحتى بداية الاحتلال الإنجليزى للبلاد عام ١٨٨٢ ، وأدى بدوره ، إلى ظهور وتنامى هذه الطبقة المميزة اجتماعيًا ، وسعيها نحو ممارسة العمل السياسى والمشاركة مع السلطة القائمة ، اعتماداً على وضعها الاجتماعى والاقتصادى الذى وفرته لها ملكياتها الزراعية الواسعة ، والتى حصلت عليها نتيجة لصدور سلسلة من التشريعات والقوانين ، بدأت مقدماتها بصدور اللائحة السعيدية (١٨٥٨) وقانون المقابلة (١٨٧١) ، وانتهت بقرار ٣

سبتمبر ١٨٩٦ ، الذى أصبحت بمقتضاه كافة الأراضى الزراعية من عشورية وخراجية مملوكة لحائزيها ملكية فردية تامة ، مما أدى إلى ظهور الملكية الفردية ، بعد أن رفع عنها كل قيد ، كأساس للتنظيم الاجتماعى البديل لملكية الدولة لوسائل وأدوات الإنتاج ، ونعنى بها الأرض الزراعية . وهكذا بدأ بظهر فى الواقع الاقتصادى المصرى ملاك الأراضى الزراعية الذين يتمتعون بحقوق الملكية فى التصرف والاستغلال بأشكاله المختلفة من بيع ورهن وإيجار وتوريث وذلك بعد ما يقرب من مائة عام منذ وضع محمد على نظام استغلال وإدارة الأرض الزراعية[٨] .

وكان طبيعيًا أن يعكس التركيب الاجتماعى للأعضاء مجلس شورى النواب مصالح هذه الطبقة ، باعتبارهم ممثلين لأصحاب الملكيات الزراعية الواسعة فى الريف المصرى آنذاك . فقد دلت المناقشات التى دارت داخل المجلس فى دروات انعقاده الثلاث (١٨٦٦ - ١٨٧٦) على مدى اهتمام ووعى هذه الطبقة بالمسائل التى ترتبط بالمجتمع الريفى ، وتخدم بشكل جوهرى مصالحها الطبقية ، كمشروعات الرى والسكك الحديدية وحيازة الأراضى الزراعية وتخفيض الضرائب العقارية والتوسع فى النشاط التجارى وما إلى ذلك[٩] ، دون أن نرى اهتمامًا من قبل الأعضاء بمناقشة قضايا الريف ومشكلات القرية والفلاح المصرى ، وأحواله الصحية والمعيشية المتدهورة ، نتيجة لانتشار الأوبئة والمجاعات فى الريف المصرى ، بالإضافة إلى انتشار ظاهرة الربا والحجز على أراضيه الزراعية .

ومن خلال تتبعنا لموقف السلطة النيابية من مختلف القضايا والمجالات ومقدار حجمها ووزنها ، والحدود التى منحت للأعضاء داخل المجلس ، نستطيع القول بأن مجلس شورى النواب الذى أنشأه إسماعيل كان مجلساً استشاريًا بحتاً ، فلم يكن لأعضائه رأى ملزم خصوصاً فى النواحى المتعلقة بالشئون المالية . فالسلطة النيابية خلال تلك الفترة ،

لم تكن تعبر عن نظـام الحكم العام الذى ينظم حـدود السـلطات الثـلاث ، ويحدد واجبات الحكام وعلاقتهم بالمحكومين فى إطار قانونى ينظـم علاقـة الأفراد بعضهم ببعض ، ويحمى حقوقهـم ويحاسبهم فى ذات الوقـت علـى مـا يأتون من أعمال تخالف القانون . وعلى هذا فقد كانت آراء ومقترحـات أعضـاء المجلس – كما سبق وأوضحنا – استشارية بحتى ، للخديو الحـق فى رفضها أو قبلولها ، يضاف إلى ذلك أن مصر – على حد قـول الخديـو إسماعيل – لم تكن قـد تهيأت بعـد لأسلوب وطريقـة الممارسـة النيابيـة التى عرفتها المجتمعات الأوروبية وقتئذ(١٠) .

وقد تطورّ مفهوم السلطة النيابية فى مصر تطوراً ملموسًا خلال الفـترة التى عاصرت الثورة العرابية ، نتيجة لتبلور الرأى العـام المصـرى منـذ أواخر عصر إسماعيل ، فى صورة معارضة وطنية منظمة ضـد الحكومـة القائمة ، وكان ظهور وتنامى هذا التيار المعارض نتيجة تأثير عـاملين لعبـا دوراً مهمًا فى تلك الفترة وهما :

أولاً : ازدهار الحركة الفكرية والثقافية وظهور بعـض مفكـرى الإصـلاح بزعامة جمال الدين الأفغانى ، الذى يرجع إليه الفضل هو وتلاميذه فـى توجيه العناصر الوطنية إلى العمل بالصحافة واتخاذها منـبرًا لنشـر الأفكار الثورية ، كوسيلة للتأثير على السياسة العامة للدولة .

ثانيًا : تغلغل التدخل والنفوذ الأجنبى فى كافة قطاعـات الدولـة ومرافقـها الحيوية ، وحرمان الوطنيين من الالتحاق بالوظائف المهمة وإسـنادها للأجانب ، بدعوى عدم مقدرة المصريين على ذلك .

لذلك لم يكن غريبـاً ، والحال كذلك ، علـى مجلـس النـواب الـذى عاصر الثورة العرابيـة ، وتم إلغاؤه عقـب الاحتـلال البريطـانى للبـلاد باعتباره أثرًا من آثارها ، أن يتحدى السلطة القائمة ، ويسعى نحـو انـتزاع سلطات جديدة للمجلس ، بل والمطالبة بمنحـه كافـة حقوقـه الدسـتورية ،

وحصوله على حرية أوسع لإبداء آرائه وملاحظاته ، وخصوصًا فيما يتعلق بالرقابة على مالية البلاد[١١] .

على أن التركيب الاجتماعى لأعضاء هذا المجلس ، والقوى الاجتماعية الممثلة داخله ، لم تختلف فى تكوينها الطبقى عن مجلس شورى النواب السابق ، ونعنى بذلك كبار الملاك وأعيان الريف المصرى ، أصحاب الملكيات الزراعية الواسعة . فعلى سبيل المثال احتكرت عائلة الشواربى التى ينحدر منها محمد بك الشواربى أحد أعضاء المجلس منصب العمدة فى قليوب منذ عهد محمد على ووصلت أملاكها فى عام ١٨٧٧ إلى ١٨٩٠ فدانًا من أطيان الناحية البالغ زمامها ٥٦٨٢ فدانًا[١٢] . وأيضًا عائلة الفقى ، التى ينحدر منها السيد الفقى عمدة كمشيش (المنوفية) والذى وصلت أملاكه إلى ٤٤٨ فدانًا ، كما نجد عائلة الأباظية (الشرقية) ، التى ينحدر منها السيد باشا أباظة والذى شغل عدة مناصب من بينها منصب وكيل تفتيش عموم الأقاليم ومنحه إسماعيل ٥٠٠ فدان من أطيان الميرى والمتروك بالشرقية ، فوصلت أملاكه إلى ٦٠٠٠ فدان موزعة على نحو خمس عشرة قرية . أما سليمان باشا أباظة – أحد أعضاء المجلس – والذى عين مديرًا للقليوبية ثم الشرقية فقد بلغت أملاكه ٢٠٠٠ فدان موزعة على نحو خمس عشرة قرية . وفى المنيا ، نجد محمد سلطان باشا ، رئيس مجلس النواب ، يمثل الاستقراطية الزراعية بحكم ملكيته الشاسعة التى وصلت إلى ١٣,٠٠٠ فدان ، وكان قبل رئاسته للمجلس مفتشًا عامًا للوجه القبلى . كما نجد حسن باشا الشريعى (المنيا) ، والذى عُينّ قبل عضويته فى مجلس النواب بوظيفة رئيس استئناف قبلى ، ووصلت أملاكه إلى ١٠٦٠ فدانًا[١٣] .

وكما سبق وأوضحنا ، فلم يختلف مجلس النواب الذى عاصر الثورة العرابية من ناحية تكوينه الاجتماعى ، وتركيبه الطبقى فى شئ عن مجلس

شورى النواب السابق فى عهد إسماعيل ، فقد تكون هذا المجلس مــن كبـار الملاك والشرائح العليا للبرجوازية الزراعية من العمد والمشـايخ مـن ذوى العصبيات فى المدن والأقاليم .

وقد برهنت مناقشات الأعضاء خلال دورة انعقاد المجلس العادية التـى استمرت خلال الفترة من (٦ فبراير إلى ٢٦ مارس ١٨٨٢) على توجـهات هؤلاء الأعضاء ومدى انعكاس التكوين الاجتماعى علـى المناقشـات التـى دارت داخل المجلس فى العديد من المسائل والقضايـا موضـع اهتمامـهم . فبخلاف ما اقترحه عبد السلام بك المويلحى – أحد أعضاء المجلـس ومـن تلامذة جمال الدين الأفغانى – من أجل النهوض بـالتعليم الابتدائـى بوجـه خاص وبمستوى التعليم بوجه عام ، أن يقوم كل عضو من أعضاء المجلـس بإنشاء مدرسة ابتدائية على نفقته الخاصة علـى أن تقـوم وزارة المعـارف بإرسال المعلمين من طلبة الأزهر[١٤] . نقول أنه بخـلاف هـذا الاقـتراح ، واقتراح النائب أحمد أفندى محمود ، بوضع قانون لتنظيم العونـة (أعمـال السخرة للمنافع العامة) ، أنصب اهتمام أعضاء المجلس على مناقشة القضايا التى تخدم مصالحهم الخاصة ، كمشروعات الرى ، وإصلاح القناطر الخيرية وتوسيع مداخل الرياحات وإنشاء قناطر بالقرب من أسوان لرفع الميـاه عنـد الحاجة ، وهو الاقتراح الذى حمل بين طياته فكرة مشروع خـزان أسـوان الذى أقامه الاحتلال الإنجليزى بعد ذلك[١٥] .

كذلك اهتم الأعضاء بضرورة ربط المناطق ببعضها بشبكة من خطـوط السكك الحديدية ، لتوسيع دائرة العمران ، وتحقيق سـهولة الاتصـال بيـن المناطق النائية ، وتنظيم التجارة وغير ذلـك مـن المسـائل التـى تخـدم مصالحهـم ، أما قضايا الريف ومشكلات القرية المصرية ، وتدنى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للفلاح ، وانتشار الأوبئة والمجاعات فلم تكن موضـع اهتمام من جانب أعضاء المجلس .

وعقب الاحتلال البريطانى لمصر ، تم استدعاء اللورد دوفرين Duffern الذى كان يعمل سفيرا لبلاده لدى الدولة العثمانية ، لإعادة تنظيم أحوال البلاد الداخلية ، ووضع تصور عام للإصلاحات المطلوبة فى كافة المؤسسات الإدارية والدستورية ، وقد زوده جرانفيل – وزير خارجيته – ببعض المعلومات والتوصيات للاسترشاد بها قبل الشروع فى صياغة تقريره الشهير . وقد أكدت تلك التوصيات على الدور المهم الذى يقع على عاتق بريطانيا فى توفير الأمن والاستقرار الداخلى ، وإعادة تنظيم الإدارة ، مع ضمان المحافظة على السلام والنظام والرخاء الاقتصادى ، وكذلك تدعيم سلطة الخديو ، وتطوير الحكم الذاتى بصورة تضمن وفاء مصر بالالتزامات المالية نحو الدول الأجنبية(١٦) .

وحين شرع دوفرين فى كتابة تقريره الشهير ، تعرض – فيما تعرض له –للسلطة التشريعية ، فأشار بإنشاء مجلسين استشاريين لاتشريعيين – يفيان بأغراض الحكم الذاتى ، أحدهما يعرف بمجلس شورى القوانين والآخر أطلق عليه الجمعية العمومية والتى كانت بمثابة مجلس الشيوخ عند دوفرين .

ووفقا لما أشار به على المسئولين ، صدر القانون النظامى الخاص بإنشاء هاتين الهيئتين شبه النيابيتين فى أول مايو ١٨٨٣ ، بدلا من مجلس النواب السابق الذى عاصر الثورة العرابية ، بعد أن انتحلت الحكومة لإلغائه أسبابا عديدة ، لعل أهمها أنه كان يمثل أثرا مهما وجوهريا من آثارها(١٧) .

وكان مجلس شورى القوانين يتألف من ثلاثين عضوا تقوم الحكومة بتعيين أربعة عشر عضوا منهم وتنتخب مجالس المديريات بقيتهم ، مما كان يتيح للسلطة القائمة ضمان السيطرة على أعضاء المجلس ، والحصول على موافقة أغلبية أعضائه لما كانت تتقدم به الحكومة من مشروعات أو أية إجراءات أخرى . أما الجمعية العمومية فكانت تتكون من اثنين وثمانين عضوا ، يتألفون من النظار الستة وأربعون نائبا(١٨) .

ولم يكن الغرض الحقيقى من إنشاء مجلس شورى القوانين القيام بمهام التشريع ، أو بعبارة أدق وأوضح سن القوانين ، وعرضها على السلطة التنفيذية تمهيدا لإقرارها قبل إصدارها ، إذ خول لتلك السلطة الحق فى عدم الأخذ برأيه فيها . فقد نصت المادة الثامنة عشرة من القانون النظامى السابق الإشارة إليه على أنه « لا يجوز للحكومة إصدار أى قانون أو لائحة تختص بالإدارة العامة ما لم يقدم بداية إلى مجلس القوانين » إلا أنها ختمت بعبارة جعلت هذا الشرط لا يعول عليه ، حيث نصت على « وإن لم تعول الحكومة على رأيه فعليها إيقافه على الأسباب التى بنى عليها هذا الرفض غير أنه لا يجوز له مناقشتها فى شئ من هذه الأسباب » كما منحت هذه اللائحة المجلس الحق فى أن يدلى برأيه فى الميزانية العامة للدولة أو الحساب الختامى لها دون أن تلتزم الحكومة أيضا بآراء المجلس فى هذا الصدد (مادة ٢٢) .

كذلك لم يكن للمجلس الحق فى مناقشة موضوع الجزية المفروضة على مصر للباب العالى وكافة المسائل المتعلقة بقانون التصفية والدين العمومى ، أو ما يتعلق بالمعاهدات الدولية . فكافة هذه الأمور والقضايا كانت خارجة عن دائرة اختصاصات هذا المجلس (مادة ٢٣)[١٩] .

أما الجمعية العمومية ، فإن المشروع لم يفرق بينها وبين مجلس شورى القوانين فى شئ سوى أنه جعل اجتماعها مرة واحدة كل عامين فى الوقت الذى كان يجتمع فيه مجلس شورى القوانين ست مرات على مدار العام . وقد حددت المادتين ٣٤ ، ٣٥ اختصاصات الجمعية العمومية والسلطات المخولة لها بموجب القانون النظامى ، الذى منحها الحق فى إقرار الضرائب الجديدة ، وأن تبدى رأيها فى أى قرض عمومى وكذلك مشروعات الرى والسكك الحديدية ، وفرض ضرائب جديدة على الأطيان الزراعية ، كما كان لها الحق أيضا فى أن تبدى رأيها فى كافة المسائل والمشروعات التى ترسلها الحكومة إليها ودراسة المواد المتعلقة بالثروة العمومية أو

الشئون الإدارية أو المالية ، وعلى الحكومة أن تخطر الجمعية العمومية بالأسباب التى دعتها لعدم الأخذ بما أبدته من الآراء ، دون أن يكون لها الحق فى مناقشة هذه الأسباب . وكان يتولى رئاسة الجمعية العمومية رئيس مجلس شورى القوانين[٢٠] .

وبموجب قانون ١٨٨٣ – السابق الإشارة إليه – ألغيت المسئولية الوزارية أمام المجلس ، كما كان للخديو الحق فى حل المجلس على أن تجرى انتخابات جديدة فى خلال ستة أشهر . وقد استمر العمل بهذا القانون إلى سنة ١٩١٣ حيث صدر فى أول يوليو من هذه السنة قانون نظامى جديد ألغى مجلس الشورى والجمعية العمومية وأحل محلهما مجلسا واحدا سمى «الجمعية التشريعية » . وكانت تتكون من ٨٩ عضوا ، منهم ٦٦ منتخبون ، ٢٣ معينون . وقد روعى وجوب تمثيل الطوائف فى تكوين هذه الهيئة ، وكان الانتخاب لها يتم على درجتين وفقا لقانون انتخاب جديد صدر كذلك فى سنة ١٩١٣ .

وللمجلس أن ينعقد سنويا خلال الفترة من نوفمبر إلى مايو ، والعضوية فيه لمدة ست سنوات[٢١] .

وقد احتفظ هذا المجلس بالاختصاص التشريعى فيما يتعلق بفرض الضرائب ، ومنح حق اقتراح القوانين ، ولكن رأيه ظل استشاريا فيما عدا ذلك ، كما كان الحال فى ظل قانون ١٨٨٣ . ولم يعمر هذا المجلس طويلا ، إذ لم يجتمع سوى مرة واحدة ، فى مدة خمسة أشهر ، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى ، وأعلنت الحماية البريطانية ، فتعطلت الحياة النيابية إلى سنة ١٩٢٣ .

ولم يختلف مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، من ناحية التكوين الاجتماعى والتركيب الطبقى للأعضاء عما كان عليه الوضع فى عهد إسماعيل وأثناء الثورة العرابية ، حيث تكونت هاتان الهيئتان شبه

النيابيتين من كبار ملاك الأراضى الزراعية وأعيان الريف المصرى من العمد والمشايخ ومن ذوى العصبيات فى المدن والأقاليم ، فقد نصت المادة الرابعة عشرة من قانون انتخاب مجالس المديريات والتى كانت تحدد الشروط التى ينبغى توافرها فى أعضاء مجلس شورى القوانين ، على أن يكون العضو المنتخب ممن يدفعون أموالا مقررة على عقارات أو أطيان زراعية قدرها خمسة آلاف قرش سنويا ، كذلك اشترطت المادة الثانية والأربعون من قانون الجمعية ، أن يكون العضو مؤديا منذ خمس سنوات على الأقل فى المدينة أو المديرية النائب عنها عوائد أو مالا مقررا على عقار أو أطيان قدرة ألفا قرش سنويا ، مدرجا اسمه منذ خمس سنوات على الأقل فى دفتر الانتخاب[٢٢] .

وتأسيسا على ذلك ، واستنادا إلى ما جاءت به نصوص القانون النظامى الخاص بإنشاء هذه الهيئات شبه النيابية ، فقد اقتصرت العضوية فى هاتين الهيئتين على الأعيان وكبار الملاك ، وهو أمر يتفق وسياسة الاحتلال البريطانى فى مصر آنذاك ، والتى حرصت على تدعيم ومساندة مصالح هذه الطبقة من البرجوازية الزراعية الكبيرة بعديد من الإجراءات فى المجالين التشريعى والاقتصادى ، وذلك لتحويلها من طبقة ثورية ، برز دور بعض أعضائها خلال أحداث الثورة العرابية ، إلى طبقة من المعتدلين سياسيا تجاه الاحتلال ، بعد أن أصبحت طبقة تابعة وخاضعة ومدينة بشكل جوهرى لأسس السياسة البريطانية فى مصر ، وفى ذات الوقت ، عمل الاحتلال من جانبه على استغلال وضعيتها المسيطرة اجتماعيا ، ونفوذها السياسى الواسع على جماهير الفلاحين فى الريف المصرى ، لإقرار السياسة التى ينتهجها بالإضافة إلى وجود سند ونصير لبريطانيا فى مواجهة التيار المتنامى للحركة الوطنية ، والتى بدت ملامحها عقب تولى الخديوى عباس حلمى الثانى الحكم عام ١٨٩٢ . ودليلنا على صحة ذلك أن أغلب مشروعات التنمية الاقتصادية والتشريعات والقوانين التى تمت صياغتها خلال تلك الفترة (١٨٨٢ –

١٩١٤) ، والفترة التالية ، كانت تخدم بشكل جوهرى مصالح هـذه الطبقة التى تتوافق مع وجود الاحتلال البريطانى فى مصر[٢٣] .

وعلى الرغم من الامتيازات العديدة التى حصلت عليها تلك الطبقة من كبار الملاك والأعيان ، إلا أنها حرصت منذ بداية ممارستها للعمل النيابى ، على أن تعبر عن مصالحها الطبقية ، وألا تتعارض المسائل أو القضايا المطروحة للمناقشة داخل مجلس شورى القوانين أو الجمعية العمومية مع هذه المصالح حتى ولو أدى الأمر إلى التضحية بالمبادئ أو الوقوع فى شئ من التناقض ، فعلى سبيل المثال ، حين اقترح العضو محمود عبد الغفار - أحد كبار الملاك ومن أعيان المنوفية - أن يكون رأى مجالس المديريات فى مسألة إنشاء السكك الحديدية استشاريا لا تقريريا خشية ألا يوافق بعض الأعيان على ألا تمر السكك فى أطيانهم أو يؤخذ من أطيانهم شئ ، رفض المجلس هذا الاقتراح الذى تقدم به أحد أعضائه(٢٤) .

كذلك حرص هؤلاء الأعضاء على أن يكون للأعيان والذوات وضع خاص فى التشريع الجنائى فكانت محاولاتهم لتعديل نصوص القوانين التى كانت تعرض عليهم من جانب الحكومة بالشكل الذى يحقق هذا الغرض على نحو ما حدث عند نظر قانون ترخيص حمل السلاح فقد طالب أعضاء مجلس شورى القوانين بـ « استثناء العمد والمشايخ وأصحاب العزب والذوات المعتبرين من ضرورة الحصول على ترخيص بحمل السلاح[٢٥] .

لقد كانت هذه الطبقة على وعى وإدراك تامين بمصالحها الاقتصادية والسياسية التى يجب - من وجهة نظرها - عدم المساس بها من قريب أو بعيد - وكان المعيار الرئيسى الذى يجمع أفرادها ويكتلها إزاء أى موقف من المواقف هو معيار المصلحة الطبقية . وقد تنوعت الأساليب والوسائل التى انتهجها هؤلاء لحماية مصالحهم والذود عنها تبعا لاختلاف وتنوع جوانب أنشطتهم الاقتصادية التى مارسوها خلال تلك الفترة .

ولم تكن ممارسة طبقة كبار الملاك والأعيان للعمل السياسي داخل المجالس النيابية التى أنشئت منذ عهد إسماعيل ، وحرصها الشديد على أن يتقلد أبناؤها المناصب الإدارية المهمة بأجهزة الدولة المختلفة إلا ضمانا للحفاظ على مصالحها المتنامية . لذا لم يكن غريبا ، والحال كذلك ، أن تكون لها أغلبية كبيرة داخل هذه المجالس التى كادت تقتصر عضويتها عليهم بحكم اللوائح والنظم الأساسية الخاصة بها . وقد برز أعيان المصريين – على وجه الخصوص – فى تلك المجالس ، حيث توارثت عائلات بعينها مقاعد النيابة عن الأقاليم التى كانت مركزا لنفوذها ، كعائلات أباظة وخليل بالشرقية ، والصوفانى والوكيل بالجيرة ، والهرميل والشريف والمنشاوى بالغربية ، والفقى وعبد الغفار وأبو حسين بالمنوفية ، وهلال واللوزى بالدقهلية ، والشواربى بالقليوبية ، والزمر بالجيزة ، والشريعى وعبد الرازق ولملوم وسلطان بالمنيا ، وأبو ستيت وأبو رحاب بجرجا ، وغيرهم ممن شغلوا مقاعد النيابة عن أقاليمهم بحكم كونهم أبرز العائلات وأوسعها ثراء ، كما احتفظوا بمناصب عمد القرى ، إضافة إلى ما كانوا يتمتعون به من مركز اقتصادى واجتماعى ممتاز فى الأقاليم التى كانوا يمثلونها[٢٦] .

وقد تواترت هذه الأسماء فى المجالس النيابية اللاحقة مع ماجد عليها من أسماء تبعا للتطور الاجتماعى والاقتصادى الذى شهدته البلاد عقب صدور دستور ١٩٢٣ وإلغاء الامتيازات الجنبية فى عام ١٩٣٧ ، ومن ثم أطلقت يد المشرع المصرى ليصدر ما يعن له من قوانين ، أدت بدورها إلى نمو وتطور هذه الطبقة داخل المجتمع ، تمشيا مع الأحداث التاريخية التى شهدتها البلاد . ولقد سعت هذه الطبقة أيضا – كما سبق وأوضحنا – إلى الحصول على قدر من المشاركة مع السلطة القائمة يضمن لها المحافظة على أوضاعها وصيانة مصالحها الطبقية ، فضلا عن ضمان إدارة شئون الحكم والسياسة بما يحقق لها تلك المصالح ، وهو ما انتهت إليه ثورة ١٩١٩ ، وعبر عنه دستور ١٩٢٣ .

وقد عادت الحياة النيابية مرة أخرى إلى مصر بصدور دستور ١٩٢٣. فعقب إعلان تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، الذى أصدرته سلطات الاحتلال من جانب واحد ، وأعلن بموجبه استقلال مصر ، وتحولها إلى مملكة اعتبارا من ١٥ مارس من نفس العام ، مع بعض التحفظات المعروفة، دعت الحكومة القائمة وقتئذ الأحزاب السياسية المتواجدة على الساحة ، وهى الوفد والأحرار الدستوريين والحزب الوطنى إلى المشاركة فى وضع دستور للبلاد ، إلا أن الوفد والحزب الوطنى رفضا الاشتراك وطالبا بعقد جمعية عمومية منتخبه من أهل البلاد للقيام بهذه المهمة ، لكن الحكومة القائمة لم تقر هذه الرغبة ، وقامت بتكوين لجنة من ثلاثين عضوا من رجال الحكومة المشتغلين بالقانون ، وزعماء الأحرار الدستوريين وبعض الشخصيات البارزة فى المجتمع ، وعرفت هذه اللجنة باسم « اللجنة العامة لوضع مبادئ الدستور » أو « لجنة الثلاثين » . وقد انتخبت هذه اللجنة هيئة منها تتكون من ثمانية عشر عضوا لوضع المبادئ الدستورية وعرضها على اللجنة العامة ، وأطلق على هذه الهيئة « لجنة وضع المبادئ العامة » أو « لجنة الثمانية عشر » . وبعد أن انتهت اللجنة من وضع الدستور تم عرضه على اللجنة الاستشارية التشريعية بوزارة العدل « الحقانية » ، فأدخلت عليه بعض التعديلات التى لا تمس الجوهر ، ثم صاغته الصياغة القانونية النهائية، وصدر الدستور بعد ذلك فى ١٩ أبريل ١٩٢٣[٢٧] .

وقد اقتبست أحكام هذا الدستور من بعض الدساتير الغربية ، وأصبحت السلطة التنفيذية بمقتضاه للملك ، على أن يباشر سلطات بواسطة وزرائه (المادة ٤٨ من الدستور) « وأوامر الملك شفهية كانت أو كتابية لا تخلى الوزارة من المسئولية بحال » (المادة ٦٢) . وإذا كان للملك أن يعين الوزراء ويقيلهم (مادة ٤٩) ، فقد أصبحت الوزارة مسئولة أمام البرلمان الذى يمثل الشعب ، والشعب مصدر السلطات كما نصت على ذلك صراحة المادة ٢٣ من هذا الدستور .

أما السلطة التشريعية ، فقد كان يتولاها البرلمان بالاشتراك مع الملك . والبرلمان الذى أنشأه دستور ١٩٢٣ يتكون من مجلسين :

أولهما : يسمى « مجلس الشيوخ » ويتكون من طبقات معينة ويضم أعضاء منتخبين (ثلاثة أخماس المجلس) وأعضاء معينين (خمساه الباقيان) . ومدة العضوية فى هذا المجلس عشر سنوات ، على أن يتجدد المجلس نصفيًا كل خمس سنوات .

وثانيهما : يسمى « مجلس النواب » ، وجميع أعضائه منتخبون بالاقتراح العام ، ويتجدد كل خمس سنوات[٢٨] .

وفيما يتعلق بالشروط التى وضعت لاختيار أعضاء البرلمان ، فقد أوضحتها إحدى مواد الدستور والتى نصت على ضرورة أن يقوم من يرشح نفسه للبرلمان « بدفع تأمين قدرة ١٥٠جنيهًا » ، كما نصت المادة ٧٨ على أنه « يشترط فى عضو مجلس الشيوخ ، منتخبًا أو معينًا أن يكون من بين الوزراء السابقين أو السياسيين ، ورؤساء مجالس النواب ، ووكلاء الوزارات، ورؤساء ومستشارى الاستئناف أو أية محكمة أخرى من درجتها، وكذا كبار العلماء والرؤساء الروحانيين ، وكبار الضباط المتقاعدين ، والنواب الذين قضوا مدتين فى النيابة ، والملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيهًا فى العام ، ومن لا يقل دخلهم السنوى عن ألف وخمسمائة جنيه من المشتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصناعية أو بالمهن الحرة » .

كذلك نصت المادة التاسعة من الدستور على أن للملكية حرمة فلا ينزع من أحد ملكه إلا بسبب المنفعة العامة فى الأحوال المبينة فى القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه وبشرط تعويضه عنه تعويضاً عادلاً . وبهذا ضمنت هذه الطبقة من كبار الملاك الاحتفاظ بملكياتها وعدم المساس بها ،

إلا فى حالات ضيقة كشق الترع وإنشاء المصارف وما إلى ذلك[٢٩] . وهو ما يكشف لنا عن الأساس الاقتصادى للطبقة التى كانت وراء الدستور أو بالأحرى الطبقات التى استفادت منه وحصدت ثمار تطبيقه .

وقد كان فى ذلك ضماناً للطبقات الغنية من كبار ملاك الأراضى التى استطاعت بنفوذها الاقتصادى والاجتماعى أن تسيطر على أغلب مقاعد البرلمان ، كما يتضح فى قيمة التأمين الذى كان ينبغى على المرشح أن يدفعه (١٥٠جنيهاً) وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت ويبدو هذا الأساس الاجتماعى للدستور أيضاً فى المادة (١٥) التى نصت على أن « إنذار الصحف أو وقفها أو إلغائها بالطريق الإدارى محظور إلا إذا كان ذلك ضرورياً لوقاية النظام الاجتماعى » والمادة (٢٠) التى نصت على «حق المصرين فى الاجتماع ما عدا الاجتماعات العامة فهى خاضعة لأحكام القانون كما أن ذلك يقيد أو يمنع أى تدبير يتخذ لوقاية النظام الاجتماعى » .

واستخدمت حجة « وقاية النظام الاجتماعى » لمواجهة كافة الدعوات الإصلاحية أو الاشتراكية فالنقاش حول نظام الملكية أو الدعوة إلى تأميم المرافق العامة أو إلى إنشاء النقابات العمالية كان يمكن أن تعتبر من المسائل التى يعاقب عليها المشرع بحجة وقاية النظام الاجتماعى[٣٠] .

وقد حرص أصحاب المصالح الزراعية على أن تكون السلطة التشريعية ممثلة لمصالحهم بقدر الإمكان ، وكانت اهتماماتهم – وهذا شئ طبيعى – منصبة بالدرجة الأولى على حماية مصالحهم الاقتصادية والدفاع عنها . بل إن بعض القضايا السياسية كانت تناقش من زاوية المصالح الخاصة ومدى تأثرها وتأثيرها فيها ، فعلى سبيل المثال ، لم يكن يهمهم فى تصريح ٢٨فبراير ١٩٢٢ من يحكم السودان بقدر ما كان يهمهم تأمين مصادر مياه النيل[٣١] .

وعندما بدأت المفاوضات فى يوليو ١٩٢٦ بين إنجلترا وإيطاليا بشأن الحبشة وقيل وقتذاك أن إنجلترا تنوى إقامة خزان على بحيرة تسانا ، أثير سؤال فى مجلس النواب عما فعلته الحكومة إزاء تهديد أعالى النيل .

ونتيجة لأزمة انخفاض أسعار القطن المصرى التى كلن يتعرض لها المنتج أثير أكثر من مرة فتح أسواق روسيا كبديل لتحكم أسواق غرب أوروبا ، « وعدم الاهتمام بالدعايات التى تقول بأن روسيا تجعل من التجارة ستاراً لنشر الشيوعية » هذا فى وقت كان النظام السياسى يحارب أى محاولات للاتصال بروسيا[٣٢] .

وإذا كان أصحاب المصالح الزراعية قد حاولوا جاهدين أن تعبر السلطة التشريعية عن مصالحهم وأن تكون السلطة التنفيذية أداتهم فى حماية هذه المصالح ، فقد عملوا أيضاً على ألا يحتفظ الملك بسلطات مطلقة يكون من شأنها تقييد حريتهم فيما يهدفون إليه من تقرير أمور فى مصالحهم قد تتعارض مع رغبات الملك بطريقة أو بأخرى .

وتبدو رغبتهم فى تحديد سلطة الملك وتحديد علاقته بالسلطة التشريعية والتنفيذية من خلال مناقشة المبادئ العامة للدستور المتعلقة بمبدأ سيادة الأمة وسلطة الملك أو ما كان يسمى بحقوق العرش[٣٣] .

على أن السلطات التى أعطاها الدستور للملك توضح بجلاء أنه كان يملك ويحكم فى ذات الوقت ، مخالفاً بذلك طبيعة السلطة الملكية فى النظام البرلمانى والتى تجعل الملك يملك ولا يحكم .

وكان من بين السلطات التى منحت الحاكم حقه فى حل مجلس النواب بشكل مطلق (مادة٣٨) ، وفى تأجيل انعقاد المجلس (مادة ٣٩) ، وحقه فى إنشاء ومنح الرتب العسكرية والمدنية والنياشين وألقاب الشرف

الأخرى ، وحق العضو وتخفيض العقوبة (مادة٤٣) ، وتوليه وعزل الضابط . مادة (٤٦) وكذلك تعيين كبار رجال الدين وكبار رجال السلك الدبلوماسي . هذا بالإضافة إلى الحق فى تعين خمسى (٢/٥) أعضاء مجلس الشيوخ ، ولضمان حماية حقوق الملك نصت المادة ١٥٨ على أنه « لا يجوز إحداث أى تنقيح فى الدستور خاصة بحقوق مسند الملكية مدة قيام وصاية العرش » ، ونصت المادة ١٥٦ على عدم إمكانية تنقيح الدستور فيما يتعلق بنظام وصاية العرش[٣٤] .

وقد تباينت وتوحدت مواقف كبار الملاك من بعض القضايا الإصلاحية التى طرحت داخل البرلمان إبان هذه الفترة (١٩٢٣-١٩٥٢) ، وكانت وجهة نظرهم - تمثل مساساً وإضراراً بمصالحهم المتنامية ، منها - على سبيل المثال - قضية تحديد الملكية الزراعية ، وتحديد الإيجارات الزراعية ، وأجور العمال الزراعيين وعدد ساعات عملهم ، وفرض ضرائب على مياه الرى لمن يملك ما يزيد على مائة فدان ، وكذلك فرض ضريبة تصاعدية على الدخل الزراعى .

ففيما يتعلق بقضية تحديد الملكية الزراعية ، نجدهم يعلنون صراحة رفضهم التام لهذا المشروع الذى كان قد تقدم به عضو مجلس الشيوخ (محمد خطاب) إلى البرلمان وكان يقضى بعدم السماح لأى شخص يملك أكثر من خمسين فداناً بشراء أو حيازة أرض جديدة ، على الرغم من موافقة لجنة الشئون الاجتماعية فى مجلس الشيوخ على المشروع مع تعديل الحد الأقصى إلى مائة فدان[٣٥] . إلا أن المجلس الذى كانت غالبيته الساحقة من كبار الملاك رفض المشروع نهائياً فى عام ١٩٤٧م ، وعوقب مقدم المشروع بفصله من الحزب السعدى الذى كان ينتمى إليه العضو جزاء

إصراره على التقدم بهذا المشروع (الاقتراح) الذى كـــان يمثـــل إضـــراراً بمصالح هذه الطبقة من الناحية الاقتصادية[٣٦] .

كذلك عارضت هذه الطبقة كافة الاقتراحات التى قدمت إلى البرلمـــان بمجلسيه من بعض الأعضاء المعتدلين لتحديد قيمـــة الإيجـــارات الزراعيـــة وأجور العمال الزراعيين وكذا عدد ساعات عملهم ، كمـــا عـــارضت مبـــدأ فرض ضرائب تصاعدية على الدخل الزراعى ، مما يؤكد حـــرص هـــؤلاء على الإبقاء على استمرار تبعية غالبية المجتمع المصرى لها بحرمانه من كل من حق يرقى به إلى حد المساواة معها .

الهوامش

(١) جهادية أوامر محفظــة(١٧) ، أمــر عــال بتــاريخ ٢٣ ربيــع آخــر ســنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م.

(٢) معية تركى ، دفــتر ٦٩ ، وثيقــة ٣٨ ، ١٦ جمــاد أول ســنة ١٢٥١هــ/ ١٨٣٥م. كذلك انظر ، أحمد فتحى زغلول ، المحاماة ، ص١٥٨ .

(٣) مركز الدراسات السياسية بالأهرام : مائة عام على الثــورة العرابيــة ، فقــال للدكتور رؤوف عباس حامد بعنوان « المعارضة الوطنيــة وإرهاصــات الثــورة العرابية » ، ص٤٩

(٤) معية سنية عربى ، دفتر ٣٢ ، جــ١ ، قيد اللوائح والقرارات والمنشــورات ، ص٤١– ٤٦ .

(٥) شفيق شحاتة : تاريخ حركة التجديد فى النظم القانونية فى مصر منــذ مطلــع القرن التاسع عشر ، ص٢٤ .

(٦) وقد تضمن القرار الوارد لائحة تأسيس المجلس ونظامه ، وصــدر لانتخــاب أعضائه أول قانون انتخاب فى تاريخ مصر الحديث ، وهو القــانون الصــادر فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨٦٦ ، وهذا يمثل بداية التجربة النيابية فــى مصــر . انظر أمين سامى ، تقويم النيل ، عصر إسماعيل المجلــد الثــانى ، جــ٣ ، ص٦٧٦ – ٦٨٠

(٧) عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جــ٢ ، ص٩٤ – ١٦٨

(٨) عاصم الدسوقى : كبار ملاك الأراضى الزراعيــة ودورهــم فــى المجتمــع المصرى (١٩١٤ – ١٩٥٢) ، ص١٤

(٩) للمزيد من التفاصيل حول مواقف هذه الطبقة من تلك القضايــا ، انظــر عبــد العزيز رفاعى ، فجر الحياة النيابية فى مصر ١٨٦٦ – ١٨٨٢

(١٠) خطاب الخديو إسماعيل لنوبار باشا فى أكتوبر ١٨٦٦ . مذكورا فــى كتــاب محمد خليل صبحى : تاريخ الحياة النيابية فى مصر ، جــ٤ ، ص٢٠

(١١) خلال هذه الفترة ، وفى عهد وزارة حسن راسم باشا (١٨٧٩) ، طلب محمود العطار وكان يمثل زعيم المعارضة وقتئذ ، أن تتلى على النواب مواد الدستور ، الأمر الذى يعد انطلاقة للمعارضة الوطنية .

(١٢) وقد ذكر على مبارك فى « الخطط التوفيقية » أن عائلة الشواربى كانت تمتلك فى أواخر القرن التاسع عشر ٤٠٠٠ فدان من زمام قليوب البالغ ٧٠٠٠ فدان .

(١٣) على بركات : تطور الملكية الزراعية فى مصر وأثره على الحركة السياسية ١٨١٣ - ١٩١٤ ، ص٢٤٣ - ٢٤٩ . وكانت سمنود عهده عند البدرواى ، حيث أصبح له وقف فيها بلغ نحو ١٤٠٠ فدان .

(١٤) الوقائع المصرية ، العدد ١٣٥١ ، ٧ مارس ١٨٨٢

(١٥) الوقائع المصرية ، العدد ١٣٦١ ، ١٩ مارس ١٨٨٢ . ومقدم الاقتراح هو العضو محمود سليمان بك والد محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين فيما بعد.

(16) Tignor, R.: Modernization and Brithish Colonial Rule In Egypt, P. 52.

(١٧) تقرير دوفرين ، ص١٣ . وكانت مدة انتخاب الأعضاء المندوبين لمجلس شورى القوانين - كما حددها دوفرين - ست سنوات .

(١٨) نفس المصدر .

(١٩) أحمد قمحة ، عبد الفتاح السيد : نظام القضاء والإدارة ، ص١٣٩ - ١٤١

(٢٠) المرجع السابق ، ص١٤٦ - ١٤٨ . ومما هو جدير بالملاحظة والذكر أنه قد تولى رئاسة مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية منذ إنشائهما وحتى عام ١٩١٣ سبع رؤساء ينتمون إلى طبقة كبار الملاك ورجال الحاشية ، هم سلطان باشا (١٨٨٣ - ١٨٨٤) ، على باشا شريف (١٨٨٤ - ١٨٩٤) ، عمر لطفى باشا (١٨٩٤ - ١٨٩٩) ، إسماعيل باشا محمد (١٨٩٩ - ١٩٠٢) ، عبد المجيد صادق باشا (١٩٠٢ - ١٩٠٩) ، البرنس حسين كامل باشا

(١٩٠٩ – ١٩١٠) ، محمود فهمي باشا (١٩١٠ – ١٩١٣) ، الهلال، عدد نوفمبر ١٩١٣ ، تاريخ السلطة النيابية في مصر .

(٢١) شفيق شحاتة : تاريخ حركة التجديد في النظم القانونية في مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ص٢٥

(٢٢) الرافعي : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، ص٥٣ . ولم يختلف الحال بالنسبة لأعضاء الجمعية التشريعية التي حلت محل المجلسين السابقين عليها .

(٢٣) كان من بين المكاسب التي حققتها سلطات الاحتلال لكبار الملاك تثبيت حق الملكية الفردية التام للأرض الزراعية . ففي عام ١٨٨٣ ، صدر القانون المدني الأهلي ليؤكد في مادته الثامنة حق الملكية التام للأراضي الخراجية التي دفعت عنها المقابلة ، ثم أدخلت بعض التعديلات على هذا القانون في عام ١٨٩١ ، ألغي بموجبها شرط دفع المقابلة ، كما أدخل تعديل آخر في سبتمبر ١٨٩٦ نص على أن « تسمى ملكا العقارات التي يكون للناس فيها حق التمليك التام بما في ذلك الأطيان الخراجية » . واستنادا إلى ذلك، فقد تم رفع أي قيد أو شرط على الملكية الفردية للأرض الزراعية.

(٢٤) مضابط مجلس شورى القوانين ، جلسة ١٩٠٩/٦/١٥ ، مذكورا في أحمد زكريا الشلق ، حزب الأمة ودوره في السياسة المصرية ، ص٢٥٦ ، ٢٥٧

(٢٥) رؤوف عباس حامد : النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ، ص٢١٩

(٢٦) رؤوف عباس حامد : النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ، ص٢٤٦

(٢٧) روز اليوسف ، العدد ٩٠٨ ، ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٥ ، مقال للدكتور السيد صبري بعنوان : بعض عيوب الدستور المصري . وقد جرت الانتخابات على أساس هذا الدستور في ٢ يناير ١٩٢٤ ، وفاز فيها حزب الوفد بأغلبية تكاد تكون إجماعا ودعي سعد زغلول لتأليف الوزارة تبعا للقواعد الدستورية.

(٢٨) شفيق شحاتة : تاريخ حركة التجديد فى النظم القانونية فى مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ص٢٧ ، ٢٨ . وجدير بالملاحظة أنه تم إحلال دستور آخر محل دستور ١٩٢٣ ، وهو دستور ١٩٣٠ ، وأعيد العمل بدستور ١٩٢٣ مرة ثانية ، حتى انتهاء تجربة مصر الليبرالية فى يوليو ١٩٥٢

(٢٩) راشد البراوى : حقيقة الأنقلاب الأخير ، ص٤٩ .

(٣٠) على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر ، ص١٠٨، ١٠٩.

(٣١) عاصم الدسوقى : كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى (١٩١٤-١٩٥٢) ، ص٢٤١-٢٤٣.

(٣٢) نفس المرجع .

(٣٣) عاصم الدسوقى ، المرجع السابق .

(٣٤) على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر ، ص١٠٥ ، ١٠٦.

(٣٥) حول موقف الوفد باعتباره حزب الأغلبية المدافع عن الطبقات الفقيرة ، انظر موقفه من مشروع محمد خطاب فى مضابط مجلس الشيوخ ، جلسة ١٩٤٦/٧/١٦، ، ص٩٤٨ ، حيث اتفق زعيم المعارضة الوفدية (سراج الدين) مع رئيس المجلس على وأد المشروع . وكان محمد خطاب قد تقدم بالمشروع عام ١٩٤٥.

(٣٦) ومن الأمور العجيبة أن اللجنة المالية بمجلس النواب أشارت – فيما أشارت إليه – بخصوص السياسة العامة لميزانية ١٩٤٧ ، وإلى سوء توزيع الملكيات الزراعية ونادت بزيادة الضرائب على من يملكون أكثر من مائة فدان ، إلا أن مثل هذه الإشارات كانت تذهب – كغيرها – أدراج الرياح .

مصادر الدراسة

أولا : وثائق غير منشورة :

- دفاتر المعية السنية عربى ، قيد اللوائح والمنشورات .
- جداول أعمال محاضرات جلسات مجلس الوزراء .
- محفوظات عابدين ، وثائق مجلس الوزراء .

ثانيا : وثائق منشورة :

- أمين سامى : تقويم النيل ، عصر إسماعيل ، القاهرة ١٩٣٦ .
- التقرير العام المرفوع من دوفرين إلى اللورد جرانفيل فى فبراير ١٨٨٣ .
- تقارير كرومر عن المالية والإدارة والحالة العمومية فى مصر والسودان فيما بين عامى ١٨٩٠ ، ١٩٠٦، ترجمة وطبع صحيفة المقطم .
- مضابط جلسات مجلس شورى القوانين ١٨٨٣، ١٩١٣ .
- مضابط جلسات الجمعية العمومية ١٨٩٦، ١٩١٢ .
- مضابط جلسات الجمعية التشريعية ١٩١٤ .
- مضابط مجلس النواب ١٩٢٤ ، ١٩٥٢.
- مضابط مجلس الشيوخ .

ثالثا : الدوريات :

- المقطم ، يومية ، يعقوب صروف ، فارس نمر ، شاهين مكاريوس ، ١٨٨٩ .
- المؤيد ، يومية ، على يوسف ١٨٨٩ .
- الهلال ، شهرية ، عدد نوفمبر ١٩١٣ .
- الوقائع المصرية ، عددى ٧، ١٩ مارس ١٨٨٢ .

رابعا : المراجع العربية :

- أحمد زكريا الشلق ، الدكتور : حزب الأمة ودوره فى السياسة المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ .
- أحمد فتحى زغلول : المحاماة ، القاهرة ، ١٩٠٠.
- أحمد قمحة : شرح قانون الخمسة أفدنة ، القاهرة ، ١٩١٣ .
- أحمد قمحة ، عبد الفتاح السيد : نظام القضاء والإدارة ، القاهرة ١٩٢٣ .
- جاكوب لاندو ، ترجمة سامى الليثى : الحياة النيابية والأحزاب فى مصر من ١٨٦٦ ، ١٩٥٢ ، القاهرة ، د.ت.
- راشد البراوى ، الدكتور : حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
- رءوف عباس حامد ، الدكتور : النظام الاجتماعى فى مصر فى ظل الملكيات الزراعية الكبيرة . القاهرة ، ١٩٧٣ .
- شفيق شحاتة ، الدكتور : تاريخ حركة التجديد فى النظم القانونية فى مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٦١ .
- عاصم أحمد الدسوقى ، الدكتور : كبار ملاك الأراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ ، ١٩٥٢، القاهرة ١٩٧٥ .
- عبد الرحمن الرافعى : عصر إسماعيل ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٨٢ .
- : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- عبد العزيز رفاعى الدكتور : فجر الحياة النيابية فى مصر ١٨٦٦ ، ١٨٨٢ ، القاهرة ١٩٦٤ .
- على الدين هلال ، الدكتور : السياسة والحكم فى مصر، القاهرة ، ١٩٧٥.

- على محمد بركات ، الدكتور : تطـور الملكية الزراعيـــة فــى مصــر ١٨١٣ ، ١٩١٤ . وأثره على الحركة السياسية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

- لطيفة محمد سالم ، الدكتورة : النظام القضائى المصرى الحديث ١٨٧٥ - ١٩١٤ ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

- محمد عبد الله العربى ، الدكتور : سياسة الإنفاق الحكومـــى فــى مصــر ١٨٨٢ ، ١٩٤٨ ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

خامسا : الأجنبية :

- Cromer: E: Moderm Egypt, 2Vol. Lomdom, 1908.
- Tignor Robert: Modernization and British Colonial Rule in Egypt, 1882-1914, Princeton, 1966.
- Willcocks, W,: Egyptian Irrigation, London, 1899.

ابن ماجد السعدى العمانى

أسطورة الملاحة العربية (٨٢٥هـ/١٤٢١م - ٩٠٦هـ/١٥٠٠م)

رؤية جديدة (الهوية - العلاقة مع البرتغاليين - تطور الملاحة العربية)

د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمى

كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس

مقدمة

تهدف هذه الدراسة " ابن ماجد السعدى العمانى : أسطورة الملاحة العربية " إلى التعرف على هذا العلم الذى حام حوله لغط لم ينته بعد ، وذلك حول التشكيك فى هوايته ، واتهامه بالقضاء على الملاحة العربية والإسلامية بإرشاد المكتشف والملاح البرتغالى فاسكو دى جاما Vasco De Gama من ميناء مالندى بشرق إفريقيا إلى ميناء كاليكوت Calicut بساحل ملبار Malabar بالهند فى علم ١٤٩٨م .

يكشف هذا البحث عن هذا اللغط ويحدد مساره ، وذلك من وجهة نظر عمانية ، وسيرتكز هذا البحث على ثلاثة محاور أساسية :

أولا : هوية أحمد بن ماجد السعدى ونشأته ، حيث ثار جدل حول هذه الهوية وتنازعته الدول كل يدعى أنه ينتسب إليها ، فهو عمانى من مدينة جلفار العريقة والتى تعرف حاليا بإمارة رأس الخيمة

- إحدى إمارات دولة الإمارات العربية المتحدة - كما أن المؤرخين السعوديين ينسبون ابن ماجد إلى أسرتين نجديتين : الأولى أسرة آل ماجد القاطنة فى قرية ثرمدا ، والثانية أولاد النوخذا المتواجدة فى قرية ثادق . كما ينسب أحيانا إلى أنه نجدى من اليمين أو من ظفار من جنوب عمان .

ثانيا : قضية اتهام ابن ماجد بقيادة سفينة المكتشف والملاح البرتغالى فاسكو دى جاما Vasco De Gama ، وما ارتبط بها من إرشاد البرتغاليين من سواحل شرق أفريقيا إلى الهند .

ثالثا : مؤلفات ابن ماجد وجهوده فى تطوير الملاحة العربية فى المحيط الهندى والبحار العربية ، كما يتضح من كتابه الفوائد .

اعتمد الباحث على مجموعة من المصادر والمراجع التى تعتنى بابن ماجد والشئون الملاحية ، والكشوف الجغرافية وفى المقام الأول مؤلفات ابن ماجد نفسه والدراسات الحديثة التى تتعلق بهذا الموضوع والتاريخ الأوربى والمقالات العربية التى لها صلة بالموضوع كما سيظهر فى ثبت المصادر والمراجع فى نهاية البحث .

إن ابن ماجد السعدى نال من الدراسة والاهتمام أكثر من غيره إذ توجد عنه العديد من الدراسات بلغات العالم المختلفة ، فنجد أخباره فى كثير من الموسوعات والقواميس العربية والأجنبية ، وتكاد لاتخلو أى موسوعة من ذكره . وذلك لفضله وأثره على الملاحة البحرية ، ولكن يبقى هناك شئ من دقائق الأمور التى لا يعرفها إلا أبناء جلدته .

أولاً : هوية ابن ماجد السعدى :

١ - شخصية ابن ماجد :

(أ) نسبه :

جاء اسم أحمد بن ماجد فى معظم كتبه بصيغ مختلفة فمرة يأتى اسمه خاليا من اسم أبيه وأحيانا مقترنا باسم أبيه وأخرى بذكر اسمه واسم والده وجده .. الخ ، والذى يهمنا هنا اسم أحمد كاملا ، فهو : أحمد ابن ماجد بن محمد بن عمر بن فضل بن دُويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبى معلق السعدى بن أبى الركائب النجدى . وجاءت هذه الصيغة الكاملة فى مؤلفاته التالية :

١ - كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد(١) .

٢ - أرجوزة " تصنيف قبلة الإسلام "(٢) .

٣ - أرجوزة " بر العرب فى خليج فارس "(٣) .

٤ - قصيدة " الذهبية "(٤) .

أما اسمه مقترنا بوالده فقد جاء فى عدد كبير من أراجيزه وقصائده وكذلك اسم جده الأول والثانى ولا أرى ضرورة فى تتبع ذلك .

كما أن ابن ماجد تلقب بألقاب دينية وأخرى علمية وردت فى مؤلفاته النثرية والمنظومة . يقول ابن ماجد فى أرجوزته السفالية " اختراع رابع الثلاثة حاج الحرمين الشريفين ، شهاب الدين "(٥) .

فمن ألقاب الدينية : الشهاب ، وشهاب الحق ، وشهاب الدين ، وشهاب الدين والدنيا ، وحاج الحرمين الشريفين (٦) .

أما ألقابه العلمية التى وردت فى مؤلفاته المختلفة هى :

١ – رابع الثلاثة(٧) ، ورابع الليوث ، ورابع الليوث الثلاثة ، وخلف الليوث.

٢ – الرئيس المقدم ، ورئيس علم البحر ، وأستاذ فن البحر .

٣ – المعلم ، والمعلم أسد البحر الزخار ، وأسد البحار .

٤ – ربان الجهازين .

(ب) قبيلة ابن ماجد :

ينتمى ابن ماجد إلى قبيلة بنى سعد وقد أكد ابن ماجد نسبه إليها فى أكثر من موضع منها :

١ – أرجوزة « السفالة » فى البيت ٦٩١ :

هى سبعُ مائة بيت يزيد عنها   عن أحمد السعدى احْفَظَنْها(٨)

٢ – فى قصيدته الذهبية فى البيت ١٩١ :

كفيت أحمد السعدى شفاعة أحمد إذا

مارمى يوم الوعيد بصايب(٩)

٣ – فى أرجوزة المكية فى البيت ١٦٩ :

إذا جاء بعدى عالم ثم نمنى   فلست شهابا عن بنى سعد صادر(١٠)

٤ – فى أرجوزة نادرة الابدال فى البيت ٣٩ :

إذا اجتهد الرصّادُ واختَرعُوا لنا   كأمثالها ما كنت عن سعد صادر(١١)

٥ – فى صدر أرجوزته السبعية[١٢] .

٦ – فى صدر أرجوزتة قبلة الإسلام[١٣] .

٧ – فى صدر كتابه الفوائد [١٤] .

٨ – فى أرجوزته النونية الكبرى فى البيت ١٣٨ :

يا أحمد السـعدى عـش طول المدى

فعلى حيـاتك هـذه عنوانـى[١٥]

وقد أول أحمد بن ماجد نسبه إلى سعد بن قيس بن عيلان بـن مضـر (من عرب الشمال) فقال فى قصيدته " عدة الأشهر الرومية فى البيت ١٣ :

فخـذ حكمـا من ماجـد ابن ماجـد

يؤول إلى سعد بن قيـس بن عيـلان [١٦]

وبنو سعد من القبائل العمانية العريقة فى عمان تقطـن فـى منطقـة الباطنة من عمان ، وقد أشار الشاعر العمانى ابن عديم الرواحى فى نونيتـه المشهورة :

وأين آل سعد عزم نجدتكـم وأنتم لرسـول الله أحضـان

وينسـب الشيخ سـالم بن حمود السـيابى هـذه القبيلة فى كتابـه « إسعاف الأعيان » بقوله : « هم من سـعد بن بكر بن هوازان بن منصور ابن عكرمة بن خصفه بن قيس بن عيلان بن منصور بن نزار بـن معـد عـدنان »[١٧] . وبهذا يكون أحمد بن ماجد السعدى من قبيلـة بنـى سـعد العمانية ذات الأصل العدنانى .

وقد لعبت قبيلة بنو سعد دورا بارزا فى مجرى التاريخ العمانى وأثرت فى الأحداث العمانية وهى كثيرة العدد قدرها مايلز S. B. Miles فى كتابه الخليج بلدانه وقبائله " بـ : ٦٠,٠٠٠ نفس عام ١٨٨١م[١٨] ، بينما كان تقرير أفراد هذه القبيلة عند لوريمر J. G.Lorimer عام ١٩٠٩م بـ : ١٣,٠٠٠ نفس[١٩] . وفى تقرير القنصل البريطانى الميجر شنسى Major F. C. L. Chauncy عام ١٩٥١م بأن عدد أفرادها بـ : ١٠,٠٠٠ نفس[٢٠] ، وأعتبر ترتيبها الثانى من حيث الحجم بين القبائل العمانية ، حيث تتوزع فى ولايات منطقة الباطنة .

وقد ظهر فى هذه القبيلة أعلام بارزون فى المجالات السياسية والثقافية والقضائية ، ونذكر على سبيل المثال : الشيخ جُميل بن خميس بن لافى السعدى (ق : ١٩م) صاحب كتاب « قاموس الشريعة »[٢١] والشيخ محمد ابن سليم الغاربى (ت : ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م)[٢٢] الذى كان أحد الأقطاب الثلاثة فى حكومة الإمام عزان بن قيس (١٢٨٥هـ/١٨٦٨م - ١٢٨٧هـ/١٨٧١م) وغيرهم من الأعلام فى مجال السياسة والإدارة والأدب .

٢ – نشأة ابن ماجد :

إن المصادر لاتسعف الباحث فى إلقاء الضوء على حياة أحمد بن ماجد ومكان مولده ونشأته ووفاته ، وكيف قضى طفولته ، ناهيك عن تاريخ مولده ووفاته أيضاً ، ولا نجد سوى ما أشار إليه ابن ماجد نفسه فى بعض مؤلفاته ، وهى إشارات مبعثرة هنا وهناك دون قصد ، ولكن بعض الكتاب حاولوا التقاط هذه المعلومات الميسرة عن حياة هذا العَلَم ، والذين أجمعوا على أن

موطن أحمد بن ماجد هو مدينة جلفار (رأس الخيمة) الواقعة علـــى ســاحل عمان الشمالى (دولة الإمارات العربية المتحدة حالياً) واعتمدوا على نظـــم أورده ابن ماجد فى أرجوزته " البليغة فى قياس ســهيل والرامــح " ٤٩-٥٢ فقال(٢٣) :

رعى الله جُلفــار ومن قد نشــأ بها

واســقى ثراهــا واكــف متتــابع

بهــا من أســود البحر كل مجــرب

وفــارس بحــر فى الشــدائد بارع

يُسرك فى الأوصاف إن وصفت له

وحــدود جسور فى المهمات شاجع

إذا ســام فى شـــىء ترجّــوا كماله

يقــوم ولم يمنعــه عن ذلك مانــع

كما أشار ابن ماجد إلى جُلفار فى البيت ٨٥ من الفصل الحادى عشـــر من « حاوية الاختصار » التى نظمها فى عام ٨٦٦هـ/١٤٦٣م فيقول(٢٤) :

تمت بشهر الحج فى جلفــار أوطان أسد البحار فى الأقطار

ومن هنا يتضح أن ابن ماجد ولد فى جلفا ونشأ بـــها وتلقــى علومـــه الأولية ومباءئ الكتابة والقراءة بها على أيدى والده وكتاتيب جلفار ، وعندمــا بلغ مبالغ الرجال اعتلى سطح السفينة لكى يتلقى تدريبه على يد والده مـــاجد ابن محمد الذى هو أيضا من ربابنة البحر . وله أرجوزة فى ركوب البحـــر وشؤونه ترعى" الحجازية " (٢٥) .

فعكف ابن ماجد على دراسة الملاحة البحرية نظرياً وعملياً فهو قد قرأ ما كتب عن شئون الملاحة ومؤلفات الرحالة والملاحين ، وبعد خمسين عاماً من التدريب والتجربة بدأ يضع باكورة عمله ونتائج بحثه فظهرت له المؤلفات التى غدت قواميس وأدلة يستعين بها رواد المحيطات والبحور ، وأضحى اسم ابن ماجد على لسان كل ربان ، فلا غرابة أن نجد ملاحو جزيرة العرب يدشنون سفنهم بالفاتحة على روح ابن ماجد (٢٦) .

لكن ما أوردناه من أن أحمد بن ماجد السعدى من جلفار وأنه عمانى يلقى نزاعاً من المؤرخين السعوديين الذين يدّعون أن أحمد بن ماجد منهم وأنه نجدى ، وأن من أجداده من نجد. وقد حددوا له مكانان : أولهما أنه من بلدة ثادق – إحدى قرى منطقة العارض بنجد – وأنه تميمى وتدعى أسرته بـأولاد النواخذا (٢٧) . بينما المكان الآخر الذى ينتمى إليه أحمد بن ماجد هو بلدة ثرمداء – إحدى قرى إقليم الوشم بنجد – وأنه من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وتدعى أسرته هناك بآل ماجد (٢٨) . لكن هذا الإدعاء يفتقر إلى الأدلة الجوهرية المقبولة ، وليس الواجب منا أن نسمع حجج واهية ليس لها سند قوى ، بوجود أسماء متاشبهة لابن ماجد أو صفة من صفاته ، ومن العبث التوقف عندها أمام الحجج التى تنسبه إلى جُلفار ، ولا ينبغى أن نشتت أفكار القارئ لهذه الآراء بعد أن أجمع الباحثون على أصله العمانى . فبالإضافة إلى ما ذكرناه من أشعار ابن ماجد نفسه ، والتى تؤكد نسبه إلى مدينة جلفار نجد أن أمير البحر التركى الرئيس على بن الحسين – قد قضى سبعة أشهر من عام ١٥٥٤ م ما بين البصرة والهند – الذى كان مولعاً بعلوم الملاحة ، وألف كتاباً بعنوان " المحيط " أشار فيه إلى أحمد بن ماجد وسليمان المهرى الشحرى (٢٩) . وأشار الرئيس على بن الحسين إلى أن ابن ماجد من مدينة جلفار من ولايات عمان ، وأيد هذا القول كل من المستشرق الفرنسى

جبرائيل فيراند G. Ferrand (٣٠) والعلامة المستشرق الروسى شوموفسكى T. A. Shumovs; y (٣١) ، كما أكد ذلك الشيخ منصور بن إبراهيم الخارجى فى كتابه الموسوم بـ " القواعد والميل والنتيجة وعلم البحر " يقول الشيخ منصور تحت عنوان : أقوال الشيخ أحمد بن مايد (ماجد) شيخ علم البحر . "بسم الله الرحمن الرحيم فهذا مختصر فى علم البحر ، من كلام شيخ الأول .. أحمد بن مايد بن محمد ... سكن قلفار (جلفار) وهى طلع من رأس الخيمة " (٣٢) .

وعلى العموم فإن الكتاب متفقون على أنه من عمان ، إلا أن شهرة ابن ماجد جعلت البعض ينسبونه إليهم ظنا ، كما يدعى آل ماجد أهالى ثرمداء أو أولاد النواخذا كما يزعم أهالى بلدة شادق . فالحقيقة أن الأسماء تتشابه والألقاب تتكرر ، ولا يمكن لأى أسرة أن تنسب نفسها لشخص إلا إذا كان لديها قرائن وبراهين تؤيد هذا الرأى أو ذلك . ، وربما أن آل ماجد وأولاد النواخذا هاجروا من رأس الخيمة إلى وسط الجزيرة العربية - نجد - وإلى هاتين القريتين وليس العكس (٣٣).

٣ - مولد ابن ماجد :

أما تاريخ مولد وتاريخ وفاته فهما مجهولان ، وقد اجتهد الدكتور إبراهيم خورى فى تخريج تاريخ مولده والذى حدده عام ٨٢٥ هـ/١٤٢١م ، وقد اعتمد على تحليل أشعار ابن ماجد والإشارات التى وردت فى مؤلفاته ، وافترض أن ابن ماجد نزل البحر مع أبيه وعمره لايتجاوز خمس عشر سنة، وذلك حيث توفرت لدى ابن ماجد القوة الجسمانية الكافية ، ثم يضيف الدكتور خورى خمس سنوات أخرى وهى فترة التدريب فى أحوال البحر وشؤون الفلك ليكون عمره عشرين ربيعا حينما أصبح معلما ثم عكف ابن ماجد على

التجارب والملاحظة لمدة خمسين عاما حتى ظهرت مؤلفاته وأراجيزه إلى الوجود يقول ابن ماجد فى قصيدته البائية المسماة الذهبية فى البيت : ٩ ، وهى إعادة نظمها ثانية فى عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م :

ومن بات يرعاهُنّ خمسين حجّة

على طلب عاف الكرى فى الغياهب(٣٤)

ويكرر الخمسين سنة فى أرجوزته المكية المنظومة فى عام ٨٩٣هـ :

وصفت لكم تجريب خمسين حجة

فشيين قلبى لا تقل شاب ظاهر(٣٥)

وفى مقدمة كتابه الفوائد يقول : « ما صنفت هذا الكتاب إلا بعد أن مضت لى خمسون سنة ... »(٣٦) وكتاب الفوائد ألفه ابن ماجد عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م وهذا فقط المختصر - الذى بين أيدينا - لكتاب الفوائد المطولة الذى كتب عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م ، يقول ابن ماجد عن هذا الكتاب « فإنى استحضرت هذا الجزء وغيره من عشرة أجزاء ، ليترقى به الإنسان لغيره خوفا من إطالة الكتاب »(٣٧) وهذا أيضا ينطبق على القصيدة الذهبية التى ذكرت فى هذا الكتاب أى أن الذهبية ألفت قبل عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م.

وهذا التحليل موافق للواقع الذى يجعل أن ابن ماجد بدأ بالتجربة والملاحظة عام ٨٤٥هـ ، حيث قد بلغ عشرون عاما ، ولكن للأسف لا يجد هذا التخريج قبولا عند كثير من المؤرخين الذين حددوا عام ٨٤٥هـ هو عام ميلاده واعتمدوا على تاريخ كتابه الفوائد(٣٨) يقول ابن ماجد فى الفائدة السادسة من كتابه « الفوائد » : « الحذر كل الحذر من صاحب السكان (مقود السفينة) لا يغفل عنه ، فإنه أكبر أعدائك فلا تدرى عند النتخة

من غريمك من أهل السكان ، وما صنفت هذا الكتاب إلاّ بعد أن مضت لى خمسون سنة ، وما تركت فيها صاحب السكان وحده ، إلاّ أن أكون على رأسه أو من يقوم مقامى(٣٩) .

ونجد ابن ماجد قد صرح بأنه لم يكتب مؤلفه هذا - أى الفوائد - إلاّ بعد أن مضى عليه خمسين سنة من التجربة ، ولم يفارق مقود السفينة فيها أى فى الخمسين السنة قط ، إلا من يثق به ، ولهذا لم يقل ابن ماجد أنه منذ ولادته كما فهم الذين يؤرخوا لولادته عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م . ويمكن أن نزيد إيضاحاً أن ابن ماجد ألف حاوية الاختصار عام ٨٦٦هـ/١٤٦١م ، وهو يقول أنه فى أول الشباب ، فهل يا ترى أن عمر ابن ماجد حينما ألف الحاوية كان واحد وعشرين سنة أم واحد وأربعين سنة ؟؟

ونحن نميل إلى الرأى الثانى وهو أن عمره كان واحد وأربعين سنة لأنه لم يكن لابن ماجد من التجربة ما يؤهله لتأليف الحاوية وعمره واحد وعشرين سنة ، وعندما كملت تجربته وعلمه ألف كتابه الفوائد بعد ١٤ سنة من تأليف الحاوية ، أى فى عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م ، ثم اختصره من عشرة مجلدات فى عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م أى بعد ١٥ سنة . ولهذا نذهب بترجيحنا إلى أن مولد ابن ماجد كان فى عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م(٤٠) .

وإذا كان ابن ماجد قد نظم قصيدته المكية وألف كتابه " الفوائد " بعد خمسين سنة من القراءة والتجربة والملاحظة ، فإن بداية دخوله البحر مع والده وعمره ١٥ سنة وإنه احتاج لخمس سنوات لمعرفة البحر ، ثم دخوله مرحلة التجربة وعمره ٢٠ عاما ، وألف كتابه الفوائد بعد خمسين سنة أى عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م وهو الكتاب المطول ، وعلى ذلك يكون دخول ابن ماجد التجربة فى عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م وعلى ذلك يكون مولده عام ٨١٠هـ/١٤٠٧م .

لهذا فإن الباحث يتفق مع الدكتور خورى فى رأيه ، وهو الذى يرجح أن يكون مولده فى عام ٨٢٥هـ/١٤٢١م أو ما قبل هذا التاريخ ، ولا أرى أن ولادته كانت بعد هذا التاريخ ، أما ما قاله ابن ماجد فى أرجوزته الحاوية فى الفصل الأخير(٤١) والتى نظمها فى جلفار فى شهر ذى الحجة من عام ٨٦٦هـ/١٤٦٢م وأن ذلك كان فى أول الشباب فإن تحديد أول الشباب يحتاج إلى نظر ، وقد فند هذا القول الدكتور تبتس G. T. Tibbetts ، حيث يقول لا يمكن أن تكون حاوية الاختصار التى تشمل على معارف كثيرة عن شؤون البحر وتحتوى على ١١ فصلا تخرج عن رجل ليس له خبرة فى شئون البحر ، (وعمره لا يتجاوز ٢١ سنة) ., إذ يقول (٤٢) :

but the Háwíya is a long poem dealing with the whole of the Indian Ocean and only a man of experience could have thought it worth while to have produced such a word .

٤ - وفاة ابن ماجد :

أما وفاة ابن ماجد فقد اعتقد الدكتور خورى أنه مات بعد عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م وقد تجاوز الثمانين عاماً بالتقويم الهجرى ، وهذا الاعتقاد مبنى على أن ابن ماجد توقف عن التأليف بعد هذا التاريخ وكان آخر قصيدة نظمها ابن ماجد هى قصيدة " المخمسة " ولم يكن له أى إنتاج فكرى سوى ما قيل عن أرجوزة السفالية " التى وردت فيها أخبار البرتغاليين وتاريخ وصولهم الهند عام ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، ولكن الدكتور خورى يشك فى بعض أبيات أرجوزة السفالية ويعتبرها منحوتة أو مدسوسة ، وهو على حق فى شكه . وسوف نناقش ذلك لاحقاً .

ثانياً : ابن ماجد والبرتغاليون :

قبل الحديث عن الملابسات والحجج التى اتهمت أحمـــد بـــن مـــاجد السعدى فى قيادته لسفينة فاسكو دى جاما ، واعتبره الكتـــاب خائنـــا لوطنـــه وأمته على حد قول على التاجر ، أو أنه ساعد على القضاء علـــى الملاحـــة العربية على حد قول حورانى " فكان من سخريات التاريخ أن ملاحاً عربيـــاً كبيراً ساعد على القضاء على الملاحة العربية (٤٣) ، ويقول قدرى القلعجى " ومما يؤسف له أن ملاحاً عربياً هو البطل أحمد بن ماجد ، قد ســـاهم علـــى غير إرادة منه بتحطيم سيادة قومه على المحيط ، حين اســـتعان فاســـكو دى جاما ، قائد الأسطول البرتغالى ، بالربان العربى عام ١٤٩٨ م لقيادة الســـفن البرتغالية عبر المحيط الهندى "(٤٤) قبل الحديث عن هذه الملابسات سنشـــير باختصار إلى جهود البرتغاليين وأهدافهم من الوصول إلى الشرق .

أجمع المؤرخون على أن للبرتغاليين أهداف متعددة مـــن محاولاتـــهم الوصول إلى الشرق ، منها أهداف دينية ، وأهـــداف اقتصاديـــة ، وأخـــرى أهداف علمية وسياسية ، فمن الناحية الدينية كانوا يهدفون إلى القضاء علـــى الإسلام فى عقر داره وهذا الهدف قد راود العالم الأوروبى المســـيحى منـــذ العصور الوسطى وبعد فشلهم فى الاحتفاظ ببلاد الشام فيما يعرف بـــالحروب الصليبية .

ففى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى انطلقت الرحـــلات البرتغالية نحو أفريقيا بقصد اكتشاف طريق يقودهم إلى أرض التوابل وهـــى الهند خلافا للطريق الذى يسيطر عليه العرب والمسلمون . ولكى يتبارك هـــذا العمل لا بد أن يحصلوا على بركة دينية وسببا لحمـــاس الشـــعب المســـيحى للمشاركة فى هذه الرحلات ماديا ومعنويا ولهذا حصـــل البرتغـــاليون علـــى

تركية دينية ففى عام ٨٥٩هـ/١٤٥٤م أصدر البابا نيقولاً الخامس منشوراً يبارك فيه هنرى الملاح ويعطيه الحق فى أن يغزو جميع الشعوب والأقاليم التى يسودها أعداء المسيح . وتكرر مثل هذه المراسيم عام ٨٦١هـ/١٤٥٦م . كما ربط هذا الدافع بطرد المسلمين من مملكة غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان سقوط القسطنطينية فى يد المسلمين فى عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م على يد محمد الثانى السلطان العثمانى (٨٥٥هـ/١٤٥١م - ٨٨٣هـ/١٤٧٨م) قد أزعج الشعوب الأوروبية وأدى إلى ازدياد الحقد الصليبى ضد المسلمين ، واعتبار صراع الحبشة ضد المسلمين نوع من الجهاد المقدس ولذا يجب الاتصال بهم ومساعدتهم (٤٥) . وقد عبر الملك البرتغالى الذى قامت فى عهده أول حملة بحرية إلى الشرق بقوله " إن الغرض من اكتشاف الطريق البحرى إلى الهند هو نشر المسيحية والحصول على ثروات الشرق " (٤٦) .

أما العامل الاقتصادى فهو الهدف الرئيسى عند البرتغاليين الذين لديهم الرغبة فى الاستئثار بالتجارة الشرقية التى كانت تحتكر من قبل الإيطاليين والعرب - فى نظر البرتغاليين طبعاً . ولهذا سعى البرتغاليون جاهدين للوصول إلى منابع التجارة فى الهند لكى يتخلصوا من احتكار المسلمين لها يضاف إلى ذلك ما رأوا من ثراء الإيطاليين من تجارة الشرق وما سمعوه من قصص عن الشرق تحكى عن ترابه وحضاراته الرفيعة (٤٧) .

كانت رحلات البرتغاليين على مراحل بدأها هنرى الملاح Henry the Navigator (١٣٩٤م - ١٤٦٠م)(٤٨) الذى وصل إلى خليج غانا . ثم تابع البرتغاليون محاولاتهم فوصل الملاح الشهير بارثولوميو دياز

Bartholomew Diaz إلى خليج موســل Mossel Bay علــى الســاحل الشرقى لأفريقيا فى عام ٨٩٣هـ/١٤٨٧م ولهذا فإن دياز دار حول أفريقيــا ورف رأس الرجاء الصالح Cape of Good Hope الذى أطلق عليــه رأس العواطف Cape of Storms وفى عهد الملك عمانويل Manoel (١٤٩٥م - ١٥٢١م) تحققت أحلام البرتغاليين حينما وصلوا إلى الهند وتحكموا فــى التجارة الشرقية لمدة أكثر من مائة عام قبل منافسة الأوروبيين لــهم . فــهذا الملك جهز أربع سفن وأسند قيادتها للملاح الشهير فاسكو دى جامــا Vasco da Jama الذى غادر لشبونة فى ٨ يوليو ١٤٩٧م/٩٠٣هـ على أربع ســفن أطلق على هذه السفن أسماء القديسين (سانت جبرائيل ، وســانت مشــيل ، وبيرو ، وأوسارو) تضم هذه السفن الأربع ما بيــن ١١٨ و١٥٠ بحــارا ، وذودت السفن الأربع بالأجهزة الخاصة بالملاحة والخرائط ، وآلات الحمايــة كالبنادق والمدافع . وكانت سفينة القيادة سانت جبرائيل تحمــل وحدهــا ٢٠ مدفعا ، وبعد ثلاثة أشهر دارت الحملة حول رأس الرجاء الصالح، ثم تــابعت إبحارها نحو الشمال فوصلت إلى موزنبيــق Mozanbique فــى فــبراير ١٤٩٨ م وهى أول الموانى الإســلامية علــى الســاحل الشــرقى لأفريقيــا والمعروفة بالسفالة التابعة لسلطان كلوة المسلم ، ولم تمكث الحملة كثــيرا لأن ملاحى الحملة تحرشوا بالأهالى فلم يلقوا الترحــاب بعــد أن عرفــوا أنــهم برتغاليين وليسوا بالعثمانيين كما أعلنوا عن هوايتهم فى بادى الأمــر ، ثــم أبحر فاسكو دى جاما باتجاه الشمال محاذيا الساحل فوصل مالندى Malindi فى يوم الأحد ١٥ إبريل ١٤٩٨ م ، بعد أن بطش بمجموعــة مــن الجــزر والموانى التى مر عليها فى طريقه ، وكانت الموانى الشرقية لأفريقيا غاصــة بالتجار العرب والهنود ، وقيل أن السبب الذى دعى بالبرتغاليين التوجه نحو

مالیندی هو معرفتهم بوجود سفن فی مرساها تعود إلی هنود مسـيحيين مـن منطقة كامبای الهندية ، وأن بإمكانهم الحصول على دليل مناسب لـهم(٤٩) . وحينما أرسى فاسكو دى جاما أمام مالندى أرسل إلى ملكها الذى رحـب بـه وزوده بربان ماهر أصله مسلم من جوزرات الهندية . وهذا الربـان الـذى أرشد فاسكو دى جاما هو أحمد بن ماجد السعدى العمانی .

وفی هذه السطور سوف نحاول تدعيم الحجة التی تنفی اشـتراك ابـن ماجد السعدی فی قيادة الأسطول البرتغالی أو المساهمة فی إرشاده للوصـول إلى الهند ، وذلك بمناقشة الموضوع من خلال ثلاث زوايا :

١ - رواية النهروالی .

٢ - الوثائق البرتغالية .

٣ - أرجوزة السفالية لابن ماجد .

١ - رواية النهروالی :

النهروالی هو قطب الدين محمد بن أحمـد (٩١٧/١٥١١ - ٩٨٩/١٥٨٢) ، ينتسـب إلى نهروالی فی ولاية جوزرات بالهند (تسمى اليوم بتن) . اصلـه من لاهور ، وهاجر منها إلى الحجاز ، فعاش فی مكة المكرمـة . والتحـق بخدمة الدولة العثمانية ، لكونه يجيد اللغـة العربيـة والتركيـة والفارسـية بالإضافة إلى لغته الهندية ، وترقى إلى وظيفة مفتی مكة المكرمة ، وصنـف كتابه " البرق اليمانی فی الفتح العثمانی " فی عام ٩٨٧هـ/١٥٧٩م بطلـب من سنان باشا الذى فتح اليمن عام ١٥٦٩م(٥٠) ، وهو الكتاب الذى ورد فيـه أخبار البرتغاليين ومساعدة أحمد بن ماجد لهم(٥١) .

والسـؤال الذى يطرح نفسـه هو هل أحمـد بـن مـاجد الـذى ورد أسمه المجرد من أی لقب فی نص كتاب النهروالی ، وهـو نفسـه العلامـة

شهاب الدين ، أسد البحار ، حاج الحرمين الشريفين أحمد بن ماجد السعدى أم غيره؟ .

إن الباحث يعتقد أن هذا العَلَم الذى جاب البحار هو بعينه الذى يقصده النهروالى ، وليس غيره ، والنص التالى هو الذى يحمل فيه النهروالى أحمد ابن ماجد مسؤولية إيصال وإرشاد البرتغاليين إلى الهند (٥٢) :

« وقع فى أول القرن العاشر [الهجرى] - أى سنة ١٤٩٥م - من الحوادث الفوادح النوادر دخول « الفرتقال » [البرتغاليين] اللعين ، من طائفة الفرنج الملاعين ، إلى ديار الهند . وكانت طائفة منهم يركبون من زقاق سبته - مدينة مغربية تحت الاحتلال الأسبانى - فى البحر ، ويلجون بحر الظلمات [المحيط الأطلسى] ، ويمرون بموضع قريب من جبال القُمْر (بضم القاف وسكون الميم) جمع أقمر ، أى أبيض وهى مادة أصل بحر النيل ، ويصلون إلى الشرق ، ويمرون بموضع قريب من الساحل ، فى مضيق ، أحد جانبيه جبل ، والجانب الثانى بحر الظلمات ، فى مكان كثير الأمواج . لا تستقر به سفائنهم ، وتتكسر ، ولا ينجو منهم أحد ، واستمروا على ذلك مدة ، وهم يهلكون فى ذلك المكان ، ولا يخلص من طائفتهم أحد إلى بحر الهند ، إلى أن خلص منهم غراب - نوع من السفن - إلى الهند فلا زالوا يتوصلون إلى معرفة هذا البحر إلى أن دلهم شخص ماهر من أهل البحر ، يقال له أحمد بن ماجد ، صاحبه كبير الفرنج ، وكان يقال له الملندى وعاشره فى السكر ، فعلمه الطريق فى حال سكره ، وقال لهم : لا تقربوا الساحل من ذلك المكان ، وتوغلوا فى البحر ثم عودوا ، فلا تنالكم الأمواج ، ولما فعلوا ذلك صار يسلم من الكسر كثير من مراكبهم ، فكثروا فى بحر الهند ، وبنوا فى كُوة [جوا] من بلاد الدكن قلعة يسمونها كوتا ، ثم أخذوا هرموز [هرمز] وتقووا هناك وصارت الإمداد تترادف عليهم من البرتغال

فصاروا يقطعون الطريق على المسلمين أسرا ونهبا ، ويأخذون كل سفينة غصبا » .

وقد أحاط هذا النص الغموض والأخطاء ، ونوضح ذلك مع تحليلها على النحو التالى :

١ - أن الكتاب قد ألف بعد ٨٢ سنة من وصول البرتغاليين إلى الهند أى أن النهروالى لم يكن معاصرا للأحداث .

٢ - أن الكتاب غير موثق فى تاريخ وصول البرتغاليين إلى الهند ، حيث ذكر وصولهم فى أول القرن العاشر - أى ١٤٩٥م - والحقيقة كان علم ٩٠٤هـ/١٤٩٨م .

٣ - كان النهروالى يعتمد على المصادر اليمنية فى تأريخه عن البرتغاليين من أمثال وجيه الدين أبو عبد الله عبد الله بن على الشيبانى الزبيدى المعروف بابن الديبع (٨٦٦هـ/١٤٦١م - ٩٤٤هـ/١٥٣٧م) الذى عاصر الأحداث البرتغالية وكتب عن أخبارها ابتدأ من عام ٩٠٨هـ/١٥٠٣م ، ولم يشر ابن الديبع إلى أحمد بن ماجد لا من قريب ولا من بعيد .

٤ - وهنالك مؤلف يمنى آخر معاصر لابن الديبع يدعى عفيف الدين أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله الحميرى الشيبانى الحضرمى ومعرف بيامخرمة (٨٧٠هـ/١٤٦٥م - ٩٨٤هـ/١٥٤٠م) وهو صاحب كتاب « تاريخ ثغر عدن » لم يذكر شيئا عن أحمد بن ماجد على الرغم أنه كتب عن البرتغاليين اعتبارا من عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م .

٥ - وهناك أيضا مؤلفا أخر بعنوان : تحفة المجاهدين فى بعض أحوال البرتغاليين للعلامة أحمد بن زيد الدين المعبرى الملبارى (ت بعد

٩٩١هـ/١٥٨٣م) وهو من علماء ملبار المشهورين(٥٣) والذى ألف كتابه « التحفة » بين عامى ٩٦٥هـ/١٥٥٧م و٩٨٨هـ/١٥٨٠م حيث أنه أهداه لسلطان ملبار السلطان على بن عادل شاه (ت:٩٨٨هـ/١٥٨٠م) ، وبعده أكمل العلامة أحمد وقائع أحداث ثلاث سنوات أخرى ليقف الكتاب عند أحداث عام ٩٩١هـ/١٥٨٣م . والعلامة أحمد لم يشر إلى أحمد بن ماجد ومساعدته للبرتغاليين ، ورغم أن كتابه يتحدث عن وصول البرتغاليين إلى الهند وحملات المماليك والعثمانيين ضد البرتغاليين .

٦ - هنالك مؤلف آخر هو الرئيس على بن الحسين القائد العثمانى الذى وصل إلى منطقة الخليج العربى واستقر فى أحمد أباد مدة ثلاث سنوات من أعوام الخمسينيات من القرن السادس عشر ، وعكف الرئيس على تأليف كتابه " المحيط " بعد أن تتبع مؤلفات ابن ماجد وسليمان المهرى ونقل منها نقلا حرفيا ، وأثنى على أحمد بن ماجد كثيرا ، ولكنه لم يشر إلى دور أحمد بن ماجد فى إرشاده أو قيادته للأسطول البرتغالى .

٧ - يجهل النهروالى الأماكن الجغرافية التى سلكها البرتغاليون ابتداء من لشبونة إلى السفالة (موزمبيق) .

٨ - يوحى الكتاب أن المشكلة التى اعترضت البرتغاليين هى كيفية الانتقال من بحر الظلمات إلى بحر الهند فى الجنوب - مع علمنا أن الملاح البرتغالى دياز هو الذى نجح فى ذلك المكان ودار حول أفريقيا عند رأس الرجاء الصالح قبل عشر سنوات من رحلة فاسكو دى جاما .

٩ - ذكر النهروالى أن أحمد بن ماجد أرشد البرتغاليين وهو فى السفالة ، وعلى الرغم من أن مؤرخى البرتغال ذكروا أن عملية الإرشاد تمت فى مالندى وعن طريق سلطانها الذى تلكأ كثيرا فى تقديم المساعدة ولولا

زيارة أحد خلصاء السلطان لسفينة فاسكو دى جاما والقبض عليه كرهينة ريثما يقدم السلطان الربان المناسب الذى وعد به ، ما كانت عملية الإرشاد تتم .

١٠ - لم يذكر النهروالى أن أحمد بن ماجد عمل ربانا أو معلما على سفينة فاسكو دى جاما ولا على غيرها من السفن البرتغالية .

١١ - ذكر النهروالى أن فاسكو دى جاما كان يعرف بالملندى ، ولم نجد أنه قد تلقب بهذا اللقب فى كتابات البرتغاليين أو غيرها أو أحد أشار إليه بهذا اللقب . وقد اختلط الأمر على النهروالى ، حيث الذى كان يعرف بهذا اللقب هو البوكيرك القائد البرتغالى الشهير (٥٤) .

١٢ - ذكر النهروالى أن أحمد بن ماجد عاشر فاسكو دى جاما وشرب الخمر حتى ثمل / وهذا يتنافى سلوكيا وأخلاقيا لأحمد بن ماجد وأن المستشرق الفرنسى فيراند ناقش هذه التهمة ، ورأى استحالتها على هذا الرجل المتمسك بالدين ، كما توضح كثير من تعاليمه فى ركوب البحر وقواعده ، ويعلق الدكتور أنور محمد عبد العليم على المعاشرة وشرب الخمر بقوله « فضربة كبرى تجافى الحق والمنطق وتتنافى مع ما اتصف به هذا الربان من أخلاق فاضلة وما كان عليه من ديانة وورع وخشية الله » . « ثم أردف » وأخيرا وليس أخرا فهل كان الربان البرتغالى من السذاجة - إذا صدقنا كلام النهروالى - بحيث يسلم قيادة سفينته لرجل لعبت الخمر برأسه(٥٥) .

هذه الملامح الظاهرة من النص والواقع الذى أورده النهر والى ، وما حاولنا تفنيده ، علما بأنه لم يشر إلى المصادر التى امتدته بهذه المعلومات ، وفى اعتقادنا أن هناك سبب دعا النهروالى إلى ذلك ، أما أنه عثر على وثيقة ، أو لديه مصدر موثوق ، أو أبهرته شهرة ابن ماجد التى طغت على

الآفاق هى التى جعلته ينسب إليه هذا الإرشاد ، وربما أن معالمة الهند الذين أشاعوا هذه التهمة لكى يدرؤوا عن أنفسهم هذا العمل المشين ، وألصقوها بأحمد بن ماجد غيرة وحقداً .

وعلى العموم فإن النهروالى لا يشير إلى أن ابن ماجد رافق البرتغاليين إلى الهند ، بل وصف لهم الطريق وهو بسفالة التى نظن أن ابن ماجد لم يكن هناك ، ويعلق الدكتور الحمدانى على قول النهروالى بقوله " بهذا يتحدد دور ابن ماجد فى هذه الناحية – طبقا لنص النهروالى– فى إرشاد البرتغاليين قولاً وعملاً ووصفاً وليس عملاً وقيادةً ولو فعل لما قال : " وتوغلوا فى البحر ثم عودوا " أى أن الأمر مجرد إسداء النصح وتقديم المشورة التى من شأن أن تسهل مهمة وصولهم إلى الهند(٥٦) وبهذا يذهب الحمدانى أن دور ابن ماجد تمثل فى عملية الإرشاد والنصح فقط دون القيادة.

ولهذا يرى الباحث أن الزوبعة الهوجاء التى أثارها قطب الدين النهروالى ليست بشئ وأنها ضربا من الخيال لعدم وجود دليل واحد يدعم وجهة نظره لا عند المعاصرين للأحداث أو اللاحقين ، ولهذا لا ينظر إلى هفوة هذا العالم فى حق ابن ماجد ، وأنها مجرد شائعة مختلقة ، ولا يركن الباحث إلى آراء الأخرين الذين يرون أن علاقة ابن ماجد بالبرتغاليين تتمثل فى عملية الإرشاد فقط دون القيادة .

٢ – الوثائق البرتغالية :

أشرنا سابقا إلى ما أجمع عليه مؤرخو البرتغال من أن مرشد فاسكو دى جاما من مالندى إلى الهند كان رباناً هندياً مسلماً من جوزرات بالهند ، كما أنهم استفادوا بمجموعة من المعالمة (المعلمين) من الأماكن التى توقفوا عندها . وأن هذا المرشد ذا خبرة ملاحية عالية ، ولكنهم اختلفوا فى اسمه :

معلم كانا ، والمعلم كاناكا ، والمعلم كاناكو . وهذا الربان أو المعلم عرفته الوثائق البرتغالية بالأسماء التالية(٥٧) :

١ – المعلم كاناكا Canaca حسب رواية فرناندو لوبيز دا كستنهيدا Fernando Lo pez da Castanheda فى كتابه : Historia do Descoprimento Econquista de India Pelos Portuguezes

٢ – المعلم كانا Cana حسب رواية جاو دا باروس Joao da Barros ، فى كتابه : Da Asia, dos Feitos que os Portuguezes Fizeran Nodescubrimento Econquista dos Mareseterras do Oriente.

٣ – المعلم كاناكو Canaque عند داماوو دا غويس Damiao da Goes ، فى حوليات صاحب الجلالة الملك د . عمانويل Chronica do Rei D. Manul .

وحدد كتاب عمانويل دى فيري صوفى Manul de Fariay Soufa المترجم إلى اللغة الإنجليزية عام ١٦٩٥ م تحت عنوان : History of the Discovery of India جنسية الدليل بأنه جوزراتى من الهند واسمه ماليموكانا (٥٨) ، وجاء فى كتاب « ملاحة فسكودى جاما » أن هذا الدليل كان يجيد التحدث بالغة الإيطالية .

هذا هو الدليل واسمه وجنسيته كما فى المصادر البرتغالية ، فأعجب به قائد الحملة فاسكو دى جاما وبخبراته ، وأطلعه على بعض الأدوات والخرائط التى بحوزته والمستخدمة فى البحار الشرقية والعربية ، وأكد هذا الدليل على فاسكو دى جاما أن العرب يستخدمون فى بحر القلزم (الأحمر) آلات بحرية وخرائط دقيقة ، ولهذا تمكن فاسكو دى جاما من الاعتناء بهذا الدليل الذى وصفه باروس بأن فاسكو دى جاما عثر على كنز عظيم(٥٩)

أو على حد قول هاو بأنه كانت مفاجأة كبرى للبرتغاليين أن يجدو في حيازة هذا العربي خريطة للهند[٦٠] .

وانطلق فاسكو دي جاما وسفنه من مالندي في يوم الثلاثاء ٢٤ إبريل ١٤٩٨ م ووصل إلى كالكوت بعد ٢٢ يوما أي يوم ١٦ مايو ١٤٩٨ م . وبهذا تحققت أهداف البرتغاليين بعد محاولات كثيرة للوصول إلى الهند ، وبعدها بدأ غزو البلاد العربية الإسلامية .

إن الذي يهمنا من هذه المقدمة هو اسم المعلم الذي قاد الأسطول البرتغالي من مالندي إلى كاليكوت أو الذي أرشدهم ، والذي صرحت به الوثائق البرتغالية بأن اسمه " كانا" ، ولكن بعد ٨٢ سنة من ذلك التاريخ جاء مؤلف باللغة العربية هو كتاب « البرق اليماني » للنهروالي ، وأطلق على هذا المعلم اسمه " أحمد بن ماجد " فقط . وظلت القضية كما هي حتى ربط العالم الفرنسي جبرائيل فيرند Cabriel Farrand عام ١٩١٢ بين اسم كاناكا الذي جاء في الوثائق البرتغالية وأحمد بن ماجد الذي جاء في كتاب البرق اليماني للنهروالي[٦١] لكن فيراند توقف عند رواية النهروالي ثم علق على بعض الرويات بما يلي[٦٢] :

« إلا أن الرواية القائلة بأن أميرال بحار الشرق حصل على معلومات من أحمد بن ماجد بعد أن دعاه إلى الطعام وأسكره تبدو غير موثوقة ، فالمسلمون فيما هو معلوم لا يقبلون دعوة إلى الطعام عند أحد النصارى إذا كانت معرفتهم بهم غير وطيدة ، وتأكدوا أن أطعمتهم وأشربتهم لا تحتوى ما تحظره شرائعهم وعاداتهم الدينية . إذن لدى المرء ما يدفعه لاستغراب قبول المعلم العربي دعوة الأميرال البرتغالي وفي رأى أن خبر السكر مختلق بحذافيره وأكذوبة فيما يبدو ، غايتها تبرير عمل يعتبره مسلمو مكة خيانة

عظمى .. أما أخبار الرحلات البرتغالية فلا داعى لديها لإخفاء الحقيقة وتختلف روايتها من رواية النص العربى .

لم يهتم الباحثون الأوروبيون بهذا التعليق ، بل أخذوا يؤكدون هذه الصلة ، وتلقف البحثون العرب هذه المقولة كتقليد دون تمحيص وكحقيقة ثابتة لا مفر عنها بل غدوا يكيلون عليه التهم ، وأنه فرط فى البحرية الإسلامية ، واستمر الحال على ذلك حتى تصدى لهذا الرأى ، ونقضه أحد علماء الشام وهو الدكتور إبراهيم خورى ، حيث دافع عن ابن ماجد واستنكر عملية الإرشاد أو القيادة ، وأثبت علميا أن ابن ماجد برئ من هذه التهمة[٦٣].

والحقيقة أن أحمد بن ماجد كان معروفاً فى البحار الهندية والعربية ولا يُخفى أسمه على أحد ، كما كان معه دائما مجموعة من الناس ، وأن له سفينة خاصة به ، وليس هو مكتسب رزق ، كما أن أسمه سهل النطق لم يكن عسيراً فى نطقه ، أضف إلى ذلك أن الأسماء التى جاءت فى الوثائق البرتغالية لم تكن إحدى ألقابه ، وأن هذه الوثائق لايمكن أن تخفى الحقائق دون سبب معين .

ويقول كاموس مادحاً هذا المرشد " هو قائد وموجه للسفينة ، لم يكن فيه شيء من الكذب ، فهو كان يبحر للأمام متجها فى الطريق البحرى الصحيح وفى بعض المصادر البرتغالية أن هذ الربان كان يجيد اللغة الإيطالية ، ونحن نؤكد أن أحمد بن ماجد لم يجد قط أى لغة أوربية .

ومكانة شهاب الدين أحمد بن ماجد السعدى مشهورة عند ربابنة البحر، فكان يعقد الحلقات الدراسية لمناقشة شؤون البحر ، والاكتشافات الجديدة ، يقول فى قصيدته الذهبية (البيت ١٨٥) موضحاً حضوره تلك الحلقات[٦٤]:

وإنى شهاب كشهاب اذا غدت   معاملة الحلقات تقفو مطالبى

ويقول فى كتابه " الفوائد " [٦٥] وقد حضرت فى شىء وعشرين حلقة زاخرة بالمعالمة فلم أقم إلاّ منصوراً .

٣ - أرجوزة السفالية لابن ماجد :

نظم أحمد بن ماجد السعدى أرجوزته " السفالية " قبل عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م ، لأنها مذكورة فى البيت : ١٦٢ من القصيدة الذهبية[٦٦] :

ومن قال سوفالية قد هدى بها   هنوداً وأهل الزنج ثم المغارب

وقد وردت فيها أحداث يعود تاريخها إلى عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ، وهذه الأحداث تتعلق بأخبار البرتغاليين ، حيث أشارت القصيدة إليهم ١٤ مرة فى ٩٦ بيتاً فى مقاطع مختلفة . ولم يشر أحمد بن ماجد إلى أنه اتصل بالبرتغاليين أو تعاون معهم كما يدعى كثيرون من الكتاب المحدثون من أمثال فيراند وشوموفسكى وغيرهما ، وقد قام الدكتور إبراهيم خورى – عند دراسته لأعمال ابن ماجد – بتمحيص هذه الأبيات الزائدة على الأرجوزة ، واعتبراها أبيات منحولة أو مدسوسة ، وعلل ذلك بعدة أسباب أهمها[٦٧] :

١ – اضطراب سياق العرض وانقطاع تسلسل الأفكار .

٢ – خبر وصول البرتغاليين بالنسبة للعرب جاء متأخراً .

٣ – طعن ابن ماجد فى السن واحتمال وفاته .

٤ – جهل ابن ماجد بمدينة مالندى .

٥ – تاريخ نظم أرجوزة السفالية التى ذكرت فى قصيدة الذهبية فى البيت : ١٦٢ والتى إعادة نظمها ثانية منها عام ٨٩٠هـ/١٤٨٩م ، وعلى ذلك تكون أرجوزة السفالية قد نظمت قبل هذا التاريخ على أصح الأقوال .

٦ – العدد الصحيح لأبيات السفالية (١٠٧ بيتاً) .

فقد كان من عادة أحمد بن ماجد أن يحدد عدد أبيات أراجيزه وقصائده نذكر من قصائده التى ذكرت عدد الأبيات :

(أ) فى عام ٨٦٥هـ/١٤٦٠م نظم قصيدته القافية وحدد أبياتها ٣٣ بيتاً[٦٨]:

وأعـدادها أعـداد شـهر وعُشْـره

كذلك جـاءت كالعـروس المقُرطق

(ب) فى عام ٨٦٦هـ/١٤٦١م نظم رجوزته حاوية الاختصار وحدد أبياتـها ١٠٨٢ .

جميعها ألفاً وثمـانين أتت　　تزيد بيتين لذاك قـد وَقَتْ

أما أرجوزته السفالية فقد جاءت بتحديد أبياتها بهذا البيت :

هى سبع مائة بيت يزيد عنها　　عن أحمـد السـعدى أحفظنها

وبهذا يكون عدد أبيات السفالية ٧٠١ بيتاً خلافاً لما هى عليـه اليـوم حيث يبلغ عدد أبياتها ٨٠٧ ، وأن الأبيات الزئدة هى ١٠٦ بيتاً زائـدة عـن القصيدة الأصلية ، وأعتبر الدكتور إبراهيم خورى أن هذه الأبيات منحولـة أو مدسوسة ، وهذه الأبيات الزائدة يتضمـن منـها ٦٩ بيتـاً تحكـى خـبر البرتغاليين .

ويؤيد الأستاذ حسن صالح شهاب وجود الغموض والخلل فى معـانى السفالية ، ويؤكد حدوث سقط من الأرجوزة ، وأن عدد أبيات الأرجوزة تسع مائة بيت وليس سبعمائة ، ويعلل ذلك بأن لفظ " سبع" كانت فى الأصل "سع" بدون نقط بحيث يمكن أن تقرأ " سبع " أو " تسع " ويجزم بأن قرءة " سـبع " كانت خاطئة ، ويقرر فى النهاية " أن " الأرجوزة غير مكتملة ، وأن الأبيات الزائدة فيها على "سبع مائة " ليست منتحلة " [٦٩] .

وللأسف أن الأستاذ شهاب تخيل هذا السقط ولم يدعم زعمه ولم يـزد عدد أبيات الأرجوزة الذى أورده فى كتابه " أحمد بن ماجد" عن عددها كما

دونها الدكتور خورى ، ولهذا يعتبر ما ذكره عبثا بدون دليل فياليت الأستاذ زاد بيتا على ما هو عليه حتى يكون رأيه مقبولا دون أن يبحث عن تدليل يغامط الحقيقة .

ويدلى الدكتور حسام الخادم بدلوه فى القضية حيث أثاره رأى الدكتور خورى حول أن ابن ماجد كان مسنا جدا أو أنه انسحب داخل بلاد العرب عندما أقلع البرتغاليون إلى المحيط الهندى . ولهذا قرر الدكتور الخادم أن " الدليل الذى يقدمه إبراهيم خورى على نفى أى علاقة بين ابن ماجد والبرتغاليين ، أى بين ابن ماجد وفاسكو دى جاما هو دليل ضعيف ويمكن رفضه للأسباب التالية(٧٠) :

« وحينما نمعن النظر فى الأسباب التى أوضحها فى بحثه نجد سببين: هما وجود ابن ماجد على قيد الحياة فى عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م ، وكذلك فى عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م بدليل قصيدته المخمسة التى استنبط منها الدكتور الخادم أن ابن ماجد لم يكن حيا فقط بل وكان بالتأكيد مالكا لجميع قواه وملكاته العقلية ، وأنه كان ما يزال يحترف مهنة الملاحة ومشغولا بها »(٧١) ولهذا فإن الدكتور الخادم يرى استنتاجات الدكتور خورى غير صحيحة وأن عملية الاتصال بين البرتغاليين وشهاب الدين أحمد بن ماجد قد تمت " وهكذا وصل ابن ماجد مع فاسكو دى جاما إلى كاليكوت فى أقل من أربعة أسابيع ، ولكنه لم يقدم أى دليل لما ذكره ، وإنما حجة واهية جعلت الدكتور الخادم ينساق مع المؤيدين لعملية الإرشاد والقيادة .

والحقيقة إننى أتفق مع الدكتور خورى فى تحيلاته واستنتاجه حول الأرجوزة السفالية لأن معظم أبياتها كانت غير متناسقة واقتحمت فى القصيدة اقتحاما حيث توزعت حسب اجتهادات الدكتور خورى إلى ١٩ مقطعا وبهذا فقدت الترابط والانسجام مع وجود تواريخ غير دقيقة فى هذه الأبيات ورد

منها تاريخ وصول البرتغاليين إلى الهند مرتين وهو عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م في البيتين التاليين[٧٢] :

وجاء لكالكوت خذ ذي الفائدة لعام تسعماية وستة زائدة

وبعد ذا في عام تسعماية وست جاءوا الهند ياخاية

كما أن ابن ماجد لم يشر في هذه الأرجوزة ، ولا توحي أبياتها بأنه اتصل بالبرتغاليين في أول أمرهم أو في أخره ، وقد عبر الدكتور الحمداني عن تداخل التواريخ التي ذكرت في السفالية – المنحولة طبعاً – وهي عام ٩٠٠هـ/١٤٩٥م ، وسنوات : ٩٠١هـ/١٤٩٦م – ٩٠٢هـ/١٤٩٧م ، و٩٠٦هـ/١٥٠٠م بقوله : « والحقيقة أنه من الصعب تقدير إغفال ابن ماجد للسنوات الواقعة بين التاريخين المذكورين ، ولكن من المعروف أن كثيراً من الأحداث الواردة في « السفالية » تفتقر إلى تثبيت تواريخها »[٧٣] . وإذا كان الدكتور الحمداني توصل إلى وجود هذا الارتباك ويرى أن أرجوزة السفالية تحتاج إلى تثبيت تواريخها ، فإن هذا الارتباك هو نفسه الذي جعل الدكتور خوري يقرر أن هذه الأبيات التي بلغت ١٠٦ بيتاً منحولة ، فكيف يطالب الدكتور الحمداني من ابن ماجد تثبيت التواريخ وهو شيء لم يقله ولهذا نعتقد أن هنالك آراء تشعر بأن أرجوزة السفالية غير مكتملة أو أنها زائدة ، وأن الكثير من الارتباك في نحو ١٠٦ بيتاً ، ولكن هؤلاء الذين يرون ذلك لم يصرحوا كما صرح الدكتور خوري .

وخلاصة القول أنه لم تكن لابن ماجد علاقة مباشرة ولا غير مباشرة بالبرتغاليين ، ولا تشير أرجوزته إلى ذلك ، ولا ينظر إلى قول شوموفسكي بأن أحمد ابن ماجد ندم على إرشاده لفاسكو دي جاما كما فهمه من البيت التالي[٧٤] :

ياليت شعري ما يكون منهم والناس معجبين من أمرهم

لقد طرقنا هذا الموضوع لندفع التهم التى علقت بابن ماجد من هذا الإرشاد ، وقد عرفنا أن الذى نسب ذلك هو العلامة النهروالى مفتى مكة المكرمة ، وقد دققنا ما قاله هذا الكاتب بأن أحمد بن ماجد قدم النصح للبرتغاليين - لا أكثر - فى حالة سكره دون أن يعلو سطح سفنهم ولا يقودها إلى الهند ، وكذلك عرفنا أن الذى ربط بين هذا الاسم والمعلم الفعلى الذى ساعد فاسكو دى جاما هو المستشرق جبرائيل فيراند ، وتبعه فى ذلك مؤرخو أوروبا ومنهم المستشرق الروسى العلامة شوموفسكى ، وفوق ذلك أن فيراند وشوموفسكى شكا فى صحة أقوال النهروالى حيث نفوا صحة شرب الخمر، واستندا بأبيات قالها أحمد ابن ماجد منها فى قصيدته المكية :

ركبت على اسم مجرى سفينتى

وعجلت بالصلاة مبادراً

وقال :

خف من الله ولا تؤذ أحد   هذا طريق الحق لا تخشى أحد

ويقول ابن ماجد فى كتابه " الفوائد " ينبغى أنك إذا ركبت البحر تلزم البحر الطهارة فإنك فى السفينة ضيف من أضياف البارى عز وجل فلا تغفل عن ذكره " ويقول فى ختام كتابه هذا " أوصيكم بتقوى الله وقلة الكلام ، وقلة المنام ، وقلة الطعام ، ودوام الذكر ، وقراءة القرآن العظيم ، والاعتصام بالله الحنان المنان ، ونستغفر الله من الزيادة والنقصان " .

ومن استقراء الأبيات التى وردت فى أرجوزة ابن ماجد السفالية (٦٩ بيتاً) التى أشارة للبرتغاليين لم تشير إلى أن ابن ماجد ذهب إلى السفالية ولا يعرف مالندى ، لأنه توقف عن السفر لبلوغه ٧٥ عاماً فى عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م أو أنه بلغ ٨١ عاما فى عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م .

كما أن شهر إبريل ١٤٩٨ م أى الشهر الذى غادر فيه فاسكو دى جاما مالندى إلى الهند يصادف شهر رمضان ٩٠٣ هـ ، فكيف يجوز لشيخ بلغ من العمر قرابة ثمانين عاما أن يعاقر خمرا فى شهر رمضان وهو من هو فى التقوى والتمسك بالدين ، وأضف إلى ذلك ما ذكرناه أنفا أن عبارة النهروالى التى ساقها على لسان ابن ماجد " لا تقربوا الساحل ... وتوغلوا فى البحر ثم عودوا فلا تنالكم الأمواج " هل يفهم من هذه العبارة أن ابن ماجد أرشد للطريق الصحيح وقد قطع البرتغاليون مسافة طويلة من لشبونة إلى مالندى فهل يعجز البرتغاليون أن يتركوا سفنهم تغرق ، علما بأننا قد عرفنا سابقا أن عدد السفن التى صحبت فاسكو دى جاما أربع سفن ، غرقت واحدة عند طريق رأس الرجاء الصالح وبقيت معه ثلاث سفن عاد بها فاسكو دى جاما إلى لشبونة فى عام ١٤٩٩ .

ثم أن النهروالى نفسه لم يتيقن من أسمه لأنه قال : يقال له أحمد بن ماجد " وأحمد بن ماجد مشهور ومعروف يعرفه كل ربابنة البحر وعلى أقل احتمال فإن النهروالى قد أطلع على كتاب " المحيط " للرئيس على بن الحسين الذى ذكر أهمية ابن ماجد ومكانته وأثنى عليه ولم يشر إلى أن أحمد ابن ماجد قد ساعد البرتغاليين ومكانة ابن ماجد لا تخفى على أحد .

ومن نافلة القول أن ابن ماجد كان يحافظ على أسرار الملاحة العربية ويوصى بعدم البوح بها للعدو ويقول فى ذلك : " والحذر كل الحذر إذا استشارك عدوك فى السفينة فإنه لم يستشرك إلا عند فساد لأمر مقصوده يشركك فى الشر والتعب والامتحان ، والمعلم الكلمة عليه سابقة ، فهذب الرأى وأصمت ، أو أجب جوابا لا يضرك فى العواقب ولا يلزمونك به » .

ولهذا فإننا نؤكد أن أحمد ابن ماجد لم تكن له صلة بالقائد البرتغالى فاسكو دى جاما ، وأن الروايات التى ذكرت الاتهام عارية من الصحة .

لقد كرس أحمد بن ماجد حياته بتطوير الملاحة العربية وقضى سنوات عمره فى التجربة ، فذاع صيته قبل وبعد وفاته ، وكانت القصص والأساطير لا تكتسب رواجاً إلا إذا كان ثمة بطل حولها ، ولعل هذا البطل هو أحمد بن ماجد ، أو على رأى الدكتور عبادة كحيلة أن من عادة الناس أن ينسبوا الحوادث الكبيرة إلى الشخصيات الكبيرة ، وكان اقتحام البرتغاليين البحار الشرقية حادثة كبيرة وكان ابن ماجد شخصية كبيرة ، فربطت الروايات هذا الحدث الكبير بشخصية ابن ماجد والغريب أن الأمة العربية تتفاخر بهذا العمل العظيم الذى قدمه ابن ماجد للبرتغاليين ، أو على حد قول على التاجر فى بحثه بعنوان " مناقشات حول ابن ماجد " إن المرء ليصاب بالدهشة كيف تلقى هذه التهمة على سخفها وتفاهتها مثل هذا القبول والتأييد وكيف نعتبرها مفخرة نعتز بها ونشيد بذكرها بمناسبة وبدون مناسبة وهى مقولة حقاً كيف نعتبرها مفخرة ونشيد بذكرها ونطرحها فى وسائل إعلامنا السمعية والبصرية والمقروءة ، ونعلمها لأطفالنا فى مناهجهم الدراسية .

ثالثاً: مؤلفات ابن ماجد وجهوده فى تطوير الملاحة العربية:

١ - مؤلفات ابن ماجد :

عكف ابن ماجد على دراسة كتب البحار والفلك والمواقع الجغرافية ، ثم بدأ يتعرف على الخطوط البحرية وأنواع السفن التى يحتاجها البحر من واقع التجربة . فنجده يصف تجارب دراسته فى كتاب " حاوية الاختصار " حيث عبر عن مدى معاناته فى المطالعة فى التجارب العالمية المعروفة حينئذ فى المحيط الهندى ، موضحا كيفية الاستفادة منها مع مقارنتها بالآخرين(٧٥) :

قد راح عمرى فى المطالعات   وكثرة التسأل فى الجهات

وكم رأيت فى خطوط الشول   ونظمه والنثر والفصول

وكم نظرت فى الحساب العربى وحسبه الهند مذ كنت صبى

فلم أر فى اتفاق أصلى فى القمر والزنج صحيح النقل

وفى جنوبى جاوة والصين والفال علماً صادقاً اليقين

وبعد قراءة المؤلفات وتمحيصها ، وإجراء التجارب عليها وتطبيقها على الواقع ، كرس ابن ماجد جهده وعكف على التأليف ونظم القصائد والأراجيز ، فبلغت مصنفاته ٤٦ مصنفاً بين منظوم ومنثور ، وقد بدأ كتاباته بقصيدته القافية التى نظمها عام ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م وكان عدد أبياتها ٤٠ بيتاً ، ومطلعها (٧٦) :

خليلىّ هَيّا وأسمعا دُرّ منطقى فلا عاش من يُخفى العلوم ولا يبقى

وقال فى تاريخ نظم هذه القصيدة وفى عدد أبياتها :

بسلخ جمادى قالها نجل ماجد

وفى عام خمس بعد ستين سُبّقِ

بتاسع قرن من سنين تقدمت

من الهجرة الغراء فأحسب وطبقِ

وأعدادها أعداد شهر وعُشره

كذلك جاءت كالعروس المُقرطقِ

وربما كان لابن ماجد قصائد أخرى نظمت قبل هذا التاريخ ولكنها غير مؤرخة ،خصوصا أننا وجدنا قصائد وأراجيز مجهولة التاريخ ، وكثيرا ما يشير ابن ماجد إليها فى مؤلفاته المنثورة والمنظومة ، فمثال ذلك عند إشارته فى قصيدته الذهبية فى البيت ١٦٢ إلى أرجوزة " السفالية " (٧٧) ، وقصيدته الذهبية إعادة نظمها ثانية فى عام ٨٩٥ هـ ، والتى ذكرت فى

مختصر كتابه " الفوائد " [٧٨] ، وأرجوزته السفالية وردت فيها أبيـــات يعــود تاريخها إلى عام ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠م .

وأعمال ابن ماجد كثيرة منها ما هو موجود ومنها لا يزال مفقـــودا ، كما أن عماله تنوعت بين المنظوم والمنثور وهى على النحو التالى :

(أ) المؤلفات المنظومة :

بلغت أعمال ابن ماجد المنظومة ٤٢ عملا منها ٢٦ موجودا ومنثورا ، بينما هنالك ١٦ عملا لا يزال مفقودا كما يتضح مما يلى :

أولا : الأراجيز والقصائد الموجودة :

١ - حاوية الاختصار فى أصول علم البحار ، وهى من بحـــور الرجــز ، وعدد أبياتها ١٠٨٢ بيتا ، وكان تاريخ نظمها فـــى عــام ٨٦٦ هـــ / ١٤٦٢ م يقول فى مطلعها [٧٩] :

الحمد للخالق ذى الجـــلال   القـــاهر الفــرد بــلا مثــال

أحمــده حمــدا كما هــدانى   إلى الصلاة على النبى العدنانى

وقال فى تاريخها وتسميتها وعدد أبياتها وفصولها [٨٠] :

تمت بشـــهر الحج فى جلفـــار   أوطــان أسـد البحر فى الأقطــار

فى عيـــد أبــــرك الأيـــام   إذ خــص بالإحســان والصـــيام

وكان فى التـــاريخ يا مـــولاى   ســتة وســـتون وثمـــان مايــه

ســميتها بالحـــاوية يــا صــاح   تضــئ للجهـــال كالمصبـــاح

جميعهــا ألفــا وثمـــانين أتــت   تزيـــد بيتين لـــذاك قــد وفت

وفصولهــا يا صاحبى أحد عشرا   احسب تجدهن وتســـمع وتــرى

٢ - **الأرجوزة السفالية** : هى من بحر الرجز وعـــدد أبياتـــها ٧٠١ بيتـــا ، وهناك إرشادات لها فى كتاب " الفوائد " وفـــى " القصيـــدة الذهبيـــة " . نظمت هذه الأرجوزة قبل عام ٨٩٦ هـــ . وهى تصف الطرق البحريـــة بين السفالة (موزمبيق) وبلدان جزيرة العرب والهند ومواعيد الرحـــلات منها وإليها ومطلع الأرجوزة [٨١]:

الحمـــد لله الـــــذى أنشـــأ المـــلا   من عـــــدم جـــل تعـــالى وعـــلا

قـــد كلـــت الألســـن عن أوصافه   وكـــم نـــرى فى البحر من ألطافه

وقال فى عدد أبياتها فى البيت ٦٦٠ (٧٠١ بيتا) :

هى سبعماية بيت يُزيـــــدُ عنهـــا   عن أحمـــد الســـعدى احْفظنْهَـــــا

٣ - **الأرجوزة السبعية** : هى من بحر الرجز ، وعدد أبياتها ٣٠٥ أبيات وقد نظمها ابن ماجد ٨٨٨ هـــ / ١٤٨٣ م ، ويقصد بالسبعية لأن فيها ســـبعة علوم من علوم البحر وكان مطلعها [٨٢] :

تبـــارك الربُّ الـــذى هَدانـــا   فى بحـــر المســـجور وأنجـــــانا

سبحانـــه مقســـــم الأرزاق   بين الـــــوَرَى فى ســـــاير الآفاق

وقال ابن ماجد فى تسميتها وتاريخ نظمها :

ســـميتها ســـبعية يا قـــــومى   لأن فيهـــــا ســـــبعة علـــوم

علـــــــم ثمـــــانين مايـــــه   وفوقهـــــا ثمانيـــــة وافيـــه

٤ - **أرجوزة قبلة الإسلام** : هى من بحر الرجز ، وعدد أبياتها ٢٩٥ بيتـــا ، وكان تاريخ نظمها فى عام ٨٩٣ هـــ / ١٤٨٧ م . والغاية مـــن نظمـــها كما يقول ابن ماجد " لما رأيت الناس يميلـــون عـــن معرفـــة القبلـــة ، ومساجدهم مائلة عن قصد القبلة ، وليس لهم أصل علم ، يعرفـــون بـــه

القبلة ، خصوصا فى المدن اللواتى بقرب البحر وجزره ، التى يمر بـــها المسافر ، نظمت هذه الأرجوزة ومطلع الأرجوزة هى [٨٣] :

باســم الإله المستعين أبتدى　　　مصليـــا على النبى أحمد

ليسهل التســديد من مرامى　　　فى نظـــم در قبلة الإسلامى

وقال ابن ماجد فى تسميتها وتاريخ نظمها :

سميتهـــا بتحفة القضــــاة　　　واســتغفر الله من الـــزلات

تلوح للعـــالم كالشـــهاب　　　ناظمهـــا عبيـدكم شـــهاب

عروسة قد جليت فى الحرم　　　تاريخهـــا أوائـــل المحـــرم

حج وحـــج يـــوم ذلك فاعلم　　　إن كنت من أهل الحساب فافهم

عام ثمـــان مايـــة مع تسعين　　　وبعـــدها ثلاثـــة وفينـــا

٥ - **الأرجوزة المعلقة** : هى من البحر الرجز ، وعدد أبياتــها ٢٧٣ بيتــا ، مجهولة التاريخ ، ويصف فيها ابن ماجد الطرق البحرية من بر الهند إلى بر سيلان ، وذلك بارى ، وسومطرة ، وبر السيام ، ومعلقة ، وجـــاوه ، كذلك جزيرة دنج دنج، والغور ، والصين .. الخ ، ومطلعها [٨٤] :

عزمت والعزم حميـد فى الســـفر　　　لاسـيما من بلـدة فيهـا ضـــرر

أطلـــب تحـــت الريح بالإذعان　　　فى مركـــب يطـــير كالعقبـان

٦ - **أرجوزة النتخات** : هى من بحر الرجز ، وعدد أبياتــها ٢٥٥ بيتــا ، وهى كذلك مجهولة التاريخ ، ويوضح ابن ماجد فى النتخات لـــبر الـــهند وبر العرب من جاه اثنى عشرة إلى جاه إصبع ، من كل بر ، وقد جـــاء فى مطلعها [٨٥] :

يا طـــالب النتخــة بالحقــائق　　　من كل بـــر بقيـــاس فايـــق

عليك بالنظــم الصحــيح الرايــق　　وأعمل بــه عن صادق ابن صادق

أودعتــه أرجــوزة لــى واضحة　　فانتــخ بهــا وادع لــى بالفاتحــة

٧ - **أرجوزة قسمة الجمة** : وهى من بحور الرجز ، وعــدد أبياتــها ٢٢١ بيتا، وكان تاريخ نظمها عام ٩٠٠ هــ / ١٤٩٤ ، وهى فى القسمة على بنات نعش بالتمام والكمال وهى النعوش السبعة الزاهرة (الدب الأكبر)، ومطلعها (٨٦) :

يا قاســم الأرزاق لم ينــس أحـــد　　فــرد غيـــاث المستغيثين صمد

أنصــفت فى القســمة كيــلا وعدد　　والوزن يوفــى ذرة طــول الأبـد

ويصف صعوبة قسمته الجمة على منازل القمر فيقول :

إذا قســمت الجمــة فى المنـــازل　　يــزل فيهـــا عاقـــل وجاهـل

وقال فى تاريخ نظمها :

نظمتهـــا للـــزام والهـــداية　　فى عــام يــا ربان تسـع مايــة

فعليـــه قيـــدتهـــا بالـــدب　　الـدب الأكبـر قـــد سـما وربى

٨ - **الأرجوزة المعرّبة** : هى من بحر الرجز ، وعدد أبياتـــها ١٧٨ بيتــا ، وتاريخ نظمها فى عام ٨٩٠هــ / ١٤٨٥ م ويقصد بها ابن ماجد بتعريب الخليج البربرى (خليج عدن) وهو من حافور إلى باب المندب ، ومطلع الأرجوزة : (٨٧)

يا ســـايلى عن صــفة المجــارى　　قــم قيــاس الأنجـم الـــدرارى

وعن صــفات البــر والديـــرات　　وديـــرة المطلـــق والصــفات

من بـــر ســوماليك والبـــرابر　　ثــم الزيالـــع كن بذاك خابــر

وقال فى تاريخها :

قـد كملت فى سـادس المحـرم حـج وحجـة يوم ذاك فاعلـم

من بعـد تاريخ ثمـان مايـه وفوقهـا تسـعون للهدايـة

٩ - **أرجوزة هادية المعاملة** : هى من بحر الرجز ، وعدد أبياتها ١٥٥ بيتا، وهى مجهولة التاريخ ، ومطلعها (٨٨) :

الحمـد لله الحسـيب الهـادى فى بـره والبحـر للرشـاد

١٠ - **أرجوزة بر العرب** : هى من مائة بيت ومن بحـر الرجـز مجهولـة التاريخ ، ومطلعها (٨٩) :

يا طالقـا من أخـر الفـرات والبصرة الفيجاء خُذْ وصاتى

١١ - **أرجوزة منازل القمر** : وهى من بحر الرجز ، وعدد أبياتها ٤٨ بيتا ، وهى مجهولة التاريخ ، ومنازل القمر ٢٨ منزلة ، ومطلعها (٩٠) :

الشـرطان فهـو رأس الحمـل إبـدا بـذا فى وقـت المعتـدل

ثلاث نجمـات كما خـط الألف لكنـه عـن القـوام منحـرف

١٢ - **القصيدة الذهبية** : هى من بحر الطويل ، وعدد أبياتـها ١٩٣ بيتـا ، وهى على قافية الباء ، ومطلعها (٩١) :

بـدأت باسـم الله ربى وصـاحبى ومسـتخلفى فى جيـرتى وأقاربى

قـدير على الـكونين إذ رفع السما وزينهـا بالزهـرات الثـواقب

١٣ - **القصيدة التائية** : وهى بحر الطويل ، ويبلغ عدد أبياتـها ٥٤ بيتـا ، وهى عبارة عن وصف الطريق البحرى وقياساته ومجاريه ومواسمه مـن جدة إلى عدن ، ومطلعها (٩٢) :

سَرَتْ نسمة الفردوس من أرض مكة بريـح الصبا فاشتاقت السير جلبتى

ويممـها نحـو السُـهيل بخمسة نهـارا إلى المسـماريات بعزمة

١٤ - **قصيدة الضرايب** : وهى من البحر الطويل ، وعدد أبياتها ١٩٢ بيتاً ، وتاريخ نظمها ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م ومطلع القصيدة (٩٣) :

شـباب برأسى أعجب النـاس من أمرى
أتانى عقوب الشـيب فى آخـر العمـر

وأى شـباب بعـد سـتين حجـة
سما فى السما فوق السـماكين والنسـر

ومـا ذاك إلا فيـض علـم كسـبته
على البحر حتى صار بحـرا على بحـر

وقال فى نظمها وتسميتها :

مهذبة فى تسـع مايـة قد أتت إذا هى قـد تمت وفيت لها نـذرى
فأوسمتها باسـم الضـرايب إنها حوتها ولو قصرت بالحق فى الشعر

١٥ - **قصيدة المكية** : وهى من البحر الطويل ، وعدد أبياتها ١٧٢ بيتـا ، وقد أشار فى هذه القصيدة أنه تزوج امرأة من بنى عامر وقضى وطـرا من الوقت معها ومطلع القصيدة المكية (٩٤) :

فـؤادى أسير الحى من شعب عامر أحـوم عليها بالدجـى والهواجـر

١٦ - **قصيدة نادرة الإبدال فى الواقع وذبان العيوق** : وهـى مـن البحـر الطويل ، وعدد أبياتها ٥٧ بيتا ، وهى مجهولة التاريخ ، ومطلعها(٩٥) :

تركت اشتغالـى بالمهـا والجـاذر وصـرت مُغَرّى بالنجوم الزواهر

١٧ - **قصيدة البليغة فى قياس السهيل والرامح (عينية)** : هى من البحـر الطويل ، وعدد أبياتها ٦٤ بيتا ، وهى مجهولة التاريخ ، ومطلعها(٩٦) :

سـهرت وغيرى خالى البال هاجع غراما ، ومثلى كيف تُهنى المضاجع

١٨ ـ قصيدة القافية فى معرفة المجهولات من النجوم اللواتى قيّدوا بالمنازل جيّدا : هى من بحر الطويل ، ويبلغ عدد أبياتها ٣٣ بيتاً ، أرخت فى عام ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠م ، وهى تعتبر من أوائل القصائد التى نظمها أحمد بن ماجد ، ومطلعها (٩٧) :

خليلىَّ هيا واسمعا دُر منطقى فلا عاش من يخُفى العلوم ولا بقى

وقال فى تاريخها وعدد أبياتها :

بسلخ جمادى قالها نجل ماجد وفى عام خمس بعد ستين سُبق

بتاسع قرن من سنين تقدمت من الهجرة الغراء فاحسب وطبِّق

وأعدادها أعدادُ شهر وعُشْره كذلك جاءت كالعروس المُقرْطق

١٩- قصيدة كنز المعاملة وذخيرتهم فى علم المجهولات فى البحر والنجوم والبروة وأسمائها وأقطابه : وهى من البحر البسيط ، وعدد أبياتها ٧٢ بيتاً ، وهى مجهولة التاريخ ، ومطلعها (٩٨) :

يا أيهّا الناس إذا شيتم قولوا الأرضُ معلومة والبحرُ مجهولُ

٢٠ – قصيدة ميمية الإبدال التى تقاس على ستة أوجه : وهى من البحر الطويل ، وعدد أبياتها ٦٤ بيتاً وهى مجهولة التاريخ ، ومطلعها(٩٩):

سهادُ ، حكت عينى عُصارة عندم وكل نجوم الليل تسأل عن دَمى

٢١ – قصيدة الفايقة فى قياس الضفدع الأول وقيده سهيل : ويسمى فم الحوت اليمانى ، ويسمى سكن الماء ، وهى من البحر البسيط ، وعدد أبياتها ٧٥ بيتاً ، وهى مجهولة التاريخ ، ومطلعها (١٠٠) :

أقول والفُلْكُ تجرى بالشراعين فى ليلة تر فيها الكرى عَينى

٢٢ – قصيدة عدة الأشهر الرومية وكل شهر كم هو ؟ : وهى من البحر الطويل ، وعدد أبياتها ، ومطلعها (١٠١) :

خيار شهور الروم يا خـــير خلانى   نظمت إلى القاصى من الناس والدانى

٢٣- قصيدة مواسم السفر : وهى قصيدة مختصرة فى مواسم السفر ، وهى من البحر الطويل ، وعدد أبياتها ١٩ بيتاً ، وهـــى مجهولـــة التـــاريخ ، ومطلعها(١٠٢) :

إذا لاح بالفجـــر الغراب تقاصرت   عن الهند ركاب المجاور فى اليمن

٢٤ – قصيدة النونية الكبرى (قصيدة الخيل) : وهى البحر البسيط ، وعدد أبياتها ١٤٠ بيتا ، وهى مجهولة التاريخ ، ومطلعها (١٠٣) :

أبـــدأ باســـم الأول الرحمـــن   حافـــظ البـــاقى على الثانى

٢٥ – قصيدة مخمسة فى قياس فوائد الأسد وبطن الحوت، وعدد أبياتـــها ١٨ بيتا ومطلعها (١٠٤) :

هـــــذه القيـــاسات اللـــــواتى لـــــم تر

لمســـائلهم فى البحــــر شـــخص فى الورى

ومـــا ســـرها فى غيـــرها يتصــــــورا

موجــــــودة فى العـــــالم لـــــم تتغيـــرا

قصـــدى بهـــا بعـــد الممـــات تقر لى

٢٦ – قصيدة مخمسة الاستوايات : وهى من بحر الطويل، وعدد أبياتـــها ٢١ بيتا ، وتاريخ نظمها فى عام ٩٠٦ هـــ / ١٥٠٠ ، ومطلعها (١٠٥) :

تأمل وشاور واسهر الليل واعـــزم   وحقـــق ودقـــق واحفـــظ السر واكتم

واصبر واجمـــل ما سمعت فتســـلم   وتبقـــى رئيســـا فى الرجال مقـــدم

تأمل وشاور واسهر الليل وأعزم

وقال فى تاريخ نظمها :

ونظمى لهذى الاستـــوايات فاعلم   على تســـــعماية وســـتة مقـــدم

(ب) الأراجيز والقصائد المفقودة :

٢٧ - **أرجوزة الأرباع :** فقد ورد ذكر هذه الأرجوزة فى البيت ١٦٠ من القصيدة الذهبية (١٠٦) :

وأرجوزة الأرباع من قال علمها لضبط قياس الأصل فيه عجايبى

٢٨ - **أرجوزة قياس التير والسلبار :** فقد وردت فى كتاب الفوائد فى خمسة مواقف ويقول فى مطلعها (١٠٧) :

يا سائلى عن صفة القيـاس أعلم وعلّمه جميع النـاس

٢٩ - **أرجوزة قياس المربعين الأوسطين :** لقد ذكرها فى كتابه "الفوائد" وقد أشار إلى أن هذه الأرجوزة بأنها قديمة ، وقد كان مطلعها(١٠٨) :

قِيس المربع اثنا عشرة باعتدالات ......

ثم عدل مطلعها بعد أن أدخلها فى تجارب حقيقية بقوله :

قِيس المربّع اثنا عشرة باستقامات ......

٣٠ - **القصيدة الذهبية النظم الأول (الأصلى) :** حيث أشار ابن ماجد عدة مرات إليها .

٣١- **القصيدة التائية فى القياس الأصلى :** ذكرها ابن ماجد فى كتابه "الفوائد " وكان مطلع هذه القصيدة (١٠٩) :

يـا أيهـا اللـواط كـم تشـترى وتشـتهى بيعـة حىّ بميت

٣٢- **قصيدة رائية الغلق :** وقد ذكرها فى البيت ١٥٦ من القصيدة الذهبية(١١٠) :

ومن رتب الرائيـة المهتـدى بها إذا مسكم فى الغلق ضرٌ المصايب

٣٣ - **قصيدة رائية الكل :** وقد ذكرها ابن ماجد فى البيت ١٥٣ من الذهبية(١١١) :

وكَمّلَ فى رائيَّـــة الكُلُّ فافعلـــوا   بهـــا إن مُنشيها لك غير كـــاذب

٣٤ - القصيدة العينية فى قياس المسافات:ورد ذكرها فىكتاب الفوائد(١١٢).

٣٥ - قصيدة لامية فى قياس السلبار والواقع : ورد ذكرهـــا فـــى كتـــاب "الفوائد" وكان مطلعها (١١٣) :

إذا مـــا الكاســـر المشـــهور أمســـى   لذبـــاناً هنـــالك فى الأفـــول

٣٦ - أرجوزة ميمية العبرات : وردت ذكر هذه الأرجوزة فى البيـــت ١٦١ من القصيدة الذهبية (١١٤) :

وميميـــــة العبرات أرجـــــوزة بها   يودون أزوامـــــا بنعش الكواكب

٣٧ - القصيدة النونية الصغـــرى : ورد ذكرهـــا فـــى كتـــاب " الفوائـــد " ومطلعها(١١٥) :

قمـــت بها خاضبـــة الأصبعين   ....

٣٨ - القصيدة الميمية فى قياس السماكين : ورد ذكرها فى كتاب " الفوائد" ومن أبياتها (١١٦) :

تقدمـــت عند العـــارفين ومن يكن   أخ الحـــــزم فى ليل الدياجى تقدما

٣٩ - القصيدة الدالية فى الترقا : ورد ذكرها فى كتاب " الفوائد " يقول فـــى بعض أبياتها (١١٧) :

يقـــولون أزوام الثريـــــا قليلة   ومـــا هى إلا أربعون فصـــــــاعدا

٤٠- القصيدة النونية فى قياس الجاه : ورد ذكرها فى " الفوائد " (١١٨) ومن أبياتها :

رصـــــدى طال الجدى وفى الجـد ى وفى الســابقين والبـــــدران

٤١ - **القصيدة الامية فى السبعة السيارة وساعات الليـــل والنـــهار** : ورد ذكرها فى "الفوائد" ومن أبياتها [١١٩] :

عطـــارة مشترى الزهرة من زحل والشمس والبدر والمريخ قـد جعلا

٤٢ - **أرجوزة ضريبة الضرائب** : النظم الأول (الأصلى) . حيــث وردت ذكرها فـــى البيــت ١٥٩ مــن القصيــدة الذهبيــة وهــى قبـل عـام ٩٠٠هـ/١٤٩٤م [١٢٠] :

ورائيـــــة فيها الضرائب أجملت إذا ســـميت رائيـــــة للضرايب

(ب) المؤلفات المنثورة :

بلغت أعمال أحمد بن ماجد السعدى النثرية خمسة أعمال منــها ثلاثــة موجودة وبقية الأعمال النثرية مفقودة .

أولا : الأعمال النثرية الموجودة :

١ - مختصر كتاب " الفوائد فى أصول علــم البحــر والقواعــد " وتــاريخ اختصار الكتاب عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م ، من كتاب له كبير بلـــغ عــدد مجلداته عشرة ، وقد أشار ابن ماجد أنه قد صنفه عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م أى قبل ١٥ سنة من تلخيص هذا الكتاب[١٢١] .

٢ - كتاب المفصل .

٣ - كتاب الملْ (الديرة البحرية) .

ثانيا : الأعمال النثرية المفقودة :

وهذه الأعمال النثرية المفقودة لا نعرف عنها شيئا على حد علمنا ، ولعل الأيام تكشف عن وجودها وهى :

١ - كتاب " الفوائد " المطول وتاريخ تصنيفه عام ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م

٢ - شرح الذهبية : ورد ذكرها فى كتاب " الفوائد " تسع مرات (١٢٢) .

٢ - جهود ابن ماجد فى تطوير الملاحة :

أحدث ابن ماجد ثورة كبرى فى تطوير علم الملاحة فى البحار الشرقية بتقديمه العلوم الجديدة فى النواحى الجغرافية والمناخية والفلكية .

وتتلخص أعمال ابن ماجد فى اختراع الإبرة المغناطيسية (Magnetic needle) (البوصلة البحرية Compass) ، فيقول : " ومن اختراعنا فى علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة بنفسه ، ولنا فيه حكمة كبيرة لم تودع فى كتاب : أنه لا يقابل الجاه إلا سهيلة (١٢٣) ، وتطوير الآلات الفلكية كالحاقة والخشبة (خشبة ابن ماجد) والاسطرلاب وكذلك تطوير الآلات البحرية كالمغناطيس والبلد والفانوس ، كما عكف على تصنيف الرهمانيات (الرحمانيات) وهى عبارة عن دليل بحرى يحتوى على معلومات بحرية وجغرافية وفلكية . وأودع ابن ماجد خلاصة تجاربه فى كتابين : أحدهما منظوما (حاوية الاختصار) والآخر منثورا (كتاب الفوائد) ، واللذان أصبحا مرجعا مهما فى الملاحة البحرية فى غرب المحيط الهندى والبحر الأحمر والخليج العربى .

وقد ساعدت هذه العلوم على اختصار الطرق الملاحيــــة وقياســـاتها ، ومواعيد السفر منها وإليها . وباستخدام هذه المعلومات أبعدت الســـفن عـــن المواقع الخطرة مما ساعد على ازدهار التجارة بين البلدان وســــهل حركــة الاتصال بين القارات ، وعمق علاقات التواصل بين الشعوب . يقول الدكتـور حسين أمين (١٢٤) " أن العمل الذى قدمه ابن ماجد للبحرية العالمية هو أهـــم إنجاز عالمى قدمه هذا العربى الخليجى فى عصر كـــانت فيــه المنافســات والصراع على أشده بين الدول الإستعمارية " .

ويعتبر ابن ماجد من أبرز الملاحين الذين ضبطــوا القيــاس ، وكـــان يستخدم الأصبع وقبضة اليد فى القياسات حيث أنه أوجد الصلة بيـــن تقسـيم دائرة الأفق الـــ ٣٢ جزء (خن) وبين استخدام قبضة اليد والذراع مبسـوطة فى اتجاه البصر أمام الراصد .

كما أن ابن ماجد استخدم بعض آلات الرصد المعروفة كالاسـطرلاب ، وآلة الكمال التى تعرف بخشبات ابن ماجد التى كانت من اختراعاته .

وكان ابن ماجد قد طور البوصلة البحرية ، وهو يعتبر نفسه المخـــترع لها حيث يقول فى ذلك قولاً منثوراً ومنظوماً فيقول : " ومن اختراعنـــا فـــى علم البحر تركيب المغناطيس على الحقة ، ولنا فيه حكمة كبيرة ، ولم تـــودع فى كتاب ، فإذا كان أحد يعرف ، فنحن مسبوقون ، كذلـــك رتبنـــا المنكـــاب وأدركنا فى (أرجوزة) الذهبية وشروطها ، وكفى بمقدار معرفتنا للعـــارفين بعد موتنا (١٢٥) ، أما قوله عن ذلك منظوماً فقد جاء فى الأرجوزة الذهبية فـــى البيت ١٦٦ (١٢٦) :

ومن عرّف الموج الصليبى وريحه   وركّب مغناطيسكم بالمراكب

وقد أشار ابن ماجد فى قصيدته الذهبيـــة (الأبيـــات : ١٣٠ - ١٧٨) إلى الاختراعات والاكتشافات التى توصل إليها دون غيره وأهمها البوصلـــة وتحديد القبلة ، فيقول فى هذه القصيدة (١٢٧) :

إليكــــم إشارات كشفت أصولها   ليعرفنى طول المــدى كل طالب

وصفت علوماً ما سُبِقتُ لمثلهـــا   أصولاً الا فاستفتحوا من مواهبى

وفيما يلى نظرة على الكتابين الذين أودعـــهما ابــن مـــاجد خلاصـــة تجاربه:

(أ) كتاب حاوية الاختصار فى أصول علم البحار :

يحتوى هذا المصنف على ١٠٨٢ بيتاً ، وتوزعت هذه الأبيـــات علـــى ١١ فصلا عالج فيها الموضوعات التالية :

أولاً : لوازم السفر ومنازل الفلكية (نجوم وكواكب .... الخ) :

١ - إشارات يحتاج إليها الربابنة

٢ - معارف يحتاج إليها المعالمة

٣ - إحتياطات ما قبل السفر

٤ - منازل القمر الشامية

٥ - منازل القمر اليمانية

٦ - حركة المنازل

٧ - أسماء نجوم اخنان الحقة

٨ - أسماء نجوم أنصاف الأخنان

٢٧ – باشى سعد بلع

٢٨ – باشى الفرغ المقدم

٢٩ – باشى الشرطين

٣٠ – باشى الدبران

٣١ – باشى المرزم

٣٢ – باشى الذراع

٣٣ – باشى منزلة الطرف

ثانيا : الأديرة : تحدث فيه عن الديرة (المجرى أو الخط البحرى المسـاير لخط الساحل) بين المناطق المختلفة مثال ذلك :

١ – الديرة بين جرون (بندر عباس) إلى باب المندب .

٢ – الديرة من باب المندب إلى جدة .

٣ – الديرة من سيبان إلى القصير والسويس .

٤ – ديرة بر البربرة ، وديرة مل بر الزنج ، وديرة جزيرة القمر .

٥ – ديرة بر العجم وبر الهند وسيلان والبر العربى وديرة البر الشرقى.

٦ – وديرة السيام وجزر تكوة والصين وملاقة وجاوه وجزر تيمور .

٧ – وبعض الجزر الواقعة فى المحيط وبحر الأحمر والخليج .

ثالثـا : المسافات والقياسات بين الأديرة السابقة ومواعيد السفر .

رابعا : معرفة الاستواءات ولوازم السفر وما يتعلق بالربان ومعرفة جـرى الماء فى الباحة – هكذا – والبحر المحيط ومعرفة التربـة وتفصيل قلع المراكب .

خامساً : معرفة تقويم الساعات ودخولها والسبعة السيارة ، والنجوم والشمس.

(ب) كتاب الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد والفصول :

قسم ابن ماجد هذا الكتاب إلى ١٢ فصلاً ، وأطلق على هذه الفصول فوائد ، تناول فيه أمور الفلك وطرق الملاحة والفصول والظواهر الطبيعية والأحول الجوية وجغرافية الملاحة . ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً مهماً فى شئون البحر ، حيث اعتمد عليه من تناول دراسة شئون الملاحة أو الذين أعتلوا سطح السفينة من ربابنة أو غيرهم وهو لا غنى عنه . وأودع ابن ماجد فى هذا الكتاب سر تجاربه كدليل وما توصل إليه من تجارب كمرشد لربابنة البحر ورواده . قد تناول فى كل فائدة موضوعاً أو أكثر:

١ - **الفائدة الأولى :** تناول فيها أصول وأسس البحر مثل اعتماد الملاحة على حجر المغناطيس (البوصلة) ، ومنازل القمر وبروجه ودور من سبقوه فى ذلك العلم ، والأخنان .

٢ - **الفائدة الثانية :** حول أسباب ركوب البحر ، والشروط الواجبة عند ركوب البحر ، والمعارف التى يجب أن يتحلى بها المعلم الماهر أو الربان وصفاته .

٣ - **الفائدة الثالثة :** تتحدث عن منازل القمر - ٢٨ منزلة - ومنافعها بالنسبة للملاحة .

٤ - **الفائدة الرابعة :** الأخنان وما يتعلق بها ، والأخنان هى أجزاء الدائرة الأفقية التى قسمت إلى ٣٢ خن .

٥ - **الفائدة الخامسة :** خصصها ابن ماجد فى ذكر احتياجات أهل الصنعة وما يتعلق بها مثل : معرفة فصول السنة والتقويم كما ذكر فى هذه

الفائدة ما أخترعه كالبوصلة وبعض الأدلة والمصادر التى تهم الربــان ، كما تطرق فى هذه الفائدة لبعض مؤلفاته.

٦ - **الفائدة السادسة :** وضح فيها ابن ماجد معنى الدير وهى عنــده ثلاثـة أديرة : دير الملّ (الديرة البحرية) : وديرة المطلق . وديرة الأقتــداء . ومعنى الدير هو المجرى أو الخط البحرى المساير لخط الساحل .

٧ - **الفائدة السابعة :** خصص ابن ماجد هذه الفائدة لمعرفة معنى الباشــات والقياسات التى اختلفت فيها مَعَالِمة البحر الهندى ، وهى القياسات التــى تعرف عند هؤلاء المعالمة بـــ (تحت الريح) ويقصد بها الإرصـــادات الفلكية .

٨ - **الفائدة الثامنة :** تناولت الإرشـــادات الخاصـــة بـــالمراكب وآلاتــها ، وعلامات البر كمعرفتهم بالطيور ، والحيتـــان ، والثعـــابين ، ونباتـات البحر وعلامات الطوفان ، وعلامات ساحل الـــهند الغربـــى ، وبعـض الجزر المهمة على ساحل مليبار . كما أودع ابن ماجد فى هــذه الفـائدة صفات المعلم أو الربان الناجح .

٩ - **الفائدة التاسعة :** خصصها ابن ماجد " لدورة البحر فى جميع الدنيـا " ، وقد وصف فيها الأقاليم وسواحلها التى كـــانت معروفـــة لديـــهم وقتـئـذ كسواحل جزيرة العرب وسواحل بحر القلزم (الأحمر) وسواحل الـــهند وسواحل شرق أفريقيا وغيرها .

١٠ - **الفائدة العاشرة :** وصف فيها ابن ماجد الجزر الكبيرة ، وما يتعلـــق بها ، كجزيرة العرب ، وجزيـــرة البحريـــن ، وجزيـــرة ســـومطرة ،

وجزيرة جاوه ، وجزيرة الغور ، وجزيرة سيلان ، وجزيرة زنجبار ، وجزيرة سوقطرة .

١١ - **الفائدة الحادية عشر** : خصصها ابن ماجد لمواسم السفر وما يتعلق بها كمواسم الخروج والقدوم إلى بر العرب والخروج من بر الهند إلى بر العرب ، والخروج من السند والقدوم إليه .... الخ كما ألحق بهذه الفائدة مواسم السفر القديمة وأسفار والده ماجد ، وكيفية معرفة المواسم.

١٢ - **الفائدة الثانية عشر** : تناول فيها ابن ماجد دور آبائه وأجداده وممارستهم للبحر وذكر أيضاً أرجوزة والده المعروفة بالحجازية ، كما أنه خصص معظم هذه الفائدة الحديث عن بحر القلزم حيث وصف السفر بين أجزائه ، وفند بعض مجاريه وجزره وشعابه والأماكن الخطرة فيه ، والسفر من هذا البحر وإليه .

الخاتمة

وخلاصة البحث أن أحمد بن ماجد بن محمد السعدى ولد فى جلفار العمانية - رأس الخيمة - بدولة الإمارات العربية المتحدة ، وأنه من مواليد عام ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م تقريباً ، ومات على أكثر الاحتمالات بعد عام ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م ، وينسب إلى قبيلة بنى سعد وهى من أكبر القبائل العمانية التى تقطن فى منطقة الباطنة حيث يتوزع أفرادها فى ولايتى السويق والمصنعة .

لم يكن أحمد بن ماجد السعدى نجدياً هاجر إلى البحر ، ولكن ربما كان جده التاسع أبو بكر النجدى هو الذى هاجر من وسط الجزيرة فى أواخر القرن الثانى عشر على أقل تقدير إذا أعتبرت نجد هى نجد وسط الجزيرة العربية والواقعة بين الإحساء والحجاز ، وفى الحقيقة أن النجود كثيرة ، ولا نختلف أن معظم القبائل العربية أصلها من العدنانية أو القحطانية ، حيث تقطن فى أواسط وشمال الجزيرة العربية واليمن على التوالى .

أنما ما ورد فى كتاب النهروالى عن إرشاد ابن ماجد للبرتغاليين ، فإن ابن ماجد لم يكن فى ذلك الوقت فى شرق إفريقيا - إبريل ١٤٩٨ م - وأن آراء النهروالى متضاربة مع المصادر البرتغالية من أن عملية الإرشاد كانت من سفالة - موزنبيق - وليس من مالندى ، بالإضافة إلى أن النهروالى لم يقل أن ابن ماجد قاد السفينة البرتغالية ، وكذلك لم يقل أنه أطلع فاسكو دىجاما على الآلات التى كانت يستخدمها كما حكت المصادر البرتغالية ، وإنما وصف لهم الطريق ،وهى مقولة لا تستحق هذه الضجة ، وبإمكان أى ربان أو صياد يقولها ، لأن عباراتها لا تدل على الخبرة والمهارة . ولعلنا لا نحيد عن الحقيقة إذا قلنا أن النهروالى توهم فى الرجل ، وربما الربان الذى عناه النهروالى ليس هو بحارنا الذى نكتب عنه . وأن فيراند المستشرق

الفرنسى هو الذى ربط بين مَعَالمة جوزرات الذين أشارت إليهم المصادر البرتغالية وبين عالمنا ابن ماجد ، وأن هذا الربط فى غير محله .

أما ما نظمه ابن ماجد عن البرتغاليين فى أرجوزته السفالية فلا يتضح من كلامه أنه أرشد البرتغاليين إلى الهند ، وأن الأبيات التى عنتهم الأرجوزة (٦٩ بيتاً) هى أبيات منحوّلة أو مدسوسة أو أنه نظمها بعد أن عرف بوصولهم وهو قد ترك الترحال وعكف على تسويد وإعادة كتابة أرجيزه وكتبه النثرية ، لأن هذه الأبيات - حسب آراء الدكتور خورى - غير منتظمة وبها اضطراب واقحمت فى الأرجوزة اقحاماً دون تنسيق ، وهكذا تسقط حجج التهمة واحدة تلو الأخرى ويخرج ابن ماجد من هذه التهمة كخروج الشعرة من العجين ناصع الجبين .

وقدم ابن ماجد للملاحة البحرية أعمالاً جليلة سهلت للسفن طريقاً سليماً بعيداً عن المخاطر ، حيث صنف « الحاوية » و« الفوائد » كدليلين فى شئون البحر لكى يستعين بهما ربابنة البحر . كما حدد ابن ماجد فى كتبه وأراجيزه وقصائده تفصيلاً كاملاً عن خطوط السير ومواسم السفر وأدواته وإشارات البر وعلاماته التى تعيق السفن كما رتب منازل القمر ، والكواكب، كما طور ابن ماجد البوصلة البحرية ، وحدد قبلة المسلمين وهم فى البحر لكى يسهل للمسلمين المسافرين فى البحر تأدية الصلاة باطمئنان .

وأحمد ابن ماجد السعدى العمانى رجل ذا دين وله سلوك وأخلاق حميدة نقية طيبة ، ومواظب على أداء الواجبات والتكاليف الدينية ، كما أنه يحافظ على سلوكيات المهنة ، وهو قدوة فى المعاملة والتعاون ، وله دستور فى الملاحة الذى شملت الربان ومعاونيه كما شملت السفينة سواء كانت راسية على الساحل أو فى البحر .

لقد حث ابن ماجد على احترام العادات والتقاليد الملاحية كالأمانة والنجدة والوفاء بالمواثيق والعهود . يعتبر ابن ماجد أن البحر حر مع إحترام المياه الأقليمية لكل بلد ويقول : " ولكن البحر ليس هو بحر أحد من الطوائف. إنك إذا غيبت البرور عن نظرك ما عندك إلا معرفتك بالنجوم والهداية بها " ويقصد أن بعد إبعادك من الساحل فإنك أنت حر ولا يحكم مسارك سوى الملاحة والفلك .

ويعتبر ابن ماجد السعدى مجدداً ومطوراً للملاحة البحرية ، ونفض عنها غبار الوهن ، وأضاف إلى علم الملاحة إضافات مهمة سهلت حركة السفن للتواصل بين القارات والبلدان وشجعت التجارة وازدهارها ، ولهذا فإن ابن ماجد أسطورة الملاحة العربية ، ومرشدها بحق لا ينافسه منافس ، ولهذا حسده الحاسدون وألحقوا تهمة إرشاد البرتغاليين به .

وإذا تأخرت البحوث والدراسات الخليجية عن ابن ماجد ، وعلّقت به تهمة الخيانة والإرشاد ، وهو منها برئ ، لتقاعس ذويه عنه ، وأصبح عرضة للقيل والقال دون وجود أحد يذب عنه وعن أفكاره ، يخرج كنز جهده ومكنون أفكاره ، حيث عده الدكتور حمزة إبراهيم من أكبر الهفوات فى التاريخ وأنه هو الذى كتب السطر الأول فى سفر الأسفار .

هوامش البحث

١- السعدى ، أحمد بن ماجد .الفوائد فى أصول البحر والقواعد . ص٢٣

٢- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد . ص : ٨٨

٣- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص : ١٨٠

٤- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص :٢١٩

٥- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص : ١٣

٦- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد . ص : ١٣ ، ٨٨

٧- يقصد بهؤلاء الثلاثة هم : محمد بن شاذان ، وسهل ابن أبان ، والليث بن كهلان وهم من ربينة البحر المشهورين فى الخليج العربى وقد أشار إليهم كثيرا فى أشعاره من ذلك قوله :

يا ابن شاذان يا سهل وثالثهم   السابقين بعلم معجب حسن

علم نفيس ولكن من تدواله   سواكم فهو منسوب إلى الغبن

خلفتمونيوحيدا فيالزمانوقد   كنتم أحبار على الزمن

٨- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد . ص : ٥٩ ، ٨٨ ، ١٢٤

٩- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص :٢٣٢

١٠- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص :٢٦٦

١١- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص: ٢٧٠

١٢- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص :٦٦

١٣- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص ٨٨

١٤- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص: ٢٣

١٥- السعدى ، أحمد بن ماجد . النونية الكبرى ص : ٤٧

١٦ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد ص : ٣٠٢

١٧ - السيابى ، سالم بن حمود . أسعاف الأعيان . ص : ٢٥ انظر نسب سعد أيضا ابن حزم ، على بن أحمد جمهرة أنساب العرب ص : ٢٦٥؛ القلقشندى ؛ أبو العباس أحمد نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب . ص : ٤٠٤

١٨ - مايلز ، الخليج بلدانه وقبائله . ص : ٣٠٠

١٩ - لوريمر . دليل الخليج . ج٥ : ص : ٢٠٤٣

٢٠ - Records of Oman Vol. I p. cix

٢١ - دليل أعلام عمان . ص : ٤٦

٢٢ - دليل أعلام عمان . ص ١٤٦

٢٣ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد . ص : ٢٧٦

٢٤ - السعدى ، أحمد بن ماجد . حاوية الإختصار .ص : ٨٦

٢٥ - ذكر ابن ماجد أرجوزة والده فى كتابه " الفوائد " أربع مرات فسماها فى المرة الأولى " الحجازية " ص ٢٣٦ ، وباسم " الألفية " ص ٢٤٤، " وأرجوزة ماجد " ص ٢٣٤ ، "وأرجوزة الوالد " ص : ٢٥٤، ٢٦٠ .

٢٦ - G. R . Tibbetts , Arab Navigation in the Indian Ocean before the coming of the Poruguese . p . 12

نقلا عن Sir Richard Burton

٢٧ – الماجد ، عبد الله . الريان النجدى أحمد بن ماجد . مجلة العـرب ج١ ، السنة الثالثة رجب ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، ص ٥٥ -٥٦ .

٢٨ – الماجد ، عبد الله . المرجع السابق . ص ٥٦

٢٩ – خورى ، إبراهيم . أحمد بن ماجد . ج١ ، ص : ٣٠ نقلاً من كتـاب المحيط لعلى بن الحسين . ورقة : ٣ ، ٣٣ انظر أيضاً ٢٤)

G .R . Tibbetts Arab Navigation in the Indian Ocean before the coming of the Portuguese . p .7

٣٠ – خورى ، إبراهيم . أحمد بن ماجد . ج١ ، ص: ٣١

٣١ – شوموفسكى ، تيودور . ثلاثة أزهار فى معرفة البحار ص ٧٨

٣٢ – الخارجى، الشيخ منصور بن إبراهيم. القواعد والميل وعلم البحر ص

٣٣ – ترجم الدكتور أنور عبد العليم فى كتابه " الملاحة وعلوم البحار عنـد العرب " كلمة جلفار على أنها ظفار . كما نجـد البـاحثين السـوريين يدعون أن ابن ماجد ينتسب إليهم .

٣٤ – السعدى أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٢٠

٣٥ – السعدى أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص : ٢٦٥

٣٦ – السعدى أحمد بن ماجد . كتاب الفوائد . ص ١٤٣

٣٧ – السعدى أحمد بن ماجد .كتاب الفوائد . ص: ٢٦ – ٢٧ ، ٢٦٥

٣٨ – السعدى أحمد بن ماجد . النونية الكبرى . تحقيق حسن صالح شهاب. ص : ١١

٣٩ – السعدى أحمد بن ماجد . كتاب الفوائد . ص: ١٤٣

٤٠ - حدد الدكتور أنور عبد العليم تاريخ ولادة ابن ماجد بين سنوات ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ - ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م ، بينما ذكر شوموفسكى أنها عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م . كما أن الأستاذ حسن صالح شهاب خرج مولده بعض التحليلات التى استخدمها بمقارنة تواريخ قصائد ابن ماجد واستراح إلى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م

٤١ - السعدى أحمد ابن ماجد . النونية الكبرى . ص : ٢٥٥

٤٢ - G. R . Tibbetts, Arab Navigation in the Indinan Ocean before the coming of the Portuguese p .8.

٤٣ - حورانى ، جورج فاضلو . العرب والملاحة فى المحيط الهندى ۰ ٢٣٧ .

٤٤ - قلعجى ، قدرى . الخليج العربى : بحر الأساطير . ص : ٥٧

٤٥ -كاظم ، بشير حمود . حركة الكشوف الجغرافية وأهدافها . أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية . ج١ . ص: ١٢٢ - ١٢٣

٤٦ - سالم ، السيد مصطفى . الفتح العثمانى الأول لليمن . ص : ٤٧

٤٧ - كاظم ، بشير حمود . حركة الكشوف الجغرافية وأهدافها . أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ج١ . ص ١٢١ -١٢٢

٤٨ - Dictionary of World History , P . 412

٤٩ - حنظل ، فالح . العرب والبرتغال فى التاريخ ص : ١١٦

٥٠ - ظل سنان باشا والياً على اليمن (١٥٦٩م-مارس ١٥٧١ م) ثم تركها لبهرام باشا ، ثم غادرها إلى مكة المكرمة وقابل هناك قطب الدين النهروالى وكلفه وضع كتاب يشيد فيه بفتوحات العثمانيين فى اليمن ۰

٥١ - خورى ، إبراهيم حياة ابن ماجد . ص : ٢١٥ : الحمدانـــى ، طـــارق نافع . ابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلى الهند ص : ٨٨

٥٢ - النهروالى ، قطب الدين . البرق اليمانى . ص: ١٨ – ١٩

٥٣ - الملبارى ، أحمد زين الدين . تحفة المجاهدين . ص ٥ : ١٧

٥٤ - خورى ، إبراهيم حياة ابن ماجد . ص : ٢٢٦

٥٥ - عبد العليم ، أنور محمد . ابن ماجد والبرتغال . ص : ٦٤ – ٦٥

٥٦ - الحمدانى ، طارق نافع . ابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلـــى الـــهند . ص: ٩٠

٥٧ - السعدى ، أحمد بن ماجد كتاب الفوائد .ص: ٢٤٢ – ٢٤٦

٥٨ - حنظل ، فالح . العرب والبرتغال فى التاريخ ص : ١١٧ – ١١٧

٥٩ - الحمدانى ، طارق نافع . ابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلى الـهند ص : ٩٣ من أعمال الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد

٦٠ - سونيا ، هاو فى طلب التوابل . ترجمة محمد عـــزت رفعـــت . ص : ١٩٧ .

٦١ - النهروالى ، قطب الدين . البرق اليمانى . ص : ١٨

٦٢ - خورى ، إبراهيم حياة ابن ماجد . ص: ٢٤١

٦٣ - خورى ، إبراهيم . حياة ابن ماجد . ص : ٢١٥ – ٢٧٣

٦٤ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٣٢

٦٥ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد ص : ١٦٨

٦٦ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٣٠

٤٠ – حدد الدكتور أنور عبد العليم تاريخ ولادة ابن ماجد بين سنوات ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ – ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م ، بينما ذكر شوموفسكى أنها عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م . كما أن الأستاذ حسن صالح شهاب خرج مولده بعض التحليلات التى استخدمها بمقارنة تواريخ قصائد ابن ماجد واستراح إلى عام ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م

٤١ – السعدى أحمد ابن ماجد . النونية الكبرى . ص : ٢٥٥

٤٢ – G. R . Tibbetts, Arab Navigation in the Indinan Ocean before the coming of the Portuguese p .8.

٤٣ – حورانى ، جورج فاضلو . العرب والملاحة فى المحيط الهندى . ٢٣٧ .

٤٤ – قلعجى ، قدرى . الخليج العربى : بحر الأساطير . ص : ٥٧

٤٥ –كاظم ، بشير حمود . حركة الكشوف الجغرافية وأهدافها . أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية . ج١ . ص: ١٢٢ – ١٢٣

٤٦ – سالم ، السيد مصطفى . الفتح العثمانى الأول لليمن . ص : ٤٧

٤٧ – كاظم ، بشير حمود . حركة الكشوف الجغرافية وأهدافها . أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ج١ . ص ١٢١ –١٢٢

٤٨ – Dictionary of World History , P . 412

٤٩ – حنظل ، فالح . العرب والبرتغال فى التاريخ ص : ١١٦

٥٠ – ظل سنان باشا والياً على اليمن (١٥٦٩م–مارس ١٥٧١ م) ثم تركها لبهرام باشا ، ثم غادرها إلى مكة المكرمة وقابل هناك قطب الدين النهروالى وكلفه وضع كتاب يشيد فيه بفتوحات العثمانيين فى اليمن .

٥١ - خورى ، إبراهيم حياة ابن ماجد . ص : ٢١٥ : الحمدانـــى ، طـــارق نافع . ابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلى الهند ص : ٨٨

٥٢ - النهروالى ، قطب الدين . البرق اليمانى . ص: ١٨ - ١٩

٥٣ - الملبارى ، أحمد زين الدين . تحفة المجاهدين . ص ٥ : ١٧

٥٤ - خورى ، إبراهيم حياة ابن ماجد . ص : ٢٢٦

٥٥ - عبد العليم ، أنور محمد . ابن ماجد والبرتغال . ص : ٦٤ - ٦٥

٥٦ - الحمدانى ، طارق نافع . ابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلـــى الـــهند . ص: ٩٠

٥٧ - السعدى ، أحمد بن ماجد كتاب الفوائد .ص: ٢٤٢ - ٢٤٦

٥٨ - حنظل ، فالح . العرب والبرتغال فى التاريخ ص : ١١٧ - ١١٧

٥٩ - الحمدانى ، طارق نافع . ابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلى الـهند ص : ٩٣ من أعمال الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد

٦٠ - سونيا ، هاو فى طلب التوابل . ترجمة محمد عـــزت رفعـــت . ص : ١٩٧ .

٦١ - النهروالى ، قطب الدين . البرق اليمانى . ص : ١٨

٦٢ - خورى ، إبراهيم حياة ابن ماجد . ص: ٢٤١

٦٣ - خورى ، إبراهيم . حياة ابن ماجد . ص : ٢١٥ - ٢٧٣

٦٤ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٣٢

٦٥ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد ص : ١٦٨

٦٦ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٣٠

٦٧ – خوري ، إبراهيم . حياة ابن ماجد . ص ٢٦٢ – ٢٦٨

٦٨ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٨٢

٦٩ – شهاب ، حسن صالح . أحمد بن ماجد والملاحة فى المحيط الهندى : ١١٣

٧٠ – الخادم ، حسام . ابن ماجد : دوره فى اكتشاف طريق الهند البحرى ومظاهر التفكير العلمى فى كتاباته . : ٣٢ . بحث منشور فى مجلة الوثيقة عدد ١٢ (١٩٨٨) .

٧١ – الخادم ، حسام . ابن ماجد : دورة فى اكتشاف طريق الهند البحرى ومظاهر التفكير العلمى فى كتاباته : ٣٣

٧٢ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .البيت رقم ٢٧ ص ٦١، والبيت رقم : ٥٠ ص ٦٢

٧٣ – الحم،دانى ، طارق ونافع . ابن ماجد وإرشاد البتغاليين إلى الهند ص : ٩٧

٧٤ – السعدى ، أحمد بن ماجد . ثلاثة أزهار فى معرفة البحار . ص ١٢٠

٧٥ – السعدى ، أحمد بن ماجد . حاوية الاختصار.ص ٨٦

٧٦ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٧٨

٧٧ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :٢٣٠

٧٨ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد .ص :١٦٨، والحقيقة أن الذهبية وردت فى كتاب الفوائد ١٤ مرة انظر الصفحات ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٨٤ ، ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ، ١٣٦، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٦٨ ، ٢٤١ .

٧٩ - السعدى ، أحمد ابن ماجد . الحاوية . ص ١١

٨٠ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الحاوية . ص٨٦ - ٨٧

٨١ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ١٤

٨٢ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص: ٦٦

٨٣ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز .ص : ٩٠

٨٤ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز .ص :١٠٧

٨٥ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز .ص :١٢٤

٨٦ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز .ص :١٤٢

٨٧- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز .ص :١٥٥

٨٨ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ١٦٨

٨٩- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ١٨٠

٩٠- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ١٨٨

٩١- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص: ٢١٩

٩٢ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٣٣

٩٣ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص: ٢٣٨

٩٤ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٥٣

٩٥ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٦٧

٩٦ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٧٢

٩٧ - السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٧٨

٩٨ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٨٣

٩٩ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٩٠

١٠٠– السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص :٢٩٦

١٠١ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص :٣٠١

١٠٢ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٣٠٣

١٠٣ – السعدى ، أحمد بن ماجد . النونية الكبرى ص :٢٩

١٠٤ – السعدى ، أحمد بن ماجد . النونية الكبرى ص :٢٤٥

١٠٥ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز. ص : ٣٠٦

١٠٦ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز. ص : ٢٣٠

١٠٧ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجـــيز . ص : ٣٩ ، ٩٥ ، ١١٩، ١٤٩ ، ١٥٠

١٠٨ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز. ص : ٦٤

١٠٩ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ١٥٦

١١٠ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص :٢٣٠

١١١ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص :٢٣٠

١١٢ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ١٩٨

١١٣ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٩٥

١١٤ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٣٠

١١٥ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :٨٦ ، ١٤٨ ، ١٥٧

١١٦ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص : ٢٧٩

١١٧ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :١٢٠

١١٨ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :٩٣

١١٩ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :١٣٢

١٢٠– السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص : ٢٣٠

١٢١ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :٢٦ وما يليها .

١٢٢ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :٤٧ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١

١٢٣ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :١٣٦

١٢٤ – أمين ، حسين . أحمد بن ماجد ودوره فى الملاحة البحرية فى الخليج العربى . ص : ٩٦

١٢٥ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الفوائد . ص :١٣٥

١٢٦ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص :٢٢٩

١٢٧ – السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز . ص :

المصادر والمراجع

- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله . تحفة الأنظـــار وغرائــب الأمصــار . بيروت : دون تاريخ .

- ابن جبر . أبو الحسن محمد بن أحمد . رحلة ابن جــبر . القــاهرة : دون تاريخ .

- ابن الديبع ، عبد الرحمن بن على . الفضل المفيد على بقية المستفيد فــى أخبار زبيد وصنعاء . ١٩٨٢ .

- الإدريسى ، أبو عبد الله محمد بن حمد . نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق.

- أمين ، حسين . أحمد بن ماجد ودوره فى الملاحة البحريـــة فــى الخليـج العربى . من أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية جــ١ ، رأس الخيمـــة : بدون تاريخ .

- باشا ، عمر موسى . ابن ماجد النجدى . مجلة جامعة دمشــق . جـــ١ ، العدد ٢ ، (١٩٨٥) ص : ٩٦ .

- بامخرمة ، عبد الله الطيب بن عبـــد الله . تــاريخ ثغــر عــدن . ط .٢ ، القاهرة: ١٩٩١ .

- بطى ، أحمد عبيد . الصراع البرتغالى العثمانى فى القرن السادس عشـر . دبى : ١٩٩١ .

- التاجر على الربان أحمد بن ماجد . مجلة العــرب ، جـــ٥ ، السـنة ٥، (يناير ١٩٧١) ص : ٤٥٨ .

-Tibbetts, G.R. Arab Navigation in the Indian Ocean before the Coming of the Prtuguese . London ; 1981.

- الحمدانى ، طارق نافع . ابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلى الـهند " رؤيـة جديدة من أبحاث الندوة العلمية لإحياء تراث أحمـد بـن مـاجد ، ج٢ ، الشارقة : ١٩٩١

- الحموى ، محمد ياسين .الملاح أحمد بن ماجد . دمشق : ١٩٧٤ .

- حنظل ، فالح . العرب والبرتغال فـى التـاريخ : ٩٣ / ٧١١ - ١١٣٤ / ١٧٢٠ ط.١ ، أبو ظبى : ١٩٩٧ .

- حورانى ، جورج فاضلو . العرب والملاحة فى المحيط الهندى . ترجمة . يعقوب بكر . القاهرة .

- الخادم ، حسام . ابن ماجد دوره فى اكتشاف طريق الهند البحرى ومظاهر التفكير فى كتابته . مجلة الوثيقة . العدد ١٢ (يناير ١٩٨٨) ، البحرين.

- الخضورى ، ناصر بن على بن ناصر . معدن الأسرار فى علم البحـار . ط. ١ مسقط : ١٩٩٤ .

- خورى ، إبراهيم . أحمد بن ماجد : حياتـه ، مؤلفاتـه ، اسـتحالة لقائـه بفاسكو دى جاما . جـ١ ، رأس الخيمة : بدون تاريخ .

- السعدى ، أحمد بن ماجد . حاوية الاختصار . تحقيـق الدكتـور إبراهيـم خورى . جـ٢ ، رأس الخيمة : بدون تاريخ .

- السعدى ، أحمد بن ماجد . الأراجيز والقصائد . تحقيق الدكتور إبراهيـم خورى . جـ٣ ، رأس الخيمة بدون تاريخ .

- السعدى أحمد بن ماجد . كتاب الفوائد فى أصول علـم البحـار . تحقيـق الدكتور إبراهيم خورى .جـ٤ ، رأس الخيمة : بدون تاريخ .

- السعدى ، أحمد بن ماجد . ثلاثة أزهار فى معرفة البحار . تحقيق الدكتور شوموفسكى ، ترجمة محمد منير موسى . القاهرة : ١٩٦٩ .

- السعدى ، أحمد بن ماجد . النونية الكبرى مع ست قصائد أخرى . تحقيق حسن صالح شهاب. ط.١، وزارة التراث القومى والتراث. مسقط: ١٩٩٣

- سلطنة عمان . عمان وتاريخها البحرى . مسقط : ١٩٧٩ .

- السيابى ، سالم بن حمود . أسعاف الأعيان . قطر : ١٩٦٥ م .

- الشارونى ، يوسف . تعقيب على موضوع " هفوة أحمد بن ماجد من أكبر الهفوات فى التاريخ " . جزيرة الشرق الأوسط : العدد . ٤٩٦ المصادر فى ٢٧ / ٦ / ١٩٩٢ .

-شهاب ، حسن صالح . علوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامى " دراسة مقارنة ، الكويت : ١٩٨٤ .

- شهاب ، حسن صالح . أحمد بن ماجد والملاحة فى المحيط الهندى . سلسلة الملاحة العربية الفلكية . جـ٨ ، رأس الخيمة . بدون تاريخ .

- شهاب ، حسن صالح . فن الملاحة عند العرب . منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء : ١٩٨٢ .

- شهاب ، حسن صالح . البعد الجغرافى للملاحة العربية فى المحيط الهندى. ط .١ . مسقط : ١٩٩٤ .

- الصيرفى ، نوال يوسف أحمد . النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى . الرياض : ١٩٨٣ .

- عبد العليم ، أنور محمد . ابن ماجد والبرتغاليين . الندوة العملية لإحياء تراث ابن ماجد جـ٢ ، منشورات إتحاد كتاب وأدباء الإمارات . الشارقة: ١٩٩١ م .

- عبد العليم ، أنور محمد . الملاحة وعلوم البحار عند العــرب منشــورات المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . الكويت : ١٩٧٩ .

- قاسم ، جمال زكريا . دراسات فى تــاريخ الخليــج العربــى : ١٨٠٧ - ١٨٤٠ . القاهرة : ١٩٧٥ .

- كاظم ، بشير حمود . حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها . من أبحاث نـدوة رأس الخيمة التاريخية ، جـ ١ ، رأس الخيمة : بدون تاريخ .

- كحيلة ، عبادة . عن العرب والبحر . القاهرة : ١٩٨٩ .

- لوريمر ، دليل الخليج . جـ٦ " القسم الجغرافى " ترجمة حكومة قطــر . قطر : ١٩٦٧ .

- الماجد ، عبد الله بن على. أحمد بن ماجد: الربان النجدى . مجلة العــرب، جـ ١ ، السنة :٣ (أكتوبر ١٩٦٨) ، ص : ٤٢ - ٨٢ .

- ما يلز ، س . ب . الخليج بلدانه وقبائله . ترجمة محمد أميــن عبــد الله . ط٤. مسقط : ١٩٩٠.

- المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين . مروج الذهب ومعادن الجوهــر دار المعرفة ، بيروت : ١٩٨٣ .

- المقدسى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد . أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم.

- المليارى ، أحمد زين الدين العــبرى . تحفــة المجــاهدين فــى أحــوال البرتغاليين . بيروت : ١٩٨٥ .

- النهروالى ، قطب الدين محمد بن أحمد . البرق اليمانى فى الفتح العثمانى. الرياض : ١٩٦٧ .

مراكز إنتاج المنسوجات والملابس الإسلامية وصناعتها في معجم البلدان لياقوت الحموى

د. سيف شاهين المريخى

كلية الإنسانيات – جامعة قطر

مقدمة فى المصادر :

تعدُّ الملابس من الضروريات التى رافقت الإنسان منذ بداياته الأولى ، إذ بدأ الإنسان يستعين أولا بالنباتات ليستر عورته ثم شعر مع مرور الوقت بالحاجة إلى كساء يقيه برد الشتاء القارص ويحميه من رطوبة الأمطار فتفتق ذهنه إلى استخدام جلود الحيونات التى كان يصطادها ويقتات منها الأمر الذى ساعده على الانتقال إلى مرحلة جديدة شعر فيها بأهمية الجلود وفوائدها فأخذ يستخدمها بالإضافة إلى الملبس ، فى المسكن وأصبحت من الأمور الهامة والأساسية فى حياة الإنسان .

ورافق تطور مراحل حياة الإنسان تطور فى الملابس فتعرف على طرق لغزل الخيوط ودخل مرحلة النسج ووقف على مزاياه المتعددة فأحسن استخدامه وصنع أنواعا مختلفة من الملابس الصوفية والقطنية والحريرية التى تناسب استخداماته وتلبى احتياجاته طوال فصول السنة . فازدهرت مهنة الخياطة وتعددت مراكز إنتاج المنسوجات ولقيت تجارة الملابس اهتماما كبيرا من المجتمعات المتحضرة فأنشئت لها الحوانيت والأسواق الخاصة بها لتسويقها وسيرت لها القوافل التجارية لترويجها . وتشير المرويات الإخبارية

عند المؤرخين العرب المسلمين إلى أن أول من مارس مهنة الحياكة والخياطة هو سيدنا إدريس عليه السلام(١) . الأمر الذى أضفى على هذه المهنة المزيد من الحب والتقدير والاحترام فمارسها الناس وتفاخروا بها وتوارثوها جيلا عن جيل .

وكغيرهم من المجتمعات المتحضرة مارس العرب مهنة الحياكة والخياطة وأولوها عناية واهتماما كبيرين فتعددت الملابس العربية من عمائم وبراقع إلى أُزر وبرود ومن جُبَب وحُلل إلى العباء والملاحف . كما انتشرت مراكز التصنيع فى أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العربية مثل اليمن ونجران وعدن وصحار وقطر الأمر الذى ساعد على قيام صناعة متطورة استحوذت على تقدير الناس وأضحت مضرب الأمثال فى الأدب والشعر العربى الجاهلى .

ولقد استمرت صناعة وحياكة الملابس العربية فى الازدهار وبلغت شأوا كبيرا بعد دخول الإسلام إلى الجزيرة العربية وانتشار الفتوحات الإسلامية شرقا وغربا . فقد اتسعت حدود الدولة العربية الإسلامية وامتدت من تخوم الهند والصين شرقا إلى الأندلس غربا فازدهرت التجارة بين الأقطار الإسلامية الخاضعة لسلطان المسلمين واشتعلت المنافسة الاقتصادية بين مراكز صناعة إنتاج المنسوجات فى العالم الإسلامى وأخذت كل منطقة تصدر أفضل ما لديها رغبة منها فى الفوز بالمنافسة وكسب المزيد من الأسواق والمزيد من المستهلكين الأمر الذى أسهم إسهاما كبير فى زيادة أنواع الملابس وتعددها وازدهار صناعتها وحياكتها فى ديار الإسلام .

ومن العوامل التىساعدت علىازدهار صناعة الملابس الإسلامية إنشاء ديوان الطراز فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٦٨٤/٨٦-٧٠٥).

وكانت مهمة ديوان الطراز عند تأسيسه نسج الثياب الرسمية للخليفة والوزراء وغيرهم من رجال الدولة ولكن مع مرور الوقت تعددت المهام وتفرع عن هذا الديوان ديوان أخر عرف بديوان طراز العامة . ولقد أسهم ديوان الطراز فى العصر الأموى فى تطوير فن تزيين الملابس الإسلامية وتطريزها .

ومما هو جدير بالذكر عناية الخلفاء العباسيين بديوان الطراز واهتمامهم بصناعة المنسوجات وتشجيعهم لها . فكان الخلفاء يرتدون كل ما هو فاخر وثمين ويتنافسون فى الحصول على النفيس والنادر مهما ارتفع ثمنه وبعد مصدره يظهر هذا واضحا فى المبالغ السنوية المخصصة للكسوة والفرش فى قصور الخلفاء .

ويعدُ كتاب " رسوم دار الخلافة " مصدراً هاماً فى ما يتعلق بنفقات الخلفاء ورسومهم حيث تناول هلال بن المحسن الصابئ (ت ٤٨٨/١٠٩٤) بالتفصيل عادة الخلفاء فى ما يلبسونه فى المواكب والاحتفالات كما أشار إلى ملابس حاشية الخلفاء من خواص وخدم . ثم أورد بعد ذلك مجموع المخصصات المالية لنفقات كسوة الخليفة المقتدر بالله سنه (٣٠٦ / ٩١٨) والتى بلغت حوالى ثمانمائة وأربعة عشر ألف دينار(٢) . وإذا ما قارنا هذا المبلغ بأسعار المنسوجات فى ذلك الوقت يتبين لنا الحجم الكبير لنفقات الخلفاء فى العصر العباسى . وكان لباس الخلفاء العباسيين يشتمل على عمامة سوداء على الرأس وقباًء مولداً أسود من الحرير وخفاً أحمر وعلى الكتفين بردة(٣) . أما لباس العامة فكان عبارة عن عمامة على الرأس وإزار وقميص ودراعة للبدن الداخلى وفوقهم سترة أو رداء ويستخدمون الحذاء أو النعال للقدمين(٤) .

وتتراوح أسعار ملابس الخلفاء ما بين مائتى دينار للثوب الديباج الملكى ونصف دينار للثوب الأبيض صبغ أرضه(٥) . أما أسعار ملابس العامة فتتفاوت من ستة دراهم إلى دينارين للقميص ومن ستة دراهم إلى ثمانية عشر درهماً للإزار .

ولقد بلغ من عناية الخلفاء العباسيين واهتمامهم وتشجيعهم للمنسوجات فى مختلف أنحاء دار الإسلام قبولهم المنسوجات الجيدة كجزء من الخراج الذى تدفعه أقاليم الدولة العباسية للحكومة المركزية . وقد أورد ابن خلدون (٨٠٨-١٤٠٥) فى مقدمة تاريخه المسمى بكتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر " قائمة بموارد بيت مال الدولة العباسية أيام الخليفة العباسى المأمون (١٩٨-٢١٨/٨١٣-٨٣٣) وتحتوى هذه القائمة على عدد من السلع من ضمنها حلل نجرانية ، وثياب ، وإبرسيم ، وفرش طبرى ، وأكسية ، وبسط، ومناديل(٦) . ولما أحصيت خزائن الرشيد (١٧٠-١٩٣/ ٧٨٦-٨٠٨) بعد وفاته عثر فيها على أصناف متنوعة من الثياب الثمينة والنادر من جملتها أربعة آلاف جبة وشى وأربعة آلاف جبة خز مبطنة بسمور(٧) وفنك(٨) وسائر الوبر وعشرة آلاف قميص وغلالة وعشرة آلاف خفتان وألف سراويل من أصناف الثياب وأربعة آلاف عمامة وألف طيلسان وألف رداء وخمسة آلاف منديل أصناف وخمسمائة قطيعة(٩) . ويظهر لنا من خلال هذه الأعداد الكبيرة من الثياب المتنوعة حجم الاهتمام والتشجيع الذى كان يوليه الخلفاء العباسيون للملابس .

ومن عناية الخلفاء بالمنسوجات أنهم كانو أيضا يتهادونها مع الملوك والأباطرة ويقدمونها جوائز وهبات إلى الوزراء وأرباب المراتب من قضاة وولاة . وجاء فى كتاب الذخائر والتحف للقاضى الرشيد بن الزبير

(ت. القرن الخامس / الحادى عشر) أن المأمون أهدى ملك الهند هدايا متنوعة من ضمنها خمسة أصناف من الكسوة ، من كل صنف مئة ثوب من بياض مصر ، وخز السوس ، ووشى اليمن ، والإسكندرية ، ومُلْحم(١٠) خُراسان ، وديباج خراسانى ، وفرش قرمز ، وفرش طبرى ، وفرش سوسنجردى ، ومئة طنفسة(١١) حيرية بوسائدها كل ذلك خز ، وفرش خزّسوسىّ(١٢) . ومن طريف الهدايا ما أهداه الشاعر أبو العتاهية(١٣) للخليفة العباسى المأمون فقد ذكر الجاحظ (ت. ٨٦٨/٢٥٥) أن أبا العتاهية أهدى المأمون هدايا متنوعة من جملتها أردية قطرية ونعالا سبتية(١٤) .

بالإضافة إلى اهتمام الخلفاء ، حظيت المنسوجات باهتمام عدد كبير من العلماء والأدباء والمؤرخين والجغرافيين العرب المسلمين فعنوا بها وأفردوا لها فصولا خاصة فى مؤلفاتهم . ويعتبر محمد بن سعد بن منيع البصرى المتوفى فى سنة ٨٤٤/٢٣٠ ، من أقدم المؤرخين الذين تطرقوا إلى ذكر المنسوجات الإسلامية وتحدثوا عن أسمائها وألوانها والطريقة المستخدمة فى صبغها وذلك من خلال ترجماته للصحابة والتابعين فى كتابه "الطبقات الكبرى " ثم تبعه . عالم من علماء النحو واللغة والآداب هو القاسم بن سلام المتوفى سنة ٨٣٨/٢٢٤ ، حيث أفرد بابا خاصا فى كتابه الموسوم " الغريب المصنف " سماه " كتاب اللباس " بين فيه أنواع الثياب وألوانها وأنواع اللبس من قطن وجلد . ومن المؤلفات اللغوية القيمة التى تحدثت عن المنسوجات كتاب " المخصص " لعلى بن إسماعيل الأندلسى المشهور بابن سيدة المتوفى سنة ٤٥٨- ١٠٦٥ حيث تناول فيه الملابس وأفرد لها بابا مطولا تكلم فيه عن ضروبها وأصنافها ونعومتها ثم تعرض للبسط والنمارق والفرش ثم تحدث عن النعال والخف .

ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر المتعلقة بمصطلحات المنسوجات الإسلامية فى العصور الوسطى ومفرداتها . ومن المعاجم اللغوية الهامة التى عنيت بالملابس العربية الإسلامية " معجم لسان العرب " لابن منظور المتوفى سنة ٧١١- ١٣١١. إذ يحتوى هذا المعجم على معلومات وفيرة عن أسماء الملابس وأنسجتها جاءت مرتبة ترتيبا أبجديا على حروف المعجم حسب تصنيف ابن منظور الذى يشير إلى ألوان الملابس ومراكز إنتاجها . ويعد معجم لسان العرب بما يقدمه من المعلومات الغنية من المصادر التى لاغنى عنها فى دراسة الملابس عند العرب المسلمين . ومن الكتب الأدبية القيمة التى تناولت المنسوجات وأنواعها ومراكز إنتاجها كتاب " التبصر بالتجارة " المنسوب للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥- ٨٦٨ وكتاب " فقه اللغة وسر العربية " للثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩ - ١٠٣٧، وكتاب " العقد الفريد " لابن عبد ربه المتوفى سنة ٣٥٦-٩٦٦ . كذلك اهتم الجغرافيون المسلمون القدامى بالمنسوجات وتحدثوا عن أنواعها وأسعارها ومميزاتها ومراكزها وأسواقها . ومن أهم المؤلفات الجغرافية التى اهتمت بدراسة الملابس كتاب " البلدان " لليعقوبى المتوفى سنة ٢٩٢-٩٠٤ وكتاب " الأعلاق النفيسة " لابن رسته المتوفى سنة ٢٨٤-٨٩٧ وكتاب " البلدان " لابن الفقيه المتوفى سنة ٢٩٠ - ٩٠٢وكتاب " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " للمقدسى المتوفى سنة ٣٨٠ - ٩٩٠ وكتاب " المسالك والممالك " للاصطخرى المتوفى سنة ٤٠٠ - ١٠٠٩ وكتاب " صورة الأرض " لابن حواقل المتوفى ٣٦٧ - ٩٧٧ وكتاب "تقويم البلدان " لأبى الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ - ١٣٣١ .

ومن الجدير بالذكر أن العرب المسلمين كان لهم قصب السبق فى تأليف المعاجم الجغرافية ومن أهم المعاجم الجغرافية التى أولت أسماء

الملابس وأشكالاها ومراكز تصنيعها اهتماما عظيما " معجم مـــا اســتعجم " للبكرى المتوفى سنة٤٨٩ – ١٠٩٤ " ومعجم الروض المعطـــار فـــى خـــبر الأقطار " للحميرى المتوفى سنة ٧٢٧ – ١٣٢٦ وكذلك " معجـــم البلـــدان " لياقوت الحموى الذى يأتى بين المعجمين السابقين وهو موضوع هذه الدراسة.

ترجمة ياقوت الحموى :

قال أبو العباسى شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بـــن خلكـــان (ت٦٨١ – ١٢٨٢) فى كتابه " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " : "يـاقوت الحموى : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(١٥) الرومى الجنس والمولد الحمـوى المولى البغدادى الدار ، الملقب شهاب الدين ، أُسر مـــن بـــلاده صغـــيرا ، وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر ابن أبى نصر إبراهيـــم الحمـــوى ، وجعله فى الكُتّاب لينتفع به فى ضبط تجائره ، وكان مولاه عسكر لا يحســـن الخط ولا يعلم شيئا سوى التجارة ، وكان ساكنا ببغداد ، وتزوج بـــها وأولـــد عدة أولاد ، ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيئا من النحو واللغـــة ، وشـــغله مولاه بالأسفار فى متاجره فكان يتردد إلى كيش(١٦) وعمان وتلـــك النواحـــى ويعود إلى الشام . ثم جرت بينه وبين مولاه نبوة أوجبت عتقه فأبعده عنـــه ، وذلك فى سنه ست وتسعين وخمسمائة، فاشتغل بالنسخ بالأجرة ، وحصلت له بالمطالعة فوائد . ثم إن مولاه بعد مديدة ألوى عليه وأعطاه شيئا وسفره إلـــى كيش ، ولما عاد كان مولاه قد مات ، فحصل شيئا مما كان فى يده وأعطـــى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به ، وبقيت بيده بقية جعلـــها رأس مالـــه ، وسافر بها وجعل بعض تجارته كتبا . " ثم يضيف ابن خلكـــان فـــى نهايـــة الترجمة ويقول : " وكانت ولادة ياقوت المذكور فى ســـنة أربـــع أو خمـــس وسبعين وخمسمائة ، ببلاد الروم ، ....

وتوفى يوم الأحد العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ، فى الخان بظاهر حلب "(١٧) .

وتحدث كراتشكوفسكى عن كتاب معجم البلدان وأهميته العلمية والأدبية فقال : " وأهمية معجم ياقوت تتجاوز بكثير حدود الأهداف الجغرافية الضيقة، فهو فوق ذلك يمثل آخر انعكاس لتلك الوحدة المثالية للعالم الإسلامى تحت حكم العباسيين، رغما من أنها كانت فى واقع الأحوال أثرا من آثار الماضى. وهو أوسع وأهم ، بل وأكاد أقول أفضل مصنف من نوعه لمؤلف عربى للعصور الوسطية . ولتكوين فكرة عن حجمه يكفى أن نذكر أن المتن المطبوع يضم ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعا وتسعين صفحة . وهو جماع للجغرافيا فى صورها الفلكية والوصفية واللغوية وللرحلات أيضا ، كما تنعكس فيه الجغرافيا التاريخية إلى جانب الدين والحضارة والإثنولوجيا (ethnology literature) علم (الأعراق والفصائل البشرية) والأدب الشعبى (folklore) والأدب الفنى وذلك فى القرون الستة الأولى للهجرة. ويقرب عدد الشواهد الشعرية وحدها فيه ، وذلك بين صغيرها وكبيرها من خمسة آلاف استطاع الناشر أن يحقق منها ما يقرب من ثلاثة آلاف من المصادر الأخرى "(١٨) .

مصنفات ياقوت الحموى العلمية :

كتب ياقوت بالإضافة إلى معجم البلدان عددا من المصنفات فى شتى العلوم المختلفة منها ما صرح به فى "معجم البلدان " مثل كتاب " معجم الأدباء(١٩) " وكتاب " أخبار أهل الملل وقصص أهل النحل فى مقالات أهل الإسلام(٢٠) وكتاب " أخبار الوزراء "(٢١) ومنها ما أشار إليه فى مصنفاته

الأخرى المطبوعة . ومنها ما ذكر ابن خلكان وغيره ممن ترجموا ليـــاقوت وتحدثوا عن حياته وآثاره العلمية .

وفيما يلى قائمة بأسماء مؤلفات ياقوت كما وردت عنده وعند غيره مـن أصحاب التراجم :

١- معجم الأدباء ويعرف بأسم إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(٢٢).

٢- معجم البلدان .

٣- معجم الشعراء(٢٣) .

٤- كتاب المشترك وضعا المختلف صقعا(٢٤) .

٥- كتاب المبدأ والمال(٢٥) .

٦- كتاب الدول(٢٦) .

٧- كتاب مجموع كلام أبى على الفارسى .

٨- كتاب عنوان كتاب الأغانى .

٩- كتاب المقتضب فى النسب(٢٧) .

١٠- كتاب أخبار المتنبى .

١١- كتاب أخبار أهل الملل وقصص أهل النحل فى مقالات أهل الإسلام .

١٢- كتاب أخبار الوزراء .

السبب فى تأليف معجم البلدان :

يذكر ياقوت فى مقدمة " معجم البلدان " السبب الرئيسى الذى دفعه إلـى تأليف هذا السفر الكبير فيقول : " وكان من أول البواعث لجمع هذا الكتـاب ، أننى سئلت بمـــرو الشاهجان ، فى سنة خمـس عشـرة وسـتمائة ، فـى

المجلس شيخنا الإمام السعيد الشهيد فخر الدين أبى المظفر عبد الرحيم ابن الإمام تاج الإسلام أبى سعد عبد الكريم السمعانى ، تغمدهما الله برحمته ورضوانه ، وقد فعل الدعاء إن شاء الله ، عن حباشة اسم موضع جاء فى الحديث النبوى ، وهو سوق من أسواق العرب فى الجاهلية . فقلت : أرى أنه حُباشَة بضم الحاء ، قياسا على أصل هذه اللفظة فى اللغة ، لأن الحُباشَة : جماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبَشْتُ له حُباشَةً أى جمعت له شيئا . فانبرى لى رجل من المحدثين ، وقال : إنما هو حَباشةُ بالفتح . وصمم على ذلك وكابر ، وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر ، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا مُعَوَّلَ فى مثل هذا على اشتقاق ولا عَقْل ، فاستعصى كشفه فى كتب غرائب الأحاديث ، ودواوين اللغات مع سعة الكتب التى كانت بِمَرْوَ يومئذ ، وكثرة وجودها فى الوقوف ، وسهولة تناولها ، فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشغب ، ويأس من وجوده ببحث واقتراء ، فكان موافقا والحمد لله لما قلته ، ومكيلا بالصاع الذى كلته ، فألقى حينئذ فى روعى افتقار العالم إلى كتاب فى هذا الشأن مضبوطا ، وبالإتقان وتصحيح الألفاظ بالتقييد مخطوطا ، ليكون فى مثل هذه الظلمة هاديا ، وإلى ضوء الصواب داعيا ، ونُبِّهتُ على هذه الفضيلة النبيلة ، وشرح صدرى لنيل هذه المنقبة التى غفل عنها الأولون ولم يهتد لها الغابرون " .

مصادر ياقوت :

نستدل من أسماء المواضع ومن النصوص التى أوردها ياقوت فى معجمه أنه أستخدم عدداً كبيراً من المصادر منها ما هو مطبوع ومتوفر بين أيدينا ومنها ما هو مفقود أو لم يطبع وينشر ، ومن أهم المصادر التى اعتمد عليها ياقوت والتى أفادته كثيراً فى ذكر المنسوجات وأنواعها وأماكن إنتاجها

فى ديار الإسلام والمناطق المجاورة لها كتاب "الأمكنة والمياه والجبال والآثار " لأبى الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندرى (المتوفى بعد سنة ١١٦٥/٥٦١) وقد عول عليه ياقوت كثيرافيما يتعلق بتحديد المواضع ، وكذلك اعتمد ياقوت على الاصطخرى كمصدر أساسى فى تحديد المواضع والأماكن فى الأقاليم الشرقية مثل فارس وكرمان وسجستان . ويلاحظ الدارس أن ياقوت يشير إلى الاصطخرى ويقتبس منه مرات عديدة فى معجم البلدان دون أن يذكر اسم مؤلفه كما أن واحدا من هذه الاقتباسات غير موجودة فى كتاب الاصطخرى المشهور باسم " المسالك والممالك " الأمر الذى يدعو إلى الاعتقاد بأنه ربما توجد هناك أجزاء مفقودة من كتاب الاصطخرى . كما رجع ياقوت إلى مؤلفات الحسن بن إبراهيم بن زولاق (ت ٣٨٧ -٩٩٨) وأشار إليها واستعان بها فى مصادره عن مصر ومراكز إنتاجها من المنسوجات لكنه كان فى كثير من الأحيان يجرى تعديلات وإضافات على هذه المعلومات الأمر الذى جعلها أشمل وأفضل . ومن المؤلفات التى اعتمد عليها ياقوت واقتبس منها كتاب " احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " لأبى عبد الله محمد بن أحمد البشارى المقدسى . ويظهر اهتمام ياقوت بهذا الكتاب من عدد النقولات والاقتباسات التى أوردها فى معجم البلدان . فقد اقتبس ياقوت من المقدسى أثناء حديثه عن المنسوجات ، مرتين مرة عندما تحدث عن قاين والمرة الثانية عندما ذكر مدينة كازرون(٢٨). ومن مصادر ياقوت الهامة حمزة الأصفهانى، والحسن بن محمد المهلبى ، وأبو عبيد البكرى . كما اعتمد ياقوت فى جمعه وحصوله على المعلومات على المشاهدة والمعاينة الشخصية المباشرة فقد زار ياقوت مناطق كثيرة وأقام فى بعض منها ، حيث شاهد فيها أنواعا مختلفة من

المنسوجات أشار فى المعجم إلى الجيد منها والردئ ، فهو يقول عن الثياب التى تعمل فى نزوة " رأيت منها واستحسنتها(٢٩). كذلك تحدث عن النصافى الحزية فانتقدها وقال عنها " وهى ثياب قطن رديئة"(٣٠).

منهج ياقوت العام فى ذكر المنسوجات :

١- ضم المعجم ما يقارب من نحو ٩٩ اسما لمواضع تحدث ياقوت فيها عن الملابس وما يتعلق بها من زراعة وصباغة وغيرها حوالى ٢٥ موضعا من هذه الأماكن تقع فى الأقاليم الشرقية للدولة العربية الإسلامية. وهذا الأمر يتيح المجال للاستنتاج بأن معلومات ياقوت عن هذه الأقاليم كانت واسعة وعنايته بها كانت أكثر من غيرها .

٢- تناول ياقوت فى معجمه نحو ٢٦ مركزا لإنتاج وصناعة المنسوجات لم نجدها عند غيره من الجغرافيين المتقدمين والمتأخرين ولم نهتد إليها فى المعاجم . وهكذا نجد أن ياقوت قد أنفرد عن غيره بذكرها .

٣- اهتم ياقوت بذكر المراكز القديمة التى كانت تعمل بها المنسوجات مثل حران وتبسه ودمياط وعبقر والمصيصة ، كما أشار إلى سقوط مراكز وظهور وازدهار مراكز جديدة ، كما حدث فى مدينتى قرطبة والمرية فى الأندلس وبصنا وبرذون وكليوان فى خوزستان .

٤- لم يقتصر معجم ياقوت على ذكر أقاليم وأجزاء محدده من ديار الإسلام بل اشتمل على أغلب مراكز إنتاج وصناعة المنسوجات من جميع المناطق المعروفة فى ذلك الوقت مثل السهند وبلاد ما وراء النهر وأرمينية وأذربيجان وصقلية والمغرب والأندلس .

٥- أغفل ياقوت ذكر أنواع كثيرة من المنسوجات التى كانت معروفة ومشهورة عند العرب المسلمين المتقدمين مثل الثياب الصحارية فى عمان والثياب القبطية المنسوبة إلى أقباط مصر والبرود الحضرمية نسبة إلى حضرموت والثياب السعدية المنسوبة إلى اليمن وغيرها من الملابس التى أشارت إليها المصادر العربية الإسلامية ويكمن السبب فى عدم ذكره لهذه الأنواع ، حسب اعتقادنا ، إلى توقف إنتاجها وإلى عدم تداولها فى العصر الذى عاش فيه ياقوت .

٦- ذكر ياقوت عددا من الأسماء لمواضع ونسب إليها أنواعا من الملابس غير أنه لم يحدد مواقع هذه المواضع (٣١) ، وهذا من جهة ، ومن جهة أخرى أشار إلى كورة الحفة فى غربى حلب والتى تنسب إليها الثياب الخفية ثم علق على ذلك بقوله : " والذى أعرفه أن الحف شيئ من أداة الحاكة تعمل به الثياب ، وليس يستعمل فى جميع الثياب " والمتمعن فى هذا الكلام يلاحظ اهتمام ياقوت بالملابس وغزارة معلوماته عنها وعن تسمياتها المتداولة فى عصره .

المنهج الذى أتبعناه فى إعداد هذه الدراسة :

قمنا أولا بجمع كل ما يتعلق بالمنسوجات والملابس من الأجزاء الكاملة التى يتكون منها معجم البلدان واعتمدنا فى ذلك على نسختين مطبوعتين . الأولى طبعة ليبسك Lelpzlg التى حققها ونشرها مع فهارس فيرديناند وستينفيلد Ferdlnand Wustenfeld سنة ١٨٦٦ -١٨٧٠ فى ستة أجزاء والثانية طبعة دار صادر ببيروت ١٩٥٥ -١٩٥٧ ، وهى طبعة منقحة ومحققة فى خمسة أجزاء وبدون فهارس . وجعلنا نسخةLelpzlg

نسخة معتمدة لوضوح طباعتها وتوافرها وسهولة الرجوع إليها ولاحتوائها على فهارس قيمة تفيد البحث . ولم نستعن بالمخطوطة لأن العمل لم يتطلب ذلك فالكتاب محقق ومطبوع ومتوفر والبحث انحصر فى دراسة جانب واحد محدد هو الملابس. رتبنا المادة ترتيبا أبجديا بأسماء المواضع ، كما وردت عند ياقوت .

قارنا كل ما ذكره ياقوت من ملابس وفرش وأثاث بالمصادر الأدبية والتاريخية والجغرافية السابقة لعصره والمعاصرة له واللاحقة والتى اهتمت بدراسة الملابس وذلك حرصا منا على توثيق المادة والتأكد من صحتها . جعلنا للدراسة مقدمة ، وترجمة للمؤلف ، مع الإشارة إلى مصنفاته ، ودوافع تأليفه للمعجم . كما أشرنا كذلك إلى مصادره التى أعتمد عليها فى ذكر الملابس .

عرفنا بالأعلام التى رأينا أنها ضرورية وقمنا بتفسير الكلمات التى تحتاج إلى توضيح . وأخيرا فإن الهدف من الدراسة المتواضعة يتلخص فى أمرين ، الأول هو إلقاء الضوء على موضوع هام وجديد لم يبحث من قبل وهو موضوع الملابس عند ياقوت فى المعجم والهدف الثانى هو ترتيب الملابس فى معجم البلدان وعرضها ودراستها دراسة علمية تسهم فى معاونة الباحثين والمتخصصين والمهتمين بدراسة الملابس العربية الإسلامية وتغنيهم عن الرجوع إليها فى المعجم . هذا وفى الختام نرجو من الله العزيز الكريم أن تحقق هذه الدراسة الهدف المنشود منها وأن تكون عونا ونفعا لكل من يطلع عليها والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله سيد المرسلين .

(أ)

آمُ : بلد نُسب إليه نوع من الثياب(٣٢) .

آمُلُ : بضم الميم واللام : اسم أكبر مدينة بطبرستان فى السهل ، لأن طبرستان سهل وجبل .... وبآمل تُعمَل السجادات الطبرية ، والبُسُط الحسان .

أدرُنكةُ(٣٣): بالضم ، ثم السكون ، وراء مضمومة ، ونون ساكنة ، وكاف ، وهاء : من قرى الصعيد فوق اسيوط ، زرعها الكتان حسب .

أرَّانُ : بالفتح وتشديد الراء وألف ونون : اسم أعجمى لولاية واسعة وبلاد كثيرة ، منها جنزة ، وهى التى تسميها العامة كَنْجَة ، وبَرْذَعة ، وشَمْكُور ، وبَيْلَقَان .... قال نصر : أران من أصقاع إرمينية يذكر مع سيسجان ، وهو أيضا اسم لحَرَّان ، البلد المشهور من ديار مُضر ، بالضاد المعجمة ، كان يُعمل بها الخز قديما (٣٤).

أَرْدِستَانُ (٣٥) : بالفتح ثم السكون ، وكسر الدال المهملة ، ونون ، قال الإصطخرى : أردستان مدينة بين قاشان وأصبهان ، بينها وبين أصبهان ثمانية عشر فرسخا (٣٦) . وترفع منها الثياب الحسنة تحمل إلى الآفاق .

أُرُونُ (٣٧) : بالفتح ثم الضم ، وسكون الواو ، ونون: ناحية بالأندلس من أعمال باجَةَ ولِكَتَّانها فضل على سائر كَتَّان الأندلس .

أَزْنِيكُ : بالفتح ثم السكون ، وكسر النون ، وياء ساكنة ، وكاف : مدينة على ساحل بحر القسطنطينية ، والمماطر (٣٨) الأزنيكية هى الغاية فى الجودة .

أَسبَرَة (٣٩) : ناحية بأقصى بلاد الشاش بما وراء النهر ، وهى بـلاد يخرج منها النفط (٤٠) والفيروزج والحديد والصُّفْر والذهـب والآنـك ، وفيها جبل ، سود حجارته تحترق كما يحترق الفحم ، يباع منها حمل بدرهم وحملان (٤١) ، فإذا احترق اشتد بياض رماده فيستعمل فى تبيض الثيـاب ولا يعرف فى بلدان الأرض مثل هذا ، قاله الإصطخرى (٤٢) .

أَسيُوطُ : مدينة فى غرب النيل من نواحى صعيد مصر ، وهى مدينـة جليلة كبيرة ، ... وقال الحسن بن إبراهيم المصرى (٤٣) : اسيوط من عمـل مصر وبها مناسج (٤٤) الأرمنى والدبيقى المثلث (٤٥) .

إِشْبيلِيَة : بالكسر ثم السكون ، وكسر الباء الموحودة ، وياء سـاكنة ، ولام ، وياء خفيفة : مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظـم منـها تسمى حمص أيضا ، .. ومما فاقت به على غيرها مـن نواحـى الأندلـس زراعة القطن (٤٦) فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب .

أَش : بالفتح ، والشين مخففة ، وربما مدت همزته : مدينـة الأشـات بالأندلس من كورة البيرة وتعرف بـوادى أش ، والغـالب علـى شـجرها الشاهبلوط ، وتنحدر إليها أنهار من جبال الثلج ، بينها وبين غرناطة أربعـون ميلا ، وهى بين غرناطة وبجانة ، وفيها يكون الإبريسم الكثير (٤٧) .

الأُشْنَانُ : بالضم ، وهو الذى تغسل به الثياب (٤٨) . قنطرة الأشـنان : محلة كانت ببغداد .

أَعْنَاك : بالنون والكاف : بليدة من نواحى حـوران من أعمال دمشق، ويعمل فيها بسط وأكسية جيدة تنسب إليها (٤٩) .

إلْبيرَة : الألف فيه ألف قطع وليس بألف وصل ، فهو بوزن الخريطة، وإن شيئت بوزن كبريته ، وبعضهم يقول يَلْبيرَةُ ،وربما قالوا لبيرة : وهي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضى كورة قبرة ، بين القبلة والشرق من قرطبة ، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا ..... وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحرير الفائق (٥٠) .

أُلَشُ : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وشين معجمة : اسم مدينة بالأندلس من أعمال تُدْمير ، ... وفيها بسط فاخرة لا مثال لها فى الدنيا حسنا (٥١) .

أَنْدَراش (٥٢) : فى آخره شين معجمة ، وباقية نحو الذى قبله : بلدة بالأندلس من كورة إلبيرة ، ينسب إليها الكتان الفائق .

(ب)

البابُ : ويعرف بباب بزاغة : بليدة فى طرف وادى بطنان من أعمال حلب ، بينها وبين منبج (٥٣) نحو ميلين ، وإلى حلب عشرة أميال ، وهى ذات أسواق يعمل فيها كِرْباس (٥٤) كثير ، ويحمل إلى مصر ودمشق ، وينسب إليها .

بابُ الأبْواب : ويقال له الباب ، غير مضاف ، والباب والأبواب : وهو الدَّرْبَنْد دربند شروان ، قال الإصطخرى : وأما باب الأبواب فأنها مدينة ربما أصاب ماءُ البحر حائطها ، وفى وسطها مرسى السفن، وهذا المرسى من البحر قد بنى على حافتى البحر سُدَّيْن ، ...... وباب الأبواب على بحر طبرستان ، وهو بحر الخَزَر ، وهى مدينة تكون أكبر من أردبيل نحو ميلين فى ميلين ... وقد يقع بها شغل ثياب كتان ، وليس بأرّان وأرمينية وأذربيجان كتان إلابها وبرساتيقها (٥٥).

بَاقِدَارَى (٥٦) : بكسر القاف ، ودال مهملة ، والف ، وراء مفتوحة ، مقصورة : من قرى بغداد قرب أونا ، بينهما وبين بغداد أربعون ميلا ، وتعمل بها ثياب من القطن غلاظ صِفَاق يضرب أهل بغداد بها المثل .

بِرَبِيطيَاءُ : بكسر الباء الثانية ، وياء ساكنة ، وكسر الطاء وياء أخرى، والف ممدودة : موضع ، ينسب إليه الوشى ، ذكره ابن مُقبل (٥٧) فى شعره فقال :

خُزامى وسَعدان ، كأنّ رياضَها
مُهِدّنَ بذى البربيطياء المهذّبِ

وقال أبو عمرو : البربيطياءَ ثياب (٥٨) .

بَرْذَعَة : وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة ، والعين مهملة عند الجميع: بلد فى أقصى أذربيجان ...... ويرتفع منها من الإبريسم شيئ كثير مستحدث من توت مباح لا مالك له ، يجهز منه إلى فارس وخوزستان جهازا واسعا(٥٩) .

بِرَذَوْنُ : بكسر الباء ، وسكون الراء ، وفتح الذال المعجمة ، وواء ساكنة ، ونون : بليدة من نواحى خوزستان قرب بَصِنَّى تُعمل فيها الستُور البَصِنّية وتُدَلّس بعمل بصنى (٦٠) .

بُرْطاسُ : بالضم : اسم لأمة لهم ولاية واسعة تعرف بهم ، وتنسب إليها الفراء البُرطاسية (٦١) ، وهم متاخمون للخزر وليس بينهما أمة أخرى.

بُرَوَجُ : بفتح الواو ، وجيم ، ويقال بَرّوَص ، بالصاد المهملة : من اشهر مدن الهند البحرية وأكبرها وأطيبها ، يجلب منها النيل (٦٢) واللك .

بَسْطَةٌ : بالفتح : مدينة بالأندلس من أعمال جَيَّان ، ينسب إليها المصلّيات البسطية (٦٣) .

بَصِنَّا : بالفتح ثم الكسر ، وتشديد النون : مدينة من نواحى الأهواز صغيرة وجميع رجالهم ونسائهم يغزلون الصوف وينسجون الأنماط والستور البصنية (٦٤) ويكتبون عليها بصنى ، وقد تعمل بِبِرذون وكَيلوان وغيرها من المدن المجاورة لبصنا وتدلس بسُتور بصنى (٦٥) .

بَمٌّ : بالفتح وتشديد الميم : مدينة جليلة نبيلة من أعيان مدن كرمان ، ولأهلها حذق ، وأكثرهم حاكة ، وثيابها مشهورة فى جميع البلدان (٦٦) .

بُورَةُ : مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط ، تنسب إليها العمائم البورية (٦٧) .

بِيَورنَبَارة : بالكسر ثم الفتح ، وسكون والواو والراء ، وفتح النون والباء ، وألف ، وراء ، والعامة تقول بارَنْبَارة : بليدة من نواحى مصر قرب دمياط على نهر أشموم بين البسراط وأشموم ، يعمل فيها الشراب الفائق الجيد العريض . (٦٨)

(ت)

تارَمُ : ... وتارم أيضا : بلدة أخرى ، وهى آخر حدود فارس من جهة كرمان ،

وأهل شيراز يقولون تاررم ، بسكون الألف والراء تعمل فيها أكسية خز يبلغ ثمن الكساء قيمة وافرة (٦٩) ، وبين تارم وشيراز اثنان وثمانون فرسخا .

تِبْرِيزُ : بكسر أوله ، وسكون ثانية ، وكسر الـــراء ، ويـــاء ســاكنة ، وزاى ، كذا ضبطه أبو سعد ، وهو أشهر مدن أذربيجان ...... ويعمل فيــها من الثياب البائى والسقلاطون والخطائى والآطلس والنسخ ما يحمل إلى سائر البلاد شرقا وغربا (٧٠) .

تَبِسَّةُ : بالفتح ثم الكسر ، وتشديد السين المهملة : بلــد مشــهور مــن أرض إفريقية ، بينه وبين قفصة ست مراحل فى قفر سبية ، وهو بلد قديم بــه آثار الملوك ، وقد خرب الآن أكثرها ، ولم يبق بـــها إلا مواضـــع يسكنها الصعاليك لحب الوطن لأن خيرها قليل ، وبينها وبين سطيف ســت مراحل فى بادية تسكنها العرب ، يعمل بها بسط جليلة محكمة النسج ، يقيم البســاط منها مدة طويلة (٧١) .

تُسْتَر : بالضم ثم السكون ، وفتح التاء الأخرى ، وراء : اعظم مدينــة بخوزستان اليوم ، وكان يعمل بها ثياب وعمائم فائقة (٧٢) .

التُّسْتَرِيُّون : جمع نسبة الذى قبله : محلة كانت ببغــداد فـــى الجـانب الغربى بين دجلة وباب البصرة ، وعن ابن نقطة ، ويســكنها أهــل تســتر ، وتعمل بها الثياب التسترية (٧٣) .

تِنِّيسُ : بكسرتين وتشديد النون ، وياء ساكنة ، والسين مهملة : جزيرة فى بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ،.... وبها تعمل الثيـــاب الملونة والفرش البوقلمون (٧٤) .

تَوَّجُ: بفتح أوله ، وتشديد ثانيه وفتحه أيضا ، وجيـــم وهـــى تــوز ، بالزاى ، مدينة بفلوس قريبة من كازرن شديدة الحر لأنها فى غـــور الأرض ذات نخل ، وبناؤه باللبن ، بينها وبين شيراز اثنان وثلاثون فرسخا ، ويعمــل

فيها ثياب كتان تنسب إليها ، وأكثر من يعمل هذا الصنف بكازرون لكن اسم توج غالب عليه لأن أهل توج أحذق بصناعته ، وهى ثياب رقيقة مهملة النسج كأنها المنخل ، إلا أن ألوانها حسنة ، ولها طرز مذهبة ، تباع حزما بالعدد ، وكان أهل خرسان يرغبون فيها ، وتجلب إليهم كثيرا ن وقد يعمل منها صنف صفيق جيد ينتفع به ، وهى مدينة صغيرة واسمها كبير (٧٥) .

تُوَنَةُ : جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية من فتوح عمير ابن وهب ، يضرب المثل بحسن معمول ثيابها وطرزها (٧٦) .

(ج)

جُرْجانُ : بالضم ، وآخره نون ، .... مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخرسان ، فبعض يعدها من هذه وبعض يعدها من هذه ، ... ويرتفع منها من الابريسم وثياب الابريسم ما يحمل إلى جميع الآفاق قال : وابريسم جرجان بزر دودة يحمل إلى طبرستان ، ولا يرتفع من طبرستان بزر ابريسم (٧٧) .

جُطِينُ : بالفتح ثم الكسر ، ويا ساكنة ، ونون : قرية من ميلاص(٧٨) فى جزيرة صقلية ، أكثر زرعها القطن والقنب(٧٩) .

جَهْرَمُ : بالفتح ثم السكون ، وفتح الراء ، وميم : اسم مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة ، وقال الزيادى : ويقال للبساط نفسه جُهْرُم(٨٠) .

جَيْشَانُ : بالفتح ثم السكون ، وشين معجمة ، وألف ، ونون ، ومخلاف جيشان باليمن ... وهى مدينة وكورة ينسب إليها الخمر السود ، قال عبيد(٨١) .

عليهن جَيشَانيةٌ ذات أعسال

أى خطوط ووشى (٨٢) .

(ح)

حَرْبى : مقصور والعامة تتلفظ به ممالا : بليدة فى أقصى دجيل بين بغداد وتكريت مقابل الخطيرة ، تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة وتحمل إلى سائر البلاد (٨٣) .

حَرْزم : بالفتح ثم السكون ، وزاى مفتوحة ، وميم : اسم بليدة فى واد ذات نهر جار وبساتين بين ماردين ودُنَيسر من أعمال الجزيرة ، ينسب إليها الفراند (٨٤) الحرزمية ، وهم يجيدون حبرها ، وأكثر أهلها أرمن نصارى .

حَزَّةُ : ...... وحزة أيضا : بليدة قرب إربل من أرض الموصل ، ينسب إليها النصافى الحزية ، وهى ثياب قطن رديئة (٨٥) ، وهى كانت قصبة كورة أربل قبل وكان من بناها أردشير بن بابك .

الخَطيرة : بالفتح ، .... وهى قرية كبيرة من أعمال بغداد من جهة يكريت من ناحية دُجَيل ، يُنَسج فيها الثياب الكرباس الضيق (٨٦) ويحملها التجار إلى البلاد .

الحَفَّة : بالفتح ، والتشديد : كورة فى غربى حلب فيها عدة قرى ، وقيل : إن الثياب الحفية (٨٧) إليها تنسب ، والذى أعرفه أن الحَفّ شيئ من أداة الحاكة تعمل به هذه الثياب ، وليس يستعمل فى جميع الثياب .

(خ)

خَوّر : ..... وخَوْرُ بَرْوَص ، وبَرْوَصُ : أجود بلاد تلك الناحية (ناحية السند) ، منها يجلب النيل الفائق .

خُوَىّ : .... وخوَىّ أيضا : بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه ، وينسب إليها الثياب الخوية (٨٨) .

(د)

دَبْقا (٨٩) : من قرى مصر قرب تنيس ، تنسب إليها الثيياب الدبيقية على غير قياس ، كذا ذكره حمزة الأصبهانى (٩٠) .

دَبيقٌ : بليدة كانت بين الفرما وتنيس من أعمال مصر ، تنسب إليها الثياب الدبيقيه (٩١) ، والله أعلم .

دَسْتَوا : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وتاء مثناة من فوق : بلدة بفارس .... وإليها تنسب الثياب الدستوائية (٩٢) .

دُمانِس (٩٣) : مدينة من نواحى تفليس بأرمينية يجلب منها الإبريسم .

دِمْيَاطُ : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زواية بين بحر الروم الملح والنيل ، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق ... قال الحسن بن محمد المهلبى : ومن طريف أمر دمياط وتنيس أن الحاكة بها الذين يعملون هذه الثياب الرفيعة قبط من سفلة الناس وأوضعهم وأخسهم مطعما ومشربا ، وأكثر أكلهم السمك الملوح والطرى والصير المنتن ، وأكثرهم يأكل ولا يغسل يده ثم يعود إلى تلك الثياب الرفيعة الجليلة القدر فيبطش بها ويعمل فى غزلها ثم ينقطع الثوب فلا يشك مقلبه للابتياع أنه قد بخر بالند قال : ومن طريف أمر دمياط فى قبليها على الخليج مستعمل فيه غرف تعمل بالمعامل ، ويستأجرها الحاكة لعمل الثياب الشرب فلا تكاد تنجب إلا بها ، لأن عمل بها ثوب وبقى منه شبر ونقل إلى غير هذه المعامل علم بذلك السمسار المبتاع للثوب فينقص من ثمنه لاختلاف جوهر الثوب

عليه ، وقال ابن زولاق : يعمل بدمياط البلخى من كل فن ، والشرب لا يشارك تنيس فى شيئ من عملها ، وبينهما مسيرة نصف نهار ، ويبلغ الثوب الأبيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار ، ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولابتنيس أبيض ، وهما حاضرتا البحر ، وبهما من صيد السمك والطير والحيتان ما ليس فى بلد ، وأخبرنى بعض وجوه التجار وثقاتهم أنه بيع فى سنة (٣٩٨هـ/١٠٠٧م) حلتان دمياطيتان بثلاثة آلاف دينار ، وهذا مما لايسمع بمثله فى بلد ، وبها الفرش القلمنى من كل لون المعلم والمطرز ومناشف الأبدان والأرجل ، وتتحف لجميع ملوك الأرض(٩٤) .

دَوْرَقُ : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وراء بعدها قاف : بلد بخوزستان، وهو قصبة كورة سرق يقال دَوْرَقُ (٩٥) الفرس .... وقد نُسب قوم إلى لبس القلانس الدَّوْرَقِيَّة منهم : أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح أبو عبد الله الدورقى أخو يعقوب ، وكان الأصغر ، وقيل :إن الإنسان كان إذا نسك فى ذلك الوقت قيل له دورقى فنسب ابناه إليه ....

(ز)

زَنْدَنَه (٩٦) : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ودال مهملة مفتوحة ، ونون: قرية كبيرة من قرى بخارى بما وراء النهر ، وبينهما وبين بخارى أربعة فراسخ فى شمالى المدينة ، .... وإلى هذه القرية تنسب الثياب الزندنجية ، بزيادة الجيم ، وهى ثياب مشهورة .

(س)

سَبَنُ : بفتح أوله وثانيه ، وآخره نون ، قال الحازمى : موضع ينسب إليه السَّبَنِيَّةُ (٩٧) ضرب من الثياب يتخذ من الثياب الكتان أغلظ ما يكون ، وقال ابن الأعرابى : الأسبان المقانع الرقاق .

سِجِلْماسَةُ : بكسر أوله وثانيه ، وسكون اللام ، وبعـــد الألــف ســين مهملة: مدينة فى جنوبى المغرب فى طرف بلاد السودان ، بينهما وبين فــاس عشرة أيام تلقاء الجنوب .... واكـــثر أقــوات أهــل سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة ولنسائهم يد صناع فى غزل الصوف ، فــهن يعملن منه كل حسن عجيب بديع من الأرز تفوق القصب الذى بمصر يبلـــغ ثمن الإزار خمسة وثلاثين دينارا وأكثر كأرفع مـــا يكــون القصـــب الــذى بمصــر، ويعملون منه غفارات يبلغ ثمنها مثل ذلـــك ويصبغونـــها بـــأنواع الأصباغ (٩٨) .

السَّديرُ : .... والسدير أيضــــا أرض بـــاليمن تنســب إليــها البرود(٩٩) ، قال الأعشى :

وبيداء قفــر كبُــــرد السدير   مشاربهـــــا داثــــرات أُجُن

سَرَقُسْطَةُ : بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة ، وسين مهملة : بلـــدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تُطيلــة ، ....، وقد انفردت بصنعة السمور ولطف تدبيره تقوم فى طرزها بكمالـــها منفــردة بالنسج فى منوالها ، وهى الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية (١٠٠) ، وهــذه خصوصية لأهل هذا الصقع .

سِرْيا : بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، وياء مثناة من تحت : قرية قــرب البصرة على طريق واسط فى القصب النبطى وفيها من البق ما يضرب بـــه المثل بكثرته ، ولولا أنهم يتخذون الكلل ، وهى ثياب كتـــان يعملونـــها شــبه الخيمة ويشبكونها على الأرض لتلفوا .

(ش)

شاوَشْكان (١٠١) : بعد الواو المفتوحة شين معجمة ، وكاف ، وآخره نون : قرية بمرو بينهما أربعة فراسخ ، ....، هى عامرة آهله ، ينسب إليها الأبريسم الجيد الغاية ، رأيتها .

شَطَا : بالفتح ، والقصر ، وقيل شطاة : بليدة بمصر ، ينسب إليها الثياب الشطوية (١٠٢) ، قال الحسن بن محمد المهلبى (١٠٣) : على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح مدينة تعرف بشطا وبها وبدمياط يعمل الثوب الرفيع الذى يبلغ الثوب منه ألف درهم ولا ذهب فيه .

شَكّى : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه ، كذا يرويه الأصمعى ، وغيره يقوله بالقاف : ولاية بأرمنية ، ينسب إليها الجلود الشكية (١٠٤) مشهورة على نهر الكُرّ قرب تفليس .

شَهْرَسْتَانُ : بفتح أوله ، وسكون ثانيه وبعد الراء سين مهملة ، وتاء مثناة من فوقها ، وآخره نون فى عدة مواضع ، .... وشهرستان أيضا : بليدة بخرسان قرب نسا بينهما ثلاثة أميال ، وهى بين نيسابور وخوارزم ، ....، يعمل بها العمائم الطوال الرفاع (١٠٥).

(ص)

الصّابُونِىّ : قرية قرب مصر على شطئ شرقى النيل يقال لها سَوَاقى الصابونى وهى من جهة الصعيد ، نسبت إلى صاحب الصابون الذى تغسل به الثياب .

صنبو : بالتحريك : قرية من كورة البهنسا من نواحى الصعيد ، ينسب إليها الكنابيش والأكسية الصنبوية (١٠٦) ، وهى أجود ما عمل هناك .

(ط)

طرم (١٠٧) : بالفتح ثم السكون : ناحية كبيرة بالجبال المشـــرفة علـــى قزوين فى طرف بلد الديلم ، رأيتها فوجدت بها ضياعا وقرى جبلية لايـــرى فيها فرسخ واحد صحراء إلا أنها مع ذلك معشبة كثيرة المياه والقرى وربمـــا سموها بلفظهم ترم ، بالتاء ، ولعل القطن الناعم الموصوف منسوب إلى أحـــد هذين الموضوعين .

(ع)

عهن : بكسر الهاء ثم نون : اسم واد ، يجوز أن يكـــون مثـــل تـــامر ولابن من العهن وهو الصوف المصبوغ لكثرة الصوف فى هذا الوادى .

عبقر : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وفتح القاف أيضـــا ، وراء،....... ، عبقر من أرض اليمن .... ، ولعل هذا بلد كان قديما وخرب ، كـــان ينسب إليه الوشى .... وقال بعضهم : أصل العبقرى صفة لكـــل ما يولع فى وصفه ، وأصله أن عبقرا كان يوشى فيه البسط وغيرها فنســـب كل شيئ جيد إلى عبقر ، قال الفراء : العبقـــرى (١٠٨) الطنـــافس الثخـــان ، واحدتها عبقرية ، وقال مجاهد : العبقـــرى الديبـــاج ، وقـــال قتـــادة : هـــى الزرابى، وقال سعيد بن جبير : هى عتاق الزرابى ، فهولاء جعلوهـــا اســـما لهذا ولم ينسبوها إلى موضع ، والله أعلم .

(غ)

غب (١٠٩) : بالضم ، بلد بحرى تنسب إليه الثياب الغبية ، وهى خفـــاف رقاق من القطن ، عن نصر .

غدامس : بفتح أوله ويضم ، وهى عجمية بربرية فيما أحسب : وهى مدينة بالمغرب ثم فى جنوبيه ضاربة فى بلاد السودان بعد بلادزافون ، تدبغ فيها الجلود الغدامسية (١١٠) وهى من أجود الدباغ لاشيئ فوقها فى الجودة كأنها ثياب الخز فى النعومة والإشراق .

(ف)

فَاسُ (١١١) : بالسين المهملة ، بلفظ فاس النجار : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، وهى حضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تختط مَرّاكُشُ ، .... وبفاس يصبغ الأرجوان والأكسية القَرْمِزيّة .

فُرْقُب : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وقاف ، وباء موحدة : موضع ، .... وقال الأزهرى : الفَرْقُبيّة (١١٢) ثياب بيض من كتان والقرقبية كذلك.

فُرْقُصَةُ : بالضم ثم السكون ، وقاف مضمونة ،وصاد مهملة : حصن من أعمال دانية بالأندلس ، ينسب إليها الأكسية الفرقصية (١١٣) .

(ق)

قَابِسُ : إن كان عربيا فهو من أقْبَسْتُ فلانا علما ونازا أو قَبَسته فهو قابس ، بكسر الباء الموحدة : مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربى طرابلس الغرب ، بينهما وبين طربلس ثمانية منازل .... وفيها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير مالا يقوم من خمس شجرات غيرها ، وحريرها أجود الحرير وأرقه وليس فى عمل إفريقية حرير إلا فى قابس (١١٤) .

قاين : بعد الألف ياء مثناة من تحت ، وآخره نون : بلد قريب من طَبَس بين نيسابور وأصبهان ، .... وقال أبو عبد الله البشّارى: قاين قصبة قوهستان صغيرة ضيّقة غير طيبة ، لسانهم وحش وبلدهم قذر ومعاشهم قليل إلا أن عليهم حصنا منيعا ، واسمها نعمان كبير ، ويحمل منها بَزٌّ كثير ، وهى فرضة خرسان وخزانة كرمان (١١٥) .

قُدُمُ : بضم أوله وثانيه ، ويروى قدم بوزن قشم : وهو مخلاف باليمن مقابل قرية مهجرة ، سمىباسم قدم أى القبيلة التى تنسب إليها الثياب القُدُمية(١١٦) .

قَسَا : .... وقيل : قسا قرية بمصر تنسب إليها الثياب القسية التى جاء فيها النهى عن النبى ، صلى الله عليه وسلم .

القَسُّ : بالفتح ، وهو فى اللغه النميمة ، وقيل تتبع الشيئ وطلبه ، قال الليث : قس موضع فى حديث على رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ ، نهى عن لبس القسى ، قال أبو عبيد قال عاصم بن كليب وهو الذى روى الحديث : سألنا عن القسى فقيل هى ثياب يؤتى بها من مصر فيها حرير ، قال أبو بكر بن موسى : القس ناحية من بلاد الساحل قريبة إلى ديار مصر تنسب إليها الثياب القسية (١١٧) التى جاء النهى فيها .... قلت : وفى بلاد الهند بين نهر وارا بلد يقال له القس مشهور يجلب منه أنواع من الثياب والمآزر الملونة ، وهى أفخر من كل ما يجلب من الهند من ذلك الصنف ، ويجلب منه النيل الذى يصبغ به ، وهو أفضل أنواعه (١١٨) .

قَطَرُ : بالتحريك ، وآخره راء ، .... قال أبو عبيد : القطر نوع من البرود ، وأنشد :

كساك الحنظلى كساء صوف وقطريا فأنـــت به تفيــد

وقال البكراوى : البرود القطرية حمر لها أعلام فيها بعض الخشونة، وقال خالد بن جَنَبَة : هى حُلل تعمل فى مكان لا أدرى أين هو ، وهى جياد وقد رأيتها وهى حمر تأتى من قبل البحرين ، قال أبو منصور : فى أعواض البحرين على سيف الخط بين عمان والعقير قرية يقال لــها قَطَــرُ وأحسب الثياب القطرية تنسب إليها ، وقالوا قطرى فكسروا القاف وخففوا كما قـــالوا دُهْرِىٌّ (١١٩) .

قلعةُ حَمَّاد : مدينة متوسطة بين اكم وأقران لها قلعة عظيمة على قلـة جبل يسمى تاقربوست تشبه فى التحصين ما يحكى عن قلعة أنطاكية ، وهـى قاعدة ملك بنى حماد بن يوسف الملقب بُلُكِّين بن زيرى بن مناد الصنــهاجى البربرى ، وهو أول من أحدثها فى حدود سنة ٣٧٠ (٩٨٠م) ، وهى قـــرب أشير من أرض المغرب الأدنى ، ويتخذ بها لبابيد (١٢٠) الطيلقان جيدة غايـة، وبها الأكسية القلعية الصفيقة النسج الحسنة المطرزة بالذهب ، ولصوفها مـن النعمة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة الأبريسم(١٢١) .

القَلَمُونُ : بفتح أوله ، وبوزن قَرَبوس وهو فَعَلُول ،............ ومـن القلمون التى بدمشق بحترى بن عبيد الله بن سلمان الطابخى الكلبى من أهـل القلمون من قرية الأفاعى ، .... وأبو عبيد البكـــرى : فـى واح الداخلة حصن يسمى قلمون مياهه حامضة منـــها يشـــربون وبـــها يسـقون زروعهم وبها قوامهم وإن شربوا غيرها من المياه العذبة استوبؤوها ، وقـال غيره : أبو قلمون ثوب يتراءى إذا قوبل به عين الشمس بألوان شتى يعمـل ببلاد اليونان (١٢٢) .

قَوَادِيان : هى مدينة وولاية على جيحون فوق الترمذ بينها وبين الخُتّل، وهى اصغر من الترمذ يرتفع منها الفوة (١٢٣) .

قُوْنَجَة (١٢٤) : بالضم ثم سكون الواو والنون فالتقى ساكنان ، وجيم : موضع بالأندلس من أعمال كورة البيرة ، ينسب إليها الكتان الفائق الرفيع .

القَهْزُ : بالزاى ، قال الليث : القَهز والقِهز لغتان ضرب من الثياب(١٢٥) يتخذ من صوف كالمرعزى وربما خالطه من الحرير ، قال العمرانى: موضع ، وأنشد: بوحَافُ القهو أو طِلْخَامُها .

(ك)

كازَرُونُ : بتقديم الزاى ، وآخره نون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز ، قال البَشّارى : كازرون بلدة عامرة كبيرة وهى دمياط الأعاجم وذلك أن ثياب الكتان التى على عمل القصب وشبه الشَّطَوِىّ وإن كانت حَطْباً يعمل بها وتباع بها إلا ما يعمل بتَوَّزَ (١٢٦) .

(ل)

لاهِجُ : بكسر الهاءوالجيم : ناحية فى بلاد جيلان يجلب منها الإبريسم اللاهجى وليس الجديد(١٢٧) .

لَمْطَةُ : بالفتح ثم السكون ، وطاء مهلة : أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البر الأعظم يقال للأرض وللقبيلة معا لمطة(١٢٨) ، وإليهم تنسب الدَّرَقُ اللمطية ، زعم ابن مروان أنهم يصطادون الوحش وينقعون جلوده فى اللبن الحليب سنة كاملة ثم يتخذون منها الدرق فإذا ضربت بالسيف القاطع نبا عنا .

(م)

مَانِد(١٢٩) : بالنون المكسورة ، والدال المهملة ، قال الحازمى : بلد بحرى تجلب منه ثياب كتان رقاق صفاق .

ما وَرَاء النهر : يراد به ما وراء نهر جيحون بخرسان فما كان فى شرقية يقال له بلاد الهياطلة وفى الإسلام سموه ما وراء النهر ، وما كان فى غربيه فهو خرسان وولاية خوارزم ، ... وأما الملبوس ففيها من الثياب القطن ما يفضل عنهم فينقل إلى الآفاق ، ولهم القز والصوف والبر الكثير والإبريسم الخُجَندى ولا يفضل عليه إبريسم البتة(١٣٠) .

مَتّيجَة : بفتح أوله، وكسر ثانيه وتشديده ثم ياء مثناة تحت ثم جيم: بلد فى أواخر إفريقية من أعمال بنى حماد، قال البكرى: ... وهى بل جليل قديم، ومنها إلى اقزرنة، وهى مدينة على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ويقال إنها مَتّيجةولها مزارع ومسارح وهى أكثر تلك البلاد كتاناً ومنها يحمل(١٣١).

المَرِيَّةُ : بالفتح ثم الكسر ، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها ، ... وهى مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس ، وكانت هى وبَجانة بابى الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب ، ويضرب ماء البحر سورها ، ويعمل بها الوشى والديباج فيجاد عمله ، وكانت أولاً تعمل بقرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يُثْقَفْ فى الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية(١٣٢) .

المَصّيصَةُ : بالفتح ثم الكسر ، والتشديد ، وياء ساكنة ، وصاد أُخرى... وقال أبو عون فى زيجه : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، قال : فى الإقليم الرابع ، وهى مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرطوس ، ... قال المهلبى : ومن خصائص الثغر أنه كانت تعمل ببلد المصيصة الفراء تُحمل إلى الآفاق وربما بلغ الفَرْوُ منها ثلاثين ديناراً(١٣٣) .

مَعَافِرُ : بالفتح : وهو اسم قبيلة من اليمن ، وهو معافر بن يعفُر بن مالك بن الحارث بن مُرّةَ بن أُدَد بن هَمَيْسَع بن عمرو بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ لهم مخلاف باليمن ؛ ينسب إليه الثياب المعافرية ، قال الأصمعى : ثوب معافرٌ غير منسوب ، فمن نسب وقال معافرى فهو عنده خطأ ، وقد جاء فى الرجز الفصيح منسوباً(١٣٤) .

المَغْسَلَة : جبانة فى طريق المدينة يغسل فيها الثياب .

مَقَدُ : بالتحريك ، ... ورواه ابن دريد بكسر الميم وفتحها وقال : المقدية ضرب من الثياب (١٣٥) ، ولا أدرى إلى ما تنسب ، وقال نفطويه : المَقَدُّ ، بتشديد الدال ، قرية بالشام ، وقال غيره : هى فى طرف حوران قرب أذرعات.

(ن)

نَرْسُ : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره سين مهملة : وهو نهر حفرة نَرْسى بن بَهرام بن بهرام بنواحى الكوفة مأخذه من الفرات عليه عدة قرى قد نسب إليه قوم والثياب النرسية منه(١٣٦) .

نَزْوَةُ : بالفتح ثم السكون ، وفتح الواو ؛ والنزو : الوثب ، والمرة الواحدة نزْوَة : جبل بعُمان وليس بالساحل عنده عدة قرى كبار يسمى مجموعها بهذا الاسم فيها قوم من العرب كالمعتكفين عليها وهم خوارج إباضية يعمل فيها صنف من الثياب(١٣٧) ، منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل فى شئ من بلاد العرب مثلها ومآزر من ذلك الصنف يبالغ فى أثمانها ، رأيت منها واستحسنتها .

(و)

وانُ(١٣٨) : بالنون : قلعة بين خلاط ونواحى تفليس من عمل قليقلا يعمل فيها البُسطُ.

وِيذار : بكسر أوله ، وكسون ثانيه ، وذال معجمة ، وآخره راء : هى مدينة تعمل فيها الثياب الويذارية(١٣٩) .

الخاتمة

أدت صناعة المنسوجات فى العالم الإسلامى دوراً كبيراً فى ازدهار التجارة فى العصور الوسطى . ولقد أسهمت عوامل كثيرة فى شهرة وانتشار الملابس الإسلامية ووصولها إلى بلدان بعيدة فى أوربا وغرب أفريقيا والشرق الأقصى . من هذه العوامل وفرة المواد الخام فى ديار الإسلام ووجود الأيدى العاملة الماهرة المتخصصة . أضف إلى ذلك الموقع الاستراتيجى للعالم الإسلامى حيث امتدت حدود الدولة الإسلامية من تخوم الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً الأمر الذى أفسح المجال للتبادل التجارى بين مناطق العالم الإسلامى بعضها البعض ثم بعد ذلك مع أوربا وغرب أفريقيا وشرق آسيا . وقد أوضحت هذه الدراسة اهتمام العرب المسلمين بصناعة المنسوجات وتشجيعهم لها كما أشارت إلى جودة المنسوجات الإسلامية وتنوعها وتعدد مراكزها وأسعارها أحياناً .

ولقد وصلنا فى دراستنا « مراكز إنتاج المنسوجات والملابس والإسلامية وصناعتها فى معجم البلدان لياقوت الحموى » إلى النتائج التالية:

١ - يعد ياقوت الحموى من رواد التأليف المعجمى فى البلدان والأمكنة والمواقع وقد تميز كتابه « معجم البلدان » بتناوله صناعة المنسوجات واهتمامه بمراكزها . وقد أضاف ياقوت معلومات كثيرة وجديدة تتعلق بمراكز صناعة الملابس فى ديار الإسلام فى القرن السابع الهجرى الموافق للقرن الثالث عشر الميلادى لم يشر إليها أحد ممن سبقوه . لذلك يعد معجم البلدان مصدراً مهماً لدراسة أسماء الملابس الإسلامية وأنواعها ومراكز إنتاجها فى ديار الإسلام فى العصور الوسطى .

٢- أظهرت هذه الدراسة أن ياقوت كان أمينا ودقيقاً في نقل المعلومات المتعلقة بمراكز إنتاج المنسوجات وصناعتها من المصادر المخطوطة التي أطلع عليها ولقد تميزت هذه المصادر بالتنوع فمنها ما هو جغرافي ومنها ما هو أدبي ومنها ما هو تاريخي كما اعتمد ياقوت في استقاء معلوماته عن المنسوجات على مشاهداته الشخصية وقد ساعدته أسفاره الكثيرة في طلب العلم وعمله في التجارة على معرفة الملابس وتمييز الجيد المشهور من الردئ المغمور .

٣- كشفت لنا هذه الدراسة عن توزع مراكز إنتاج المنسوجات في ديار الإسلام وتخصص كل إقليم بإنتاج نوع معين من الملابس نتيجة لتوافر المواد الخام اللازمة . فقد ساعد توفر الأصواف والقطن في أقاليم المشرق الإسلامي على ازدهار صناعة السجاد والبسط والملابس الصوفية والقطنية . واشتهرت مصر بإنتاج الكتان وتصنيعه كما تميز كل من المغرب والأندلس بإنتاج الحرير وصناعة الملابس الحريرية .

٤- عندما قارنا بين المادة العلمية المتعلقة بالمنسوجات في معجم البلدان وبين غيرها مما في المعاجم الجغرافية الإسلامية والتي رجعنا إليها في توثيق المادة العلمية وجدنا أن ياقوت يتميز بشمولية المادة العلمية وينفرد بأسلوب ومنهج علمي بسيط وهو إلى جانب ذلك يهتم بعرض المنسوجات عرضا وافيا وتصنيفها جغرافيا حسب مراكزها على حروف المعجم ثم يقوم بعد ذلك بنقدها من حيث الجودة وسعة الانتشار .

٥- أوضحت هذه الدراسة دور الأمم والأقوام غير عربية التي دخلت إلى الإسلام بعد انتشاره في آسيا وأفريقيا وأوربا وإسهامها في تطوير

صناعة المنسوجات الإسلامية حيث أن معظم المنسوجات التى ذكرها ياقوت لم تكن معروفة عند العرب قبل الإسلام وتدل على ذلك أسماؤها الأعجمية .

٦ - أشارت الدراسة إلى أن المرأة كانت عنصراً هاماً ورئيسياً فى صناعة المنسوجات إذ أنها أدت دوراً كبيراً فى ازدهار صناعة المنسوجات فى ديار الإسلام فقد اشتركت مع الرجل فى غزل الصوف ونسج الأقمشة وصباغتها وأظهرت نشاطاً وبراعة أشاد بهما ياقوت فى أكثر من موضع .

الهوامش

(١) ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت . ١٤٠٥/٨٠٨) ، تاريخ ابن خلدون المسمى « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » ، جـ١ ، ٧ أجزاء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢ ، ص ٤٣٩ .

(٢) الصابئ: أبو الحسين، هلال بن المحسن(ت ١٠٩٤/٤٨٨)، رسوم دار الخلافة، تحقيق : ميخائيل عواد ، بيروت ، دار الرائد العربى ، ١٩٨٦ ، ص ٢٦ .

(٣) الصابئ ، رسوم دار الخلافة ، ص ٩٠ .

(٤) العبيدى : صلاح حسين ، الملابس العربية الإسلامية فى العصر العباسى من المصادر التاريخية والأثرية ، بغداد ، دار الرشيد ١٩٨٠ ، ص ٣١-٥٩ .

(٥) الصابئ ، رسوم دار الخلافة ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٦) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، جـ١ ، ص ١٨٩ - ١٩١ .

(٧) نوع فاخر من الفراء وأجوده ما يستورد من الصين للمزيد انظر الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ / ٨٦٨) ، التبصرة بالتجارة ، تحقيق : السيد حسن حسنى ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ١٩٨٣ ، ص ٢٨ ؛ ابن منظور : أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن على ، لسان العرب المحيط ، جـ٣ ، ٧ مجلدات ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٨ ، ص ١٩٩ - ٢٠١ (مادة سمر) .

(٨) جاء فى«باب الفراء» فى كتاب المخصص أن الفنك جلد يلبس ، انظر ابن سيدة : أبو الحسن ، على بن إسماعيل الأندلسى (ت ١٠٦٥/٤٥٨) ، المخصص ، مجـ١، ٥ أجزاء ، بيروت ، دار الكتاب الإسلامى ، دون تاريخ، السفر الرابع ، ص ٨١ ، وانظر أيضا ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٤ ، ص ١١٣٤ ، (مادة فنج) .

(٩) الرشيد بن الزبير : القاضى أبو الحسن أحمد بن الرشيد (ت القرن الخامس / القرن الحادى عشر) ، كتاب الذخائر والتحف ، وتحقيق : محمد حميد الله ، الكويت ، وزارة الأعلام ١٩٨٤ ، ص ٢١٤-٢١٥ .

(١٠) جاء فى الصحاح أن الملحم : جنس من الثياب انظر الجوهرى : إسماعيل بن حماد (ت . ٣٩٣ /١٠٠٢) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، جـ٥ ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ٦ أجزاء ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠٢٧ ، (مادة لحم) ؛ وانظر أيضا ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٥ ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ (مادة لحم) .

(١١) فى تعريف الطنفسة يقول ابن منظور : الطنفسة والطنفسة ، بضم الفاء الأخيرة عن كراع : النمرقة فوق الرحل ، وجمعها طنافس ، وقيل : هى البساط الذى له خمل رقيق ، ولها ذكر فى الحديث . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٤ ، ص ٦١٨ (مادة طنفس) .

(١٢) انظر الرشيد بن الزبير ، الذخائر والتحف ، ص ٢٧ .

(١٣) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، المعروف بأبى العتاهية ويعد من أشهر شعراء العصر العباسى ، ولد فى سنة ٧٤٨/١٣٠ وتوفى فى سنة ٢١٠ / ٨٢٥ . للمزيد انظر رشيد يوسف عطاء الله (ساروفيم فيكتور) ، تاريخ الآداب العربية ، مجـ١ تحقيق : على نجيب عطوى ، مجلدان ، بيروت ، مؤسسة عز الدين ، ١٩٨٥ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

(١٤) انظر ، البيان والتبين ، جـ٣ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، دار التراث العربى ، ص١٢١ .

(١٥) لمزيد عن حياته انظر : الذهبى : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت. ٧٤٨ / ١٣٤٧) ، سير أعلام النبلاء ، مجـ٢٢ ، تحقيق : بشار عواد معروف ومحى هلال السرحان ، ٢٣ مجلدا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص ٣١٣ ؛ اليافعى : أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على

(ت٧٦٨/١٣٦٦) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـ٤ ، ٤ أجزاء ، القاهرة، دار الكتاب الإسلامى ، ١٩٩٣ ، ص ٥٩ - ٦٣ ؛ أبا العماد الحنبلى، أبو الفلاح عبد الحى (ت ١٠٨٩ / ١٦٧٥) ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ٥ ، ٨ أجزاء ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٩ ، ص ١٢١ - ١٢٢ ؛ حاجى خليفة : مصطفى بن عبد الله القسطنطنى الشهير بكاتب الجلبى (ت . ١٠٦٧ / ١٦٥٦) ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، جـ٢ ، ٦ أجزاء ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٧٧ ؛ عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، جـ١٣ ، ١٥ جزء ، بيروت ، مكتبة المثنى ١٩٥٧، ص ١٧٨ - ١٨٠ ، انظر أيضا مقدمة معجم البلدان ، لياقوت .

(١٦) جزيرة تقع فى الخليج العربى ، للمزيد انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان جـ٤ ، ص ٢١٥ ، ٣٣٣ .

(١٧) انظر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، مجـ٦ ، تحقيق : إحسان عباس، ٨ أجزاء ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٧ - ١٣٩ .

(١٨) تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، بيروت ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٧ ، ص ٣٩٥ .

(١٩) انظر ياقوت ، معجم الأدباء ، جـ١ ، تحقيق : إحسان عباس ، ٧ أجزاء ، بيروت، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٩٣ ، ص ٣٠٨ .

(٢٠) انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٣٦٩ ، وهو من الكتب التى لم تصل إلينا .

(٢١) انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٠٢ ، وهو أيضاً من الكتب التى لم تصلنا .

(٢٢) ورد عند ابن خلكان باسم « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » .

(٢٣) أشار إليه فى معجم الأدباء وقال إنه شرع فى تأليفه قبل معجم الأدباء . انظر مقدمة المؤلف فى معجم الأدباء ص ٨ ، وهو من تصانيف ياقوت المفقودة .

(٢٤) حققه فيراناند ويستينفيلد Ferdinand Wustenfeld وطبع فى كوتنجن Gottingen سنة ١٨٤٦ .

(٢٥) ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، وهو من مؤلفات ياقوت المفقودة .

(٢٦) ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، وهو من الكتب المفقودة .

(٢٧) حققه ونشره ناجى حسن باسم « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٨٧ .

(٢٨) راجع ص ٣٠ ، وص ٣٤ من هذا البحث الذى بين يديك .

(٢٩) انظر ص ٣٧ من البحث .

(٣٠) انظر ص ٢٢ من هذا البحث .

(٣١) انظر المواقع التالية : أم ، بربيطيا ، سبن ، غب ، وفرقب .

(٣٢) لم نهتد إلى موضع هذا البلد ، ولم نقف على اى صنف من هذه الثياب .

(٣٣) ورد اسمها عند ابن دقماق : إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩/٤٠٦) ، وكتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بيروت ، المكتب التجارى ، بدون تاريخ ، ص ٢٣ ؛ وعند ابن مماتى : الأسعد بن مماتى (ت ٦٠٦ /١٢٠٩) قوانين الدواوين : جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ١٩٩١ ، ص ١٠٧ ولم يشر أى منهم إلى زراعة الكتان فيها .

(٣٤) انظر المقدسى : أبو عبد الله ، شمس الدين محمد البشارى (ت ٩٩٠/٣٨٠)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ١٩٠٦ ، ص ١٤١ - ١٤٥ ؛ ياقوت كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا ، ص ١٩ .

(٣٥) اردستان (فارسية ، وتعنى إقليم ، أو كل موضع فيه مزارع وقرى) من ستة عشر رستاقا يكونون مساحة أصباهان التى تبلغ ثمانين فرسخا ، وكل رستاق يضم ثلاثمائة وستون قرية ، ولقد اشتهر أصبهان وما حولها من قرى بإنتاج وصناعة أنواع فائقة الجودة من المنسوجات وقد انفرد ياقوت بذكر ما تصدره أردستان من ثياب . راجع الجاحظ ، التبصر التجارة ، ص ٣٩ ؛ ابن

الفقيه : أبو بكر ، أحمد بن محمد الهمذانى (ت ٢٩٠/٩٠٢) ، كتاب البلدان، تحقيق : يوسف الهادى ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٩٦ ، ص ٥١٥ ؛ ابن حوقل : أبو القاسم ، محمد النصيبى (ت ٣٦٨ / ٩٧٧) ، صورة الأرض ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩، ص ٣٠٩ ؛ الحميرى ، محمد بن عبدالمنعم (ت ٧٢٧ / ١٣٢٦) الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس ، بيروت ، مكتبة لبنان، ١٩٨٤ ، ٤٣ .

(٣٦) لم نتمكن من العثور على هذا الكلام عند الاصطخرى : أبو إسحاق ، إبراهيم محمد الفارسى (ت ٤٠٠ /١٠٠٩) ، فى كتابه المسالك والممالك ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ، ١٩٦٧ .

(٣٧) لم نقف على موقع هذه الناحية فى المعاجم الجغرافية المتوفرة بين أيدينا وخاصة المعاجم المتعلقة بجغرافية الأندلس .

(٣٨) المماطر : هى المعاطف الواقية من المطر .

(٣٩) تعرف أيضا باسم (اسبيجاب) وهى قصبة ومدينة عامرة من مدن بلاد ما وراء النهر . لمزيد من المعلومات عن هذا الموضع انظر ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠/٩١٢) ، المسالك والممالك ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ، ١٨٨٩ ، ص ٢٧ ٢٠٦ ؛ الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٦١ - ١٦٣ ؛ المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢١٤ .

(٤٠) عند الاصطرخى الجراغ سنك .

(٤١) فى « المسالك والممالك » تباع منه ثلاثة أوقار بدرهم ، وعند القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢/١٢٨٣) فى « آثار البلاد وأخبار العباد » ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ يباع منه وقر أو وقران بدرهم للمزيد انظر ص ٥٣٨ .

(٤٢) نقل ياقوت ما ذكره الاصطخرى بتصرف ومثله فعل القزوينى ، انظر آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٣٨ .

(٤٣) هو الحسن بن إبراهيم بن زولاق ، عالم ومؤرخ مصرى له مؤلفات كثيرة فى تاريخ مصر توفى فى سنة ٣٨٦ هجرية الموافق لسنة ٩٩٦م ، لمزيد راجع ترجمته عند ياقوت فى معجم الأدباء ، جـ٢ ، ص ٨٠٧ .

(٤٤) المناسج : تعنى دور الحاكة التى تعمل فيها الملابس .

(٤٥) انظر اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤/٨٩٧) ، كتاب البلدان، تحقيق دى غويه ، ليدن ، ١٩٦٧ ، ص ٣٣١ ؛ القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٤٧ .

(٤٦) راجع الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٩ .

(٤٧) الإبريسم هو الحرير ، وقد ذكر الحميرى فى الروض المعطار مدينة وادى آش وأشار إلى وفرة زراعة أشجار التوت والقطن فيها .

(٤٨) فى المعجم : الأشْنانُ والإشنانُ من الحمض : معروف الذى يغسل به الأيدى. انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ١ ، ص ٦٦ (مادة أشن) .

(٤٩) لم نتمكن من العثور فى المصادر المتوفرة بين أيدنا على أية معلومات عن هذا الموضع وعن إنتاجه من المنسوجات .

(٥٠) ذكره الاصطخرى فقال : وبكورة البيرة حرير كثير يُفضل ويقدم على غيره. انظر المسالك والممالك ، ص ٤٤ ؛ وقال البكرى : أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز (ت : ٤٨٧ /١٠٩٤) المسالك والممالك ، جـ٢ ، تحقيق : أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى ، جزءان تونس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٢ ، ص ٨٩٥ ؛ «وفى قراه (جبل البيرة) المتصلة به يكون أفضل الحرير والكتان الذى يفضل على كتان الفيوم » .

(٥١) جاء فى كتاب « آثار البلاد وأخبار العباد » : ألش مدينة بالأندلس بقرب تدمير ... وبها صناع البسط الفاخرة وليس مثلهم فى شئ من بلاد الأندلس . انظر ص ٥٠٢ .

(٥٢) ورد اسمها عند صاحب« الروض المعطار » أندرش وقال عنها : مدينة من أعمال المرية ، وهى من أنزه البلدان ، وفيها يقول أبو الحجاج ابن عتبة الأشبيلى الطبيب الأديب الشاعر وقد مر عليها :

لله أندرش لقد حازت على	حسنٍ تتيه به على البلدانِ
النهر منساب سرت خلجان	فى الروض بين أزاهر الكتان
فكأنما انسابت هناك أرقم	قد عدن راجعة عن الثعبان

(٥٣) جاء عند البكرى : فى « معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، جـ٤ ، تحقيق : مصطفى السقا ، ٤ أجزاء ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٨٣، ص ١٢٦٥ : مَنْبِج بفتح أوله ، وإسكان ثانية ، وبعده باء معجمة بواحدة مسكورة وجيم ، من جُنْدِ قِنسرين ... وهو اسم أعجمى تكلمت به العرب ، ونسبت إليه الثياب المنبجانية . ولعلها هى التى ارادها ياقوت الحموى .

(٥٤) الكِرْباس والكِرْباسة : ثوب ، فارسية ، وبيَّاعُه كَرابيسىّ ، ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٥ ، ص ٢٣٨ (مادة كربس) .

(٥٥) قارن ، الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٨٦ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٩١ ، انظر أيضاً ، أبو الفدا : إسماعيل بن على عماد الدين (ت ٧٣٢/١٣٣١) ، تقويم البلدان ، تصحيح وطبع ، رينود وديسلان ، باريس ١٨٤٠ ، ص ٣٩٠ ؛ الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٧٧ .

(٥٦) لا توجد معلمات عن إنتاج هذه القرية من الثياب .

(٥٧) ابن مقبل هو تميم بن أبى بن مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه ، ذكره محمد بن سلام وصنفه ضمن الطبقة الخامسة من الشعراء الجاهليين فى كتابه طبقات الشعراء . انظر ص ٣٢ .

(٥٨) ورد اسمها عند صاحب اللسان (مادة بربط) وذكر أنها تنسب إلى موضع غير أنه لم يحدده ، انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ١ ، ص ١٨٣ .

(٥٩) انظر ، الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٨٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٦٠) راجع « بصنا » .

(٦١) تحدث القزوينى عن برطاس أنه يوجد : بها نوع من الثعالب فى غاية الحسن ، كثير الوبر أحمر اللون ، جلودها الفراء البرطاسية . انظر آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(٦٢) يستخدم النيل فى صباغة الملابس .

(٦٣) قال الحميرى : وبها كانت طرز الوطاء البسطى من الديباج الذى لا يعلم له نظير . الروض المعطار ، ص ١١٣ .

(٦٤) ورد ذكرها عند المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٩ ؛ ابن عبد ربه الأندلسى : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ٩٣٩/٣٢٨) ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ٧ أجزاء ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ، ١٩٨٦ ، ص ١٩٨ ، الحميرى ، الروض المعطار ص ١٠٩ .

(٦٥) قال الاصطخرى : وببصنى تعمل الستور التى يحمل إلى الآفاق ، المكتوب عليها عمل بصنى ، وتعمل ببرذون وكليون وغيرها من تلك المدن ستور يكتب عليها بصنى ، وتدلس فى ستور بصنى إلا أن المعدن بصنى . انظر المسالك والممالك ، ص ٩٣ . وقال ابن حوقل : وببشنى تعمل الستور المشهورة فى جميع الأرض المرقوم عليها عمل بصنى ، وقد تعمل بـبرذون وكليوان وغيرها من المدن ستور يكتب عليها بصنى وتدلس فى ستور بصنى. انظر صورة الأرض ، ص ٢٣١ .

(٦٦) تحدث الجغرافيون المسلمون عن الثياب التى تعمل فى بَمُّ وذكروا أنواعها مثل الطيالسة التى تنسج برفارف والعمائم وأشاروا إلى أسعارها وجودتها . انظر المقدسى ، أحسن التقاسيم ص ٤٧٠ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ٢٧١ ، الحميرى، الروض المعطار ، ص ١٠٤ .

(٦٧) جاء فى كتاب البلدان ، لليعقوبى ، ص ٣٣٨ : وبُورة وهى حصن على ساحل البحر من عمل دمياط تُعمل بها الثياب القراطيس .

(٦٨) انفرد ياقوت بذكر إنتاج هذه البليدة .

(٦٩) لا توجد معلومات عن هذه الأكسية .

(٧٠) القزينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٣٩ .

(٧١) انفرد ياقوت بذكر هذه الأنسجة .

(٧٢) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٠٩ ؛ القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد، ١٧١ ؛ وجاء فى العقد الفريد : تستر مدينة يعمل فيها التسترى وهى ملاحف . انظر ابن عبد ربه ، جـ٦ ص ١٩٧ .

(٧٣) معجم ما استعجم ، ص ٣١٢ .

(٧٤) البوقلمون نوع من الثياب يتغير لونها بتغير ساعات النهار وقد ضربت شهرتها الآفاق انظر المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٢٠١ + ٢٠٣ ؛ الحميرى ، الروض المعطار، ص ١٣٧ ؛ مؤلف مجهول (من القرن ١٢/٦)، كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشره وعلق عليها : سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٦ ، ص٨٧ ؛ ناصر خسرو: أبو معين الدين ناصر خسرو القباديانى المروزى (ولد ١٠٠٣/٣٩٤)، سفر نامه ، تحقيق : يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٩٢ .

(٧٥) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٤٠ ؛ الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ١٥٣ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٢٦١ .

(٧٦) انظر المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد بن على (ت ١٤٤١/٨٤٥) ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، جـ١ ، جزءان ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ ، ص ١٨١ .

(٧٧) الجاحظ ، التبصر بالتجارة ، ص ٣٨؛ الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٢١٣؛ أبو دلف : مسعر بن المهلهل الخزرجى الينبوعى (عاش فى

القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى) ، الرسالة الثانية ، نشـــر وتحقيــق : بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف ، ترجمة وتعليق : محمد منـــير مرســى ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠ ، ص ٨٧ ؛ الحميرى ، الــروض المعطــار ، ص ١٦٠ .

(٧٨) جاء فى كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق : حصن ميلاص هو حصــن كبير القطر على جنب طرف طاعن فى البحر مليح الهيئة وثيق البنيـــة بلــدة رفيعة وقلعة منيعة من أحسن البلاد وأجملها وأسناها وأفضلــها وأشــبه شــئ بأكابر الحواضر فى العمارات والتصرف والأسواق ومــا بــها مــن المــواد والأرفاق وهى على ساحل البحر والبحر محدق بجميع جهاتها إلا جهة واحــدة بشمالها يدخل منها إليها ويسافر إليها برا وبحرا ويتجهز منها بالكتان الكثــير الطيب ... انظر الإدريسى : أبو عبد الله محمد بن محمد (الف كتابــه سـنة ١١٥٣/٥٤٨) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مجـــــ٢ ، اشــترك فــى تحقيقه مجموعة من المستشرقين والمؤرخين المسلمين ، مجلـــدان ، مصــر ، مكتبة الثقافة الدينية ، دون تاريخ ، ص ٥٩٥ ؛ وانظر أمـــارى : ميخــائيل ، المكتبة العربية الصقلية نصوص فى التاريخ والبلدان ، والتراجم والمراجــع ، تحقيق وجمــع ، ليبســك ، ١٨٥٧ ، ص ٣٣ ، ٧٠ ، ١١٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٥٧ .

(٧٩) فسر ابن منظور الكلمة فقال : والقنب والقنب : ضرب من الكتـــان ، انظــر لسان العرب ، مجــ٥ ، ص ١٦٨ (مادة قنب) .

(٨٠) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٤٤٢ ؛ ابن حوقل ، صـــورة الأرض ، ص ٢٦١ ، ابن سيدة ، المخصص ، الجزء الأول ، السفر الرابع ص ٧٣ .

(٨١) هو عبيد الأبرص بن جشم بن عامر أحد بنى دُودان بن أسد بن خُزَيمــة ورد اسمه عند صاحب طبقات الشعراء وصنفه فى الطبقة الرابعـــة مــن طبقــات الشعراء الجاهليين . انظر ابن سلام ، ص ٣٠ .

(٨٢) عند البكرى كالتالى : جَيْشَان بفتح أوله ، والشين المعجمة ، على وزن فَعلانَ : موضع باليمن ، تنسب إليه الخُمُرُ السُّود ؛ قال عبيد بن الأبْرَص :

فأبْنَا ونَازعْنَا الحديث أوَانِسا عليهنّ جَيْشَانِيةً ذاتُ أغْيَالِ

أغيال : أى خطوط .

(٨٣) انفرد ياقوت بذكر إنتاج حربى من المنسوجات القطنية .

(٨٤) يقول صاحب اللسان : فرند دخيل معرب : اسم ثوب . ابن الأعرابى : الفِرِنْدُ على فِعِّلٍ الأبرازُ وجمعه الفرائِد ، ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٤، ص ١٠٩٠ ، (مادة فرند) .

(٨٥) لم نتمكن من العثور على معلومات عن إنتاج هذه البليدة من الثياب .

(٨٦) لم نقف عليها فى المصادر .

(٨٧) ذكرها المقدسى فى كتابه أحسن التقاسيم ونسبها إلى نيسابور فقال:وأما التجارات فترتفع من نيسابور ثياب البيض والحفية والبيباف والعمائم الشهجانية الحفية ... انظر ص٣٢٣ .

(٨٨) جاء فى كتاب آثار البلاد وأخبار العباد : يعمل بها الديباج الذى يسمونه الجولخ . القزوينى ، ص ٥٢٧ .

(٨٩) انظر دبيق .

(٩٠) هو حمزة بن الحسن الأصفهانى ، أديب ومؤرخ ، ولد فى أصفهان سنة ٢٨٠هـ وتوفى سنة ٣٦٠هـ ، له مصنفات عديدة منها كتاب أصبهان وأخبارها وكتاب الأمثال الصادرة عن ثبوت الشعر ، وله أيضا كتاب تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، للمزيد انظر ترجمته فى معجم الأدباء ، ص ١٢٢٠ - ١٢٢١ ، وانظر أيضا ، ابن النديم : محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠/٩٩٠) ، الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان ، الدوحة ، دار قطرى بن الفجاءة ، ١٩٨٥ ، ص ٢٦٧ .

(٩١) فى اللسان : الدَّبيقىّ : من دق ثياب مصر ، معروفة تنسب إل دبيق . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ ٢ ، ص ٩٤٤ ، (مادة دبق) ؛ كما أشار إليها كذلك ابن الفقيه ، كتاب البلدان ص ٥١٣ ؛ وابن يحيى الوشاء : أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت . حوالى ٩٣٦/٣٢٥) ، الموشى أو الظرف والظرفاء ، بيروت ، دار صادر ، دون تاريخ ، ص ١٧٨-١٧٩ ؛ أما ابن عبد ربه فسماها دبيق ونسب إليها الدبيقى ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ص ١٩٨ ، وهذا مشابه لما عند المقريزى فى المواعظ والاعتبار ، انظر جـ١ ، ص ٢٢٦ .

(٩٢) ابن عبد ربه الأندلسى ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ١٩٧ .

(٩٣) لم نعثر عليها فى المعاجم الجغرافية المتوفرة بين أيدينا .

(٩٤) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٩٣ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٢٥٧

Serjeant, (R. B) Islamic Textiles : material for a history up to the Mongol conquest, (Beirut, 1972), p148 .

(٩٥) فسر ياقوت كلمة دورق فقال : الدورق : مكيال للشراب ، وهو فارسى معرب . انظر معجم البلدان مجـ٢ ، ص ٦١٩ .

(٩٦) يقول ابن حوقل : ولبخارا مدن فى داخل حائطها وخارجه عنه ، فأما داخله فالطواويس وهى أكبر منبر لها ، ونمجكث وزندنه ومغكان وخجاده وهى كلها من داخل الحائط . ثم يضيف : ويرتفع من بخارا ونواحيها ما يحمل إلى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالبخارية كرابيس ثقال الأوزان غليظة السلك مبرمة الغزل فيرغب العرب فيها وكذلك البسط وثياب من الصوف للفرش فى غاية الحسن ومقاعد ومصليات ومحاريب . صورة الأرض ، ص ٤٠٣ ؛ انظر أيضا المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢٤ .

(٩٧) تحدث ابن منظور عن هذا النوع من الملابس وقال إنها منسوبة إلى موضع بناحية المغرب يقال له سبن . انظر ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٣ ، ص ٩٣ (مادة سبن) .

(٩٨) قارن بالقزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤٢ .

(٩٩) ذكر الثعالبى : أبو منصور ، إسماعيل الثعالبى النيسابورى (ت . ٤٢٩ / ١٠٣٧) برود اليمن وقال : برود اليمن : يقال له : وَشْىُ اليَمَن ، وعَصْب اليَمَن . ويضرب بها المثل فى الحُسن ، وتُشبه بها الرّياض والألفاظ ، كما قال البحترى :

جئناك نَحمِل ألفاظا مدبّجة كانما وشيُها من يُمْنَةِ اليَمَن

ويقال فى نفائس الملابس : برود اليمن ، ورَيْط الشام ، وأرديـة مِصر ، وأكسية الدمغان وتِكَك أرمينية ، وجوارب قَزْوين . انظر ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص ٥٣٤ ، وانظر أيضا

Serjeant, Islamic textlies, p122 – 134

(١٠٠) لم تذكرها المؤلفات الجغرافية التى تحدثت عن سرقسطة مثل المسالك والممالك ، للبكرى ؛ ونزهة المشتاق ، للإدريسى ؛ والروض المعطار ، للحميرى ، ويبدو أن ياقوت قد انفرد بذكر طراز سرقسطة وإنتاجها من الثياب الرقيقة .

(١٠١) لم نوفق فى العثور على هذه القرية فى كتب البلدان والمعاجم الجغرافية .

(١٠٢) ابن سيده ، المخصص ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص ٧٢ ؛ المقدسى، أحسن التقاسيم ، ٢٠٢ ؛ القزوينى آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٠٩ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ص ١٩٨ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٣ ، ص ٣١٨ ، (مادة شطى) ، المقريزى المواعظ والاعتبار، جـ٢ ، ص ٢٢٦ .

(١٠٣) هو أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون ، كان وزيرا لمعز الدولة ابن أحمد بن بويه وكان أديبا وشاعرا يجمع العلماء والأدباء فى مجلسه . للمزيد انظر معجم الأدباء ، ص ٩٧٧ – ٩٩٣ .

(١٠٤) لم نقف عليها فى المصادر .

(١٠٥) من الملابس التى انفرد ياقوت بذكرها فى المعجم .

(١٠٦) من الأكسية التى انفرد ياقوت بذكرها فى المعجم .

(١٠٧) لم نوفق فى العثور عليها .

(١٠٨) ابن سيدة المخصص ، الملجلد الأول ، السفر الرابع ، ص ٧٣ ، البكرى ، معجم ما استعجم ، ص ٩١٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ ٦٧١ ، (مادة عبقر) .

(١٠٩) لم نوفق فى العثور على هذا الموضع .

(١١٠) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٧ ؛ الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٢٧ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان ١٤٦ .

(١١١) يقول عنها الحميرى : هى حضرة المغرب الكبرى وإليها تشد الركائب وتقصد القوافل وتجلب إلى حضرتها كل غيبة من الثياب والبضائع والأمتعة ، وأهلها مياسير ولها من كل شئ حسن أوفر حظ . الروض المعطار ، ص ٤٣٤ ؛ انظر أيضاً ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٨٩ .

(١١٢) ذكرها صاحب اللسان ونسبها إلى مصر ، انظر ابن منظور ، مجـ٤ ، ص ١٠٨٨ ، (مادة فرقب ومادة ثرقب) .

(١١٣) لم نوفق فى العثور على معلومات عن هذه الأكسية .

(١١٤) البكرى ، المسالك والممالك ، ص ٦٦٦ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص٤٥٠ .

(١١٥) نقل ياقوت من المقدسى بتصرف . قارن ، أحسن التقاسيم ، ص ٣٢١ .

(١١٦) عند البكرى ، الثِيابُ القَنِمِيَّة ، انظر معجم ما استعجم ، ص ١٠٥٢
Serjeant, Islamic Textiles, p132

(١١٧) انظر « القس » .

(١١٨) ابن سيدة ، المخصص ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص ٧٢ ، ابن منظور ، لسان العرب (مادة قسس) ؛ الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٨٠ ؛ المقريزى، المواعظ والاعتبار ، جـ١ ص١٨٢ ، ٢٠٤ ؛ كذلك

ذكرها البكرى فى معجم ما استعجم وقال : قال أبو على : وقَسّ ، بفتح القاف: موضع تنسب إليه الثيابُ القَسّيَّة . ص ١٠٧٤ ؛ وجاء فى كتاب البلدان لليعقوبى : مدينة القَيّس وبها تعمل الثياب القيسية والأكسية الصوف الجياد . انظر ص ٣٣١ ؛ أما صاحب العقد الفريد فقال : « القيس وإليها ينسب القيسى من الثياب » ، جـ٦ ، ص ١٩٨ .

(١١٩) البكرى ، معجم ما استعجم ، ص ١٠٨٢ ، ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٥ ، ١١٤ -١١٥ (مادة قطر) .

(١٢٠) فى القاموس : اللِّبْدُ: من البُسُط : معروف . ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٥، ص ٣٣٤ ، (مادة لبد) .

(١٢١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٧٠ .

(١٢٢) فسر ابن سيدة القلمون فقال : مطارف كثيرة الألوان (المخصص ، الجزء الأول، السفر الرابع ، ص ٧٣ ، انظر أيضا ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة قلم) ؛ وورد عند الجاحظ « أبو قلمون » راجع التبصر بالتجارة ، ص ٣٠ .

(١٢٣) جاء فى القاموس أن الفوة : نبات صبغ يستعمل فى الصباغة ويستخرج منه اللون الأحمر ما بين المعتدل والقانى ، والاسم العلمى للفوة Rubia tinctorum وقد أشار ابن حوقل إلى الفوة . انظر ص ٣٢٩ .

(١٢٤) عند الإدريس« قونكة » ويقول عنها : مدينة أزلية صغيرة على منقع ماء مصنوع قصدا ولها سور وليس لها ربض ويصنع بها من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة . انظر نزهة المشتاق ، ص ٥٦٠ .

(١٢٥) وقال ابن منظور فى اللسان : « القَهْزُ والقِهْزُ والقَهْزِىّ : ضرب من الثياب تتخذ من صوف كالمِرْعِزّى ؛ وقال ابن سيده : هى ثياب صوف كالمِرْعِزى وربما خالطها حرير ، وقيل هو القَزّ بعينه وأصلها بالفارسية كهزانة ، وقد يشبّه الشَّعَرُ والعِفاءُ به ... وقال أبو عبيد : القَهْزُ والقَهْزُ ثياب بيض يخالطها حرير » . انظر لسان العرب ، مجـ٥ ، ص ١٨٠ (مادة قهز) .

(١٢٦) الاصطخرى ، الماسلك والممالك ، ص ١٥٣ ؛ المقدس ، أحسن التقاسيم ، ص٤٣٣ ؛ ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٥١٦ ؛ القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٢٤٤ .

(١٢٧) انظر موضع « جيلان » عند القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٣٥٣ .

(١٢٨) وردت عند الإدريسى نول لمطه حيث قدم لنا وصفا للمدينة وذكر إنتاجها من الملابس فقال : مدينة كبيرة عامرة على نهر يأتى إليها من جهة الشرق وعليه قبائل لمتونة ولمطة وبهذه المدينة تصنع الدرق اللمطية التى لا شئ أبدع منها ولا أصلب منها ظهرا ولا أحسن منها صنعا وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها وبهذه المدينة قوم يصنعون السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل وتباع بها الأكسية المسماة بالسفارية والبرانس التى يساوى الزوج منها خمسين دينارا وأقل وأكثر . انظر نزهة المشتاق ، ص ٢٢٥ .

(١٢٩) لم نستطع أن نعثر عليها فى المعاجم الجغرافية المتوفرة بين أيدينا .

(١٣٠) الاصطخرى ، المسالك والممالك ، ص ٢٨٨ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص.٣٨٥ ، ٤٠٤ .

(١٣١) الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٥٢٣ .

(١٣٢) الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٥٦٢ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ١٧٦ ؛ الحميرى الروض المعطار ، ص ٥٣٧ ، انظر أيضا .
Serjeant, Islamic Textiles, p169-170.

(١٣٣) القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٧٤ ؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان، ص ٢٥٠ .

(١٣٤) البكرى ، معجم ما استعجم ، ١٢٤١ ، ابن منظور ، لسان العرب ، مجـ٤، ص ٨٢٠ – ٨٢١ ، (مادة عفر) انظر أيضا :
Serjeant, Islamic Textiles, p169-170.

كذلك أشار إليها صاحب المخصص وسماها (معاجز) . أنظر ابـن سـيده ، الجزء الأول ، السفر الرابع ، ص ٧٣ .

(١٣٥) جاء فى (مادة مقد) فى لسان العرب لابن منظور : المقدى : ضرب مـن الثياب. انظر مجـ٥ ص ٥١١ .

(١٣٦) البكرى ، المسالك والممالك ، جـ١ ، ص ٢٧٥ ، ابـن منظـور ، لسـان العرب ، (مادة نرس) .

(١٣٧) لم نقف على أى صنف من هذه الثياب .

(١٣٨) لم نستطع العثور عليها فى المعاجم المتوفرة بين أيدينا غـير أن القزوينـى أشار إلى البسط التى تخرج من « قاليقلا » ولعلها هى التى أرادها يـاقوت . انظر آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٥٥١ .

(١٣٩) تحدث صاحب الروض المعطار عن هذه الثياب فقال : ويـذار مـن مـدن خرسان ، وهى مدينة حسنة متوسطة المقدار تعمـل بـها الثيـاب الويذاريـة المنسوبة إليها ، وهى قطن فى قطن حسنة الصنعة غريبة المثال تلبس خامـاً غير مقصورة ، وليس بخرسان أمير ولا وزير ولا قـاض إلا وهـو يلبسـها ظاهراً على ما يكتسبه فى الشتاء، وجمالهم بها ظاهر وزينتهم بها فاشية لأنـها ثياب تميل إلى صفرة الزعفران لينة الملمس ، ويعمـر الثـوب منـها كثـيراً ويستخدم المدة الطويلة ، ويبلغ ثمن الثوب فى بلادهم من ثلاثين دينـاراً إلـى عشرين ديناراً على قدر جودته ورداءته . انظر الحميرى ، ص ٦٠٦ وقـارن مع الإدريسى ، نزهة المشتاق ، ص ٥٠١ ؛ انظر أيضاً المقدسـى ، أحسـن التقاسيم ، ص ٣٢٤ ؛ كذلك ذكرها الثعالبى فى كتابه ثمار القلوب ضمـن مـا ينسب إلى سمر قند . انظر ص٥٤٣ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية :

- **ابن بطوطة** : أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم اللواتى ، رحلة ابن بطوطة، بيروت ١٩٨٠ .
- **ابن جبير** : أبو الحسين ، محمد بن أحمد بن جبير ، رحلة ابـــن جبـير ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- **ابن حوقل** : أبو القاسم ، محمد النصيبيـــى ، صـــورة الأرض ، بـيروت ١٩٧٩ .
- **ابن خرداذبة** : أبو القاسم عبيد الله بن عبـــد الله ، المســالك والممـــالك ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ١٨٨٩ .
- **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ ابن خلدون المســمى كتـاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيـــام العـــرب والعجـــم والـــبربر ومـــن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ٧ أجزاء بيروت ١٩٩٢ .
- **ابن خلكان** : أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيـــان وأنباء أبناء الزمان تحقيق : إحسان صــــادق ، ٨ مجلـدات ، بـيروت ، ١٩٦٨ .
- **ابن دقمان** : إبراهيم بن محمد بن أيدمـــر العلائـــى ، كتـاب الأنتصـار لواسطة عقد الأمصار ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ابن رستة : أبو على ، أحمد بن عمر ، كتاب الأعلاق النفيسة ، تحقيـق : دى غويه ، ليدن ١٩٦٧ .
- ابن سعد : **محمد بن سعد بن منيع البصـــرى** : الطبقـات الكـبرى ، ٩ أجزاء ، بيروت ، بدون تاريخ .

- **ابن سيده** : أبو الحسن ، على بن إسماعيل الأندلسى ، المخصص ، ٥ أجزاء ، بيروت بدون تاريخ .

- **ابن عبد ربه الأندلسى** : شهاب الدين أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، ٧ أجزاء ، بيروت ١٩٨٦ .

- **ابن العماد الحنبلى** : أبو الفلاح ، عبد الحى ، شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، بيروت ١٩٧٩ .

- **ابن فضلان** : أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد ، رسالة ابن فضلان ، تحقيق : سامى الدهان ، دمشق ، ١٩٨٨ .

- **ابن الفقيه** : أبو بكر ، أحمد بن محمد الهمذانى ، كتاب البلدان ، تحقيق : يوسف الهادى ، بيروت ١٩٩٦ .

- **ابن مماتى** : الأسعد بن مماتى ، كتاب قوانين الدواوين ، جمع وتحقيق : عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٩١ .

- **ابن منظور** : أبو الفضل ، محمد بن مكرم بن على ، لسان العرب المحيط، ٧ مجلدات ، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة : يوسف خياط ، بيروت ١٩٨٨ .

- **ابن النديم** : محمد بن إسحاق ، الفهرست ، تحقيق : ناهد عباس عثمان ، الدوحة ، ١٩٨٥ .

- **أبو دلف** : مسعر بن المهلهل الخزرجى الينبوعى ،
  ١ – الرسالة الأولى ، نشر وتحقيق : شلوزر ، برلين ١٨٤٥ .
  ٢ – الرسالة الثانية ، نشر وتحقيق : بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف ، ترجمة : محمد منير مرسى ، القاهرة ١٩٧٠ .

- **أبو عبيد بن سلام** : القاسم بن سلام الهروى ، الغريب المصنف ، تحقيق: محمد المختار العبيذى ، الجزء الأول ، تونس ١٩٨٩ .

- **أبو الفداء** : إسماعيل بن على عماد الدين ، كتاب تقويم البلدان ، تصحيح وطبع : رينود ديسلان ، باريس ١٨٤٠ .
- **الإدريسى** : أبو عبد الله ، محمد بن محمد ،

١ - نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، اشترك فى تحقيقه مجموعة من المستشرقين والمؤرخين المسلمين ، مجلدان مصر ، بدون تاريخ .

٢ - أنس المهج وروض الفرج ، طبع بالتصوير عن مخطوطتان ، فرانكفورت ، ١٩٨٤ .

- **الأزهرى** : أبو منصور ، محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، ١٥ جزءا ، مصر ٦٤ - ١٩٦٧ .
- **إسحاق بن الحسين** : آكام المرجان فى ذكر المدائن المشهورة فى كل مكان ، اعتناء : فهمى سعد ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- الاصطخرى : أبو إسحاق ، إبراهيم بن محمد الفارسى ، مسالك الممالك ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ١٩٦٧ .
- **الأنبارى** : أبو البركات ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ .
- **البكرى** :أبو عبيد ، عبد الله بن عبد العزيز ،

١ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ٤ أجزاء فى مجلدين، تحقيق : مصطفى السقا ، بيورت ١٩٨٣ .

٢ - المسالك والممالك ، جزءان ، تحقيق : أدريان فان ليوفن أندرى فيرى ، تونس ١٩٩٢ .

- الثعالبى : أبو منصور إسماعيل الثعالبى النيسابورى :
١ - كتاب فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق : سليمان سليم البواب ، دمشق ١٩٨٤ .
٢ - ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، ١٩٦٥ .
- **الجاحظ** : أبو عثمان عمرو بن بحر :
١ - البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ٤ أجزاء، القاهرة ١٩٧٥ .
٢ - كتاب التبصره بالتجارة ، تحقيق : السيد حسن حسنى عبد الوهاب ، بيروت ١٩٨٣ .
- **الجمحى** : محمد بن سلام ، طبقات الشعراء ، تحقيق : جوزف هيل ، ليدن ١٩١٦ .
- **الجوهرى** : إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبد الغفور ، بيروت ١٩٧٩ .
- **الحميرى** : محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٨٤ .
- **الدمشقى** : أبو الفضل ، جعفر بن على الدمشقى ، الإشارة إلى محاسن التجارة تحقيق : البشرى الشوربجى ، ١٩٧٧ .
- **الذهبى** : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من العلماء ، ٢٣ مجـ بيروت ١٩٨٥ .
- **الرشيد بن الزبير** : القاضى أبو الحسين أحمد بن الرشيد بن القاضى الزبير ، كتاب الذخائر والتحف ، تحقيق : محمد حميد الله ، الكويت ، ١٩٨٤ .

- **شيخ الربوة** : شمس الدين أبو عبد الله الدمشقى ، نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، بيروت ١٩٨٨ .
- **الصابى** : أبو الحسين ، هلال بن المحسن الصابئ ، رسوم دار الخلافة ، تحقيق : ميخائيل عواد ، بيروت ١٩٨٦ .
- **الطبرى** : محمد بن جرير ، تاريخ الطبرى ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،١١ جزءا مصر ١٩٨٧ .
- **العمرى** : أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق : أحمد زكى باشا ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٢٤ .
- **قدامة بن جعفر** : أبو الفرج ، كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ١٩٦٧ .
- **القلقشندى** : أبو العباس ، أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزءا ، القاهرة ١٩٦٣ .
- **المسعودى** : أبو الحسن : على بن الحسين بن على ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ، ٤ أجزاء ، بيروت ١٩٨٧ .
- **المقدسى** : أبو عبد الله ، شمس الدين محمد البشارى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ١٩٠٦ .
- **المقريزى** : تقى الدين أبو العباس أحمد بن على ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، جزءان ، بيروت بدون تاريخ .
- **مؤلف مجهول** : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشره وعلق عليه : سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ١٩٨٦ .

- **ناصر خسرو** : أبو معين الدين ناصر خسرو القباديانى المروزى : رحلة ناصر خسرو ، ترجمة : يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٩٣ .
- **النويرى** : شهاب الدين ، أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب فى فنون الأدب ، ٣١ جزءا ، القاهرة ١٩٣١ .
- **الهمذانى** : الحسن بن أحمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن على الأكوع : صنعاء ١٩٩٠ .
- **الوشاء** : أبو الطيب ، محمد بن إسحاق بن يحيى ، الموشى أو الظرف والظرفاء ، بيروت بدون تاريخ .
- **ياقوت الحموى** : شهاب الدين أبو عبد الله :

١ – كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا ، تحقيق : وستينفيلد ، كوتنجن ١٨٤٦ .

٢ – معجم الأدباء ، تحقيق : إحسان صادق ، ٧ أجزاء ، بيروت ١٩٩٣.

٣ – معجم البلدان ، تحقيق : وستينفيلد ، ٦ أجزاء ليبسك ، ١٨٦٦ – ١٨٧٠ .

- **اليعقوبى** : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ، كتاب البلدان ، تحقيق : دى غويه ، ليدن ١٩٦٧ .

المراجع العربية :

- **الجبورى**: يحيى وهيب، «المنسوجات العربية فى العصر الجاهلى» حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد السابع، ١٩٨٤.
- **الجميل** : محمد بن فارس « اللباس فى عصر الرسول ﷺ » دراسة مستمدة من مصادر الحديث النبوى الشريف ، حولية كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية الاربعة عشر ، الرسالة الحادية والتسعون ١٩٩٤ .

- **آشتور** : آ ، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط فى العصور الوسطى ترجمة : عبد الهادى عبلة ، دمشق ١٩٨٥ .
- **أمارى** : ميخائيل ، المكتبة العربية الصقلية نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع تحقيق وجمع ، ليبسك ١٨٥٧ .
- **دوزى** : رينهارت ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة: أكرم فاضل ، بغداد ١٩٧١ .
- **شير** : ادى ، كتاب الألفاظ الفارسية المعربة ، بيروت ١٩٠٨ .
- **عمارة** : محمد ، قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية، بيروت ١٩٩٣ .
- **العبيدى** : صلاح حسين ، الملابس العربية فى العصر العباسى من المصادر التاريخية والأثرية ، بغداد ١٩٨٠ .
- **العلى** : صالح :

١ - « الألبسة العربية فى القرن الأول الهجرى » مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد الثالث عشر ١٩٦٦ .

٢ - « الأنسجة فى القرنين الأول والثانى » مجلة الأبحاث ، جـ٤ ، السنة ١٤ بيروت ١٩٦١ .

- **كراتشكوفسكى** : اغناطيوس يوليانوفتش ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، بيروت ١٩٨٧ .
- كلوس كريز وفارنرديم وهانس جورج ماير ، معجم العالم الإسلامى ، ترجمة : جـ كتورة ، بيروت ، ١٩٩١ .
- **ماركوبولو** : رحلات ماركوبولو ، ترجمة : عبد العزيز جاويد ، ٣ أجزاء القاهرة ١٩٩٥ .

- **ماهر** : سعاد ، النسيج الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- **متز** : آدم ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة : محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- **المختار** : فريال داود ، المنسوجات العراقية الإسلامية من الفتح العربى إلى سقوط الخلافة العباسية ببغداد ، بغداد ، ١٩٧٦ .
- **مطلوب** : أحمد ، معجم الملابس فى لسان العرب ، بيروت ، ١٩٩٥ .
- **مؤنس** : حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

- مصادر ومراجع أجنبية :

- **Brice (W. C.)** An Historical atlas of Islam (Leiden 1981).
- **Rolvink, (R.)** et al., Historical atlas of the Muslim people (Amsterdam, 1957).
- **Serjeant, (R. B.) Islamic Textiles :** Material for a History up to the Mongol Conquest (Beirut, 1972).

الوقف وأثره في التنمية

خلال عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)

عبد العزيز بن إبراهيم العمري

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)

مقدمة

يعد عصر الراشدين أفضل العصور الإسلامية بعد عصر النبوة، وقد امتدت الدولة الإسلامية خلاله إلى أصقاع مختلفة، وتطور المجتمع الإسلامي من حيث العدد والإمكانات والإدارة وسعة الإطلاع على التجارب الإدارية، وفي الوقت نفسه ثبت المسلمون على مبادئهم، وأشاعوا العدل بين الناس، ونمت الأمة في مجالات مختلفة، وتطلب ذلك توجه الدولة والأشخاص للنشاطات المختلفة في مجال البر والإحسان. وقد رصدت المصادر التاريخية العديد من الروايات المتعلقة بذلك ومنها ما يتعلق بالأوقاف الخيرية في ذلك العصر والتي كان لها تأثيرها على الأمة النامية التي امتدت في أصقاع مختلفة، وقد كان لهذه الأوقاف أثرها المميز في تلبية حاجات الأمة الدينية والاجتماعية والعلمية، وما يرتبط بذلك مما تشمله مجالات البر والإحسان وبذل المال في سبيل الله، فكان هذا البحث محاولة لذكر بعض الشواهد_لا لحصرها- من عصر الراشدين ومنها ما يتعلق بأوقاف المساجد والمزارع والمياه، والعقارات، والأسواق والطرق وغيرها من المصالح العامة التي يصعب حصرها في بحث مختصر، والتي ساهمت في نمو المجتمع وتطوير

كثير من نواحيه، فكانت تلك الأوقاف سبباً في استزراع مناطق جديدة، وفي توجيه موارد المياه وتنميتها للمحتاجين لها من المسلمين وأهل الذمة، وفي التأسيس لمساجد جديدة، ومبان أخرى خاصة وعامة شهدت الروايات بنفعها للأمة ليس في عصر الراشدين فحسب بل وفي العصور اللاحقة بعد ذلك، حتى أن بعض تلك المساجد والقنوات التي أسست في عصر الراشدين لا تزال تؤدي دورها في المجتمعات الإسلامية إلى العصر الحاضر, وهذا البحث مجرد شواهد لعلها تدفعنا إلى مزيد من التنقيب والدراسة لذلك العصر المبارك الذي قاده صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكانوا رعاته ورعيته، وقد تحيرت كثيرا في توزيع هذه الشواهد التاريخية في البحث على أنواع الأوقاف والأحباس أو على الأهداف التي حبست من أجلها، وقد اجتهدت رأيي في التوزيع على القسمين معا، وأما مصادر البحث فهي كتب الحديث النبوي، والآثار، وكتب التاريخ العام والخاص، وكتب التراجم والرجال، والبلدانيات، وغيرها من المصادر التاريخية،ولا يفوتني التأكيد مرة أخرى على أهمية دراسة الشواهد والآثار التاريخية، من هذه الفترة لتستأنس بها الأمة في حاضر أيامها، ولتعرف قدر أولئك الرجال من أصحاب النبي ﷺ ومن أتباعهم، الذين كانوا رعاة أو رعايا لعصر الراشدين المبارك .

مفهوم الوقف

حث الإسلام على أعمال البر المختلفة وعلى رأس ذلك الصدقة بالمال وتوجيهها في سبيل الله بما يخدم الدين وأهله والناس أجمعين يقول تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾ (آل عمران: آية ٩٢) ، ويقول تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وءاتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا

عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾(البقرة آية: ١٧٧) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ﴾ (البقرة: آية ٢٥٤).

والآيات الحاثة على الصدقة في سبيل الله كثيرة يصعب حصرها، كما أن أوامر الرسول ﷺ بالصدقة والنفقة في سبيل الله كثيرة ومتعددة،منها ما رواه مسلم عن أبي أمامة قال. قال رسول الله ﷺ : « يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى » (١) .

ومنها قوله ﷺ : « ما نقص مال عبد من صدقة »(٢) .

وقد دلت الأحاديث على فضل الصدقة الجارية فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(٣).

ومن هنا فإن الوقف بمفهومه العام يجمع بين ما ورد في الآيات والأحاديث المختلفة من حبس لمال بعينه والتصدق بمنفعته مدة معينة أو على الإطلاق وهو عند بعضهم تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة(٤) وهو مأخوذ من قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب : « إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وتَصَدَّقْتَ بها »(٥).

التنمية

مشتقة من النماء وهو الزيادة يقال : نمى الشـــيء ينمــو بمعنـى زاد وكثر، والتنمية تأتي بمعنى السعي في الزيادة والإكثار حيـث يقـال أنميت الشيء جعلته نامياً وسعيت في ترتيبه وزيادته، كقولـهم نمـا المـال أي زاد وكثر، ويقصد بالتنمية أيضاً الرفع على وجه الإصلاح(٦).

وقد شاع في العصر الحاضر كثرة استخدام مصطلح التنمية، ويقصـد به الزيادة في السكان والترتيب والإدارة التنظيم، وسائر الأمور التـي تخـدم الإنسان، وكثرة استخدام هذه اللفظة في العصر الحاضر تغني عن مزيد مـن الشرح.

عصر الراشدين

يعد العصر النبوي بداية التأسيس لدولة الإسلام وإقامة المجتمع المسلم في بقعة من أرض الله، وكانت البداية الواقعية لهذا المجتمع وتأسـيس كيانـه المستقل من الهجرة النبوية وتكوين المجتمع المسلم في المدينة المنورة والتـي سبقتها عدة أحداث مهدت لها، ولذلك فإن المسلمين في عهد عمر -رضـي الله عنه- وهو في مجمله عهد استقرار اتخذوا الهجرة بداية للتأريخ الممـيز للمسلمين حيث قال عمر -رضي الله عنه- (ذاك يوم أعز الله فيه الإسلام).

فمنذ ذلك اليوم وكيان الدولة الإسلامية قائم يسوسه الرسول -صلـى الله عليه وسلم- .

كانت البداية بسيطة لا تتجاوز المدينة المنورة بل لا تكاد تسيطر عليـها جميعاً وأخذ نور الله يتم في المدينة حتى أصبحت بكاملـها تحـت سـيطرة الرسول ﷺ رغم وجود المنافقين، وأخذت دولة الإسلام تمتد خارج المدينـة تدريجياً بالجهاد والسلم حتى صارت معظم بلاد العرب خاضعة لرسـول الله ﷺ وخصوصاً بعد فتح مكة حيث دخل الناس في دين الله أفواجـاً(٧)، وجـاء

الحق : ﴿ قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كـان زهوقـا ﴾ الإسـراء آية:٨١ .

لقد كان عصر النبوة المبارك ودولته القائمة بقيادة الرسول ﷺ مقدمة لعصر الراشدين، كما أن الرسول ﷺ قرن بين العصرين فيما يفهم من قوله ﷺ الذي رواه العرباض بن سارية: « قام فينـا رسـول اللـه ﷺ ذات يـوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقيل يا رسـول الله وعظتنا موعظة مودع فاعهد إلينا بعهد فقال عليكم بتقوى اللـه والسـمع والطاعة وإن عبدا حبشيا وسترون من بعدي اختلافا شديدا فعليكـم بسـنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليـها بـالنواجذ وإيـاكم والأمـور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة »(٨).

وقد وضع ابن ماجه بابا في مسـنده سـماه « بـاب اتبـاع الخلفـاء الراشدين»(٩) .

ولذلك فإن عصر الراشدين يعد أميز العصور الإسلامية على الإطـلاق بعد عهد النبي ﷺ وقد أجمعت الأمة على ذلك عـبر العصـور المختلفـة، وبالتالي فإن أحداثه لها أهميتها الخاصة في التشريع والقياس والتاريخ .

ويبتدئ عصر الراشدين ببيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنـه بعـد وفاة رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشـرة للهجرة النبوية(١٠). وينتهي العصر باستشهاد أمير المؤمنين علـي بـن أبـي طالب -رضي الله عنه- في يوم الثالث والعشرين من رمضان سنة أربعين للهجرة النبوية(١١) .

وقد كانت القيادة في هذا العصر لأربعة من المبشرين بالجنة كلهم مـن أصحاب وأصهار رسول الله ﷺ .

وقد انشغل المسلمون في أول خلافة أبي بكر بالقضاء على المرتدين وإخماد الفتن التي أثاروها وإعادة الوحدة لبلاد العرب تحت راية الإسلام، كما كانت بداية الفتوح في خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- .

فكان لهذا العصر سماته المميزة، حيث خاض المسلمون جهادا قويا ضد المجاورين لبلاد العرب من المجوس في فارس والنصارى في بلاد الروم وخصوصا في الشام ومصر وكان جزء من هذا الصراع مع نصارى العرب في العراق والشام.

وقد نتج عن هذا الجهاد امتداد الإسلام إلى أماكن جديدة وتضاعف رقعة الأراضي المحكومة من قبل الراشدين وخصوصا في عهد عمر - رضي الله عنه- ومن جاء بعده، وتبع ذلك تعدد الشعوب واللغات، والاختلاط بحضارات ونظم كانت سائدة في العديد من الأقاليم التي تم ضمها للدولة الإسلامية، كما أن الراشدين اطلعوا على تلك النظم وعرفوا الأساليب المختلفة التي كانت سائدة فيها من دواوين وبريد ودور أموال وضرب للعملات وتنظيمات إدارية وعسكرية وغير ذلك مما يصعب حصره، فأفادوا مما رأوه لا يعارض جوهر الإسلام وقواعد العدل فيه، وبالتالي فإن هذا العصر تميز بالانفتاح على الحضارات القديمة السائدة في المناطق التي سيطر عليها المسلمون، ومع هذا الانفتاح فإن المسلمون بقوا على ثوابتهم، بل ونشروها في المجتمعات المفتوحة، ولم يجمدوا على ما يقبل التغيير والتحسين، فحسنوها إلى الأفضل، فنمت الدولة والمجتمع ، وتطورت أساليبهم لتستوعب النمو في رقعة الدولة والزيادة في الرعية ، فكانوا عامل نمو وانضباط لمجتمع وجهوه لتحقيق عبودية الناس لله والعدل بين الناس .

كما حدثت الفتنة الأخرى في آخره والتي أدت إلى استشهاد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ، وما تلى ذلك من أحداث امتدت طوال خلافة علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه-.

ومع كل هذا فإن الجيل الذي عاش عصر الراشدين في مجمله من أصحاب النبي ﷺ و من التابعين لهم بإحسان على وجه العموم، ولذلك فقد برزت فيهم أنواع البر والخير، التي امتدت إلى وقف الأموال على أعمال البر المختلفة سواء منها ما تم وقفه عن طريق بيت مال المسلمين أو ما تم وقفه عن طريق الأفراد.

الوقف قبل الإسلام

لقد امتدت الدولة الإسلامية في عصر الراشدين إلى أصقاع مختلفة من الأرض المجاورة لبلاد العرب، وكان عند تلك الأمم والشعوب أوجه من النفقة المالية والأحباس التي تخدم توجهاتهم وعقائدهم المختلفة، كما كان عند العرب في الجاهلية مثل ذلك، فقد كان العرب يوقفون بعض الأموال على أصنامهم(١٢) ، أو على أماكن معينة لمناسبات خاصة كالحج وغيره(١٣)، وكان منها ما هو مرتبط بوثنيتهم، وما هو مرتبط بعادات حميدة كإكرام الضيف وعابر السبيل وغير ذلك، أما النصارى فقد كانت لهم مؤسساتهم المالية التابعة للكنيسة ، والتي اشتهرت قبل الإسلام بقرون بضخامتها وكثرتها وامتدادها في كثير من البلدان التي سادت فيها النصرانية قبل الإسلام فعرفت في مصر والشام والعراق وغيرها، وأكبر مثال لها الكنائس والأديرة المختلفة بالإضافة لما يتبعها من أملاك كبرى اشتهرت في مختلف البلدان التي تدين بالنصرانية، وكان لتلك المؤسسات أثرها في تمويل الأعمال المرتبطة بالكنيسة ولا تزال كذلك إلى العصر الحاضر(١٤).

وكذلك الحال بالنسبة للمجوس في بلاد فارس فقد تنافس الملوك والعامة على تخصيص الأملاك المختلفة التي تدر الأموال على رجال المجوسية ومعابدها، وعلى طبقة الأشراف والدهاقين(١٥).

والملاحظ على المجوس والنصارى غلبة رجال الدين عندهم على مثل تلك الأموال والأحباس، واستفادتهم منها بالدرجة الأولى دون عامة الناس.

الوقف في العصر النبوي

لقد عرف الوقف عند المسلمين منذ زمن رسـول الله ﷺ وكـان ﷺ كثير الصدقات والأوقاف حتى أن عدداً من العلماء الذين تناولوا سـيرته ﷺ وضعوا عناوين خاصة في (ذكر صدقات النبي ﷺ)(١٦).

وكانت أول الأوقاف هي المساجد التي بناها رسـول الله ﷺ فـي المدينة وما جاورها بعد وصوله حيث كان أول عمل قام به رسـول الله ﷺ بعد وصوله المدينة المنورة هو بناء مسجد قباء والذي قال الله تعالى فيه: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُـومَ فِيـهِ فِيـهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ ١٠٨التوبة .

وبعد وصوله ﷺ إلى وسط المدينة اشترى من ماله ﷺ أرض غلاميـن يتيمين من الأنصار وبنى عليها مسجده (المسجد النبوي) الذي عدتـه الأمـة وقفاً من رسول الله ﷺ للمسلمين إلى يوم القيامة(١٧)،كما تحدث العلماء عـن أول صدقة جارية في الإسلام فذكروا وقف رسول الله ﷺ أمـوال مخـيريق لما قتل بأحد وأوصى إن أصبت فأموالي لرسول الله ﷺ فقبضها رسـول الله ﷺ وتصدق بها وهي عامة صدقات رسول الله ﷺ ، وهي سـبع حوائـط- بساتين منتجة للتمور وغيرها في المدينة(١٨).

وقد استمرت تلك البساتين في إنتاج التمور حتى عصر بني أمية حيث ذكر أن عمر بن عبد العزيز قد أكل من إنتاجها أثناء ولايته على المدينة(١٩).

ولما لاحظ رسول الله ﷺ تضييق اليهود على المسلمين في سوق بنـي قينقاع بالمدينة أدرك حاجة المسلمين لوجود سوق خاص بهم، حدد لـهم ﷺ سوقاً بالمدينة وقال: هذا سوقكم لا خراج عليكم فيه(٢٠).

ولذلك فإن رسول الله ﷺ يكون أول من أوقـف الأوقـاف للمسـلمين وسنها لهم، كما أن عدداً من الصحابة سار على سنة الرسول ﷺ فـي وقـف الأوقاف واشتهر اتفاقهم على ذلك(٢١).

وقد كان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- من أكثر الناس صدقة وأوقافا في سبيل الله في أيام رسول الله ﷺ ويمكن إجمال ذلك فيما أورده البخاري من حديث ثمامة بن حزن القشيري قال : « شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي قال فجيء بهما فكأنهما جملان أو كأنهما حماران قال فأشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب حتى أشرب من ماء البحر قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين قالوا اللهم نعم قال أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم» ... الحديث(٢٢).

وكان من بين هؤلاء الواقفين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كما روى البخاري في صحيحه :(عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر ابن الخطاب أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمر به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول قال فحدثت به ابن سيرين فقال غير متأثل مالا)(٢٣) .

ومن الثابت إن بداية وقف عمر كانت في زمن النبي ﷺ لكن يبدو أن كتابة صك الوقفية إنما كانت في آخر خلافة عمر مع وصيته(٢٤) ، كما أن ثمرة الوقف واستمراره كانت بعد وفاة الرسول ﷺ وفي زمن الراشدين ومن بعدهم وسنتحدث عنه بالتفصيل في موضعه بإذن الله .

وقد أثنى رسول الله ﷺ على وقف خالد بن الوليد -رضي الله عنه- لبعض أدوات الجهاد في سبيل الله فقد روى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:(أمر رسول اللهﷺ بالصدقة فقيل منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب فقال النبي ﷺ ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرا فأغناه الله ورسوله وأما خالد فإنكم تظلمون خالدا قد احتبس أدراعة وأعتدة في سبيل الله وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة ومثلها معها)(٢٥).

الوقف في عصر الراشدين

من المعروف في الأوقاف والأحباس أن هناك أوقافا عامة يتم تمويلها من بيت مال المسلمين أو يتم إصدار قرار من الخليفة أو من يفوضه لتحويل بعض الأراضي أو الممتلكات العامة لتصبح وقفا لمصالح المسلمين عامتهم، أو من يحددون من بينهم كالمجاهدين والمحتاجين وعابري السبيل أو غيرهم دون تمييز لأحد على آخر، ومن أهم واجبات الخلفاء ومن يعينونهم من الأمراء والقضاة والموظفين(النظر في أوقاف البر والقربات وصرفها فيما هي له من الجهات وعمارة القناطر والطرقات وتسهيل سبل الخيرات) (٢٦) ونتيجة للفتح وامتداد الدولة الإسلامية في أصقاع مختلفة فقد ثبت عمل الراشدين لاستحداث أوقاف مختلفة سواء ما ارتبط بتخطيط المدن ومنافعها، أو بناء المساجد أو حمى الحمى وغير ذلك من الإجراءات التي يمكن اعتبارها نوعا من الحبس أو الوقف لمصالح عامة المسلمين بل وغير المسلمين قد يدخلون في الانتفاع من بعض هذه الأمور.

كما أن عامة المسلمين الذين نمت أموالهم وزادت كانت لهم مساهماتهم المشهودة في أوقاف البر المختلفة في كل الأصقاع التي استظلت بظل الإسلام وعم فيها الأمن والسلام زمن خلفاء رسول الله ﷺ الراشدين .

أوقاف (المساجد) :

كانت الصلاة ولا تزال أهم أمور الدين، وقد أورد البخاري في صحيحه تحت باب إذا أوقف جماعة أرضا مشاعة فهو جائز، حديث أنس ابن مالك -رضي الله عنه- قال : أمر النبي ﷺ ببناء المسجد فقال : « يا بني النجار ثامنوني بحائطكم.قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله »(٢٧). وقد وعى أصحاب النبي ﷺ هذا الأمور وأدركوا أنها أساس الدين والدولة، يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر -رضي الله عنه-

باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا(٢٨).

ولذلك كان أمراء الرسول ﷺ يهتمون بها كما أن الخلفاء الراشدين جعلوها محور اهتمامهم ولذلك فقد كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يكتب لأمرائه على الأمصار(إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة)(٢٩).

ولاشك أن انتشار الإسلام في أماكن جديدة مختلفة تطلبت إنشاء المساجد والتي هي أوقاف عامة مرتبطة بالمصالح الدينية، ولست بحاجة إلى التذكير بمكانة المسجد الدينية والسياسية والعلمية والاجتماعية(٣٠) وبالتالي فإن إيقاف المساجد في عصر الراشدين بلغ ذروته.

وقد كانت المساجد مربوطة بالخلفاء والأمراء مباشرة فهم أئمة الجوامع الكبرى في الأمصار كما كانوا يتابعون بأنفسهم بقية المساجد الأخرى.

ومن هنا كان المسجد أينما كان الإسلام ولذلك فإننا نرى في كل المدن الإسلامية في مصر والشام والعراق في الوقت الحالي مساجد يرجع تاريخها إلى فترة الخلفاء الراشدين، ومن المؤكد أنه يصعب حصرها وتعدادها، فمسجد الكوفة المشهور والذي له أثر رئيسى في الحياة العلمية للمسلمين في العراق عبر العصور إنما أسس وأوقف زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي نص على بناء المسجد وما يرتبط به من منافع حين أصدر أمره لسعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- ببناء الكوفة(٣١).

كما أن جامع البصرة الأول أسس في زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-حينما وجه أمره للصحابي الجليل عتبة بن غزوان -رضي الله عنه- بتأسيس البصرة، وأكد عليه تأسيس مسجدها وجعله محور المدينة(٣٢).

كما أن عمرو بن العاص حينمـــا اختـط الفسـطاط بنـى مسـجدها العتيق(٣٣)، الذي عرف حتى الآن بمسجد عمرو بن العاص.

ولاشك أن الأمصار التي حددها عمر بن الخطاب -رضي الله عنـه- قواعد للإسلام في كل من فارس والعراق ومصر والشام(٣٤) وجد فـي كـل منها مجموعة من المساجد والجوامع لوجود الأمراء والقضاة والمعلمين فيـها ولدخول الكثير من أهلها في الإسلام(٣٥).

ولكن علىسبيل المثال فقد بني عدد كبير من المساجد يعد بالآلاف فـي منطقة الجزيرة بعد فتحها في خلافة عمر ودخول معظم أهلها فيالإسلام(٣٦).

وقد قدر أحد الباحثين المساجد التي تم بناؤها في بلاد العرب أيام عمـر ابن الخطاب -رضي الله عنه- بما يزيد على أربعة آلاف مسجد(٣٧).

وقد قام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بتوسعة للمسجد الحـرام حيث اشترى بعض الدور المجاورة له وأدخلها فيه(٣٨).

كما اشتهر عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- توسعته للمسـجد الحرام في مكة المكرمة بعد أن اشترى عددا من الدور المجاورة له وأدخلـها فيه سنة ست وعشرين للهجرة(٣٩).

كما زاد عثمان -رضي الله عنه- في السنة التاسعة والعشـرين فـي مسجد رسول الله ﷺ وجدد بناءه القديم وجعل أعمدته من الحجارة وسقفه مـن الساج(٤٠).

وقد قام علي -رضي الله عنه- بتوجيه أمرائه لبناء عدد كبـير مـن المساجد للمسلمين الجدد في مناطق مختلفة من الولايات الإسلامية(٤١).

وعلى وجه العموم فقد تعاون الخلفاء وولاتهم وعامة المسلمين في سـد حاجة المجتمع المسلم المتنامي من المساجد والجوامع في مختلـف المنـاطق التي دخلت تحت لواء الدولة الإسلامية(٤٢).

المنافع العامة :

لقد اهتم الخلفاء الراشدون بالمنافع العامة كالطرقات والأسواق والمراعي وغيرها مما اعتبر وقفا عاما للمسلمين، ويظهر ذلك جليا في محافظتهم الدائمة على ما هو قائم منها ، وفي استحداث ما يحتاجه المسلمون وخصوصا عند تأسيس المدن الجديدة في مناطق الفتح وتخطيطها، ويبدو ذلك واضحا أكثر في تخطيط الكوفة والبصرة والفسطاط.

فقد احتوت تلك المخططات في المدن الجديدة أو المعاد تنظيمها على دار للإمارة وأرض رحبة بجوار المسجد يمنع البناء بها بحيث تكون مناخا للمسلمين، بالإضافة إلى أسواق عامة تسد حاجة المسلمين وتكون وقفا مشاعا لهم، وقد كانت تلك الأسواق تتعرض للتحديث والزيادة والتغيير حسب الحاجة، فمن الثابت أنه عند تأسيس أي من الأمصار كان يؤسس معه سوق خاص به(٤٣).

وحين نمت البصرة وزاد سكانها قام عبدالله بن عامر بن كريز واليها من قبل عثمان بن عفان بشراء عدد من الدور وأدخلها في سوق البصرة(٤٤).

كما خططت شوارع المدن وأزقتها بطريقة محددة وعن طريق خبراء كلفوا بهذه المهمة ليضمن بقاؤها وتحقيقها للأهداف التي خصصت من أجلها وعدم الاعتداء عليها(٤٥).

كما اهتم الراشدون بإصلاح ما يرتبط بالطرق من جسور وخصوصا في مناطق الزراعة فكانوا يجددونها ويعتنون بها باستمرار(٤٦).

أما الطرق التي يسلكها المسافرون فقد حظيت بعناية خاصة، من تأمين للمياه على الطرق بل ذهب المؤرخون إلى ما هو أبعد من ذلك فذكروا أن عمر أمر باتخاذ دور للطعام من دقيق وغيره لعابري السبيل والمنقطعين(٤٧).

كما سعى الراشدون لتنمية الصدقات نفسها، فوضعوا الحمى لإبل الصدقة، فكانت الربذة[٤٨]، وضرية[٤٩]، مشهورة في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بكونها محمية لإبل الصدقة، كما حمى عمر -رضي الله عنه- مواضع أخرى مختلفة لإبل الصدقة، وخيول الجهاد، ومع هذا فقد كانت أوامره للمسؤولين عن حمى تلك المناطق (أن يدخل رب الصريمة[٥٠] والغنيمة وأن لا يمنع الفقراء منها ولا يظلم أحدا) أمّا نعم الأغنياء فلا تدخل الحمى[٥١].

وقد كان عمر -رضي الله عنه- يحرص على متابعة ما تحتاجه الرعية من ماء ومرعى ومحتطب ويكتب لبعض أمرائه بذلك[٥٢].

وهذا العمل تأسيا بأمر النبي ﷺ بأن لا يمنع الناس من الماء والكلا[٥٣]، وهذا يعني عدم حبسها لأشخاص بعينهم، كما كان من توجيهات عمر -رضي الله عنه- أن لا يمنع ابن السبيل الظل، فكان يقول:ابن السبيل أحق بالماء والظل فلا تحجروا على الناس الأرض)[٥٤].

كما أن المقابر نالت حظها من الحبس، وكانت أشهر المقابر في عصر الراشدين مقبرة البقيع في المدينة المنورة التي عدت وقفا من رسول الله ﷺ على موتى المسلمين[٥٥]، وقد كان في كل مصر من الأمصار الإسلامية في عصر الراشدين مقابر خاصة اشتهرت إما عند التأسيس أو عند سكن المسلمين بها.

المياه :

تعد المياه من الحاجات الضرورية للإنسان لا تقوم الحياة ولا الحضارة بدونها،

يقول تعالى: ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾٣٠ سورة الأنبياء .

وقد كان بنو هاشم يفخرون على العرب بقيامهم على تأمين الشرب من زمزم للحجاج والزوار في مكة(٥٦).

وقد نزلت الشريعة الإسلامية السمحاء لتضمن للناس حقهم المشترك في المياه، وقد فصلت التشريعات بدقة لحماية حقوق الجميع في المياه العامة(٥٧).

كما أن ملكية المياه الخاصة لها نظم وأحكام مختلفة وقد جاء الحث النبوي ليؤكد على فضل التصدق بالماء، وما يرتبط بذلك من حفر للآبار أو شرائها وإيقافها للشرب وغيره من المنافع(٥٨) وقد كانت الحاجة للمياه في عصر الراشدين قائمة مثل أي عصر آخر، وبذل الخلفاء من بيت المال ما ينمي مصادر المياه ويوجهها ويصلحها وخصوصا القنوات العامة في مصر والشام والعراق والمرتبطة بالأنهار المغذية للمزارعين، فاشتهروا بالبذل لإصلاحها، واعتبروها أوقافا عامة يستفيد منها المزارعون في مناطق أرض الخراج سواء كانوا من المسلمين أو من أهل الذمة.

فقد اشتهر عن عمرو بن العاص أثناء ولايته مصر من قبل عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- حرصه الشديد على متابعة إصلاح القنوات المائية في مصر فكانوا (لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء) (٥٩).

وقد قام أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- أثناء ولايته للبصرة بحفر نهر لأهلها بأمر من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فيسر لهم أمور الشرب والسقياء بعد أن كانوا يشتكون من ذلك(٦٠)..

و حفر أبو موسى آبارا على طريق الحاج البصري، وهي المعروفة حاليا بحفر الباطن(٦١) .

كما أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أمر سعد بن أبي وقاص أن يحفر نهرا لأهل الكوفة فنفذ ذلك عن طريق عدد كبير من العمال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين في الكوفة(٦٢).

كما قام سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- بحفر أنهار أخرى في نواحي مختلفة من العراق(٦٣).

وقد كثر حفر الآبار والقنوات في عهد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في مختلف مناطق الدولة الإسلامية سواء بأمر منه أو من أمرائه(٦٤).

ولعل الاهتمام بالمياه وتوفيرها كان أحد أهداف عبد الله بن عامر بن كريز أمير عثمان على البصرة الذي اهتم بتوفير المياه في ولاية البصرة وفي غيرها من الولايات فكان (لا يعالج أرضا إلا ظهر منها الماء)(٦٥) وقد قال: (لوتركت لخرجت المرأة في خداجتها على دابتها، ترد كل يوم على ملء وسوق حتى ترد مكة)(٦٦).

وبالفعل فقد نفذ عبد الله بن عامر بعض ما وعد به فحفر العديد من الأنهار في نواحي ولايته ، وكان -رضي الله عنه- يغار من حفر غيره للأنهار والآبار ويود أن يكون هو السباق لذلك دون غيره(٦٧).

وقد جهز العديد من الآبار على طريق الحاج العراقي(٦٨)، ومن أشهر الأماكن التي احتفرها وجهزها لنفسه وللعابرين(النباج) وتعرف حاليا بمنطقة الأسياح في القصيم(٦٩).

والقريتين، وهي قرب عنيزة في القصيم حاليا(٧٠).

وقد حفرت أم عبدالله بن عامر نهرا في وسط البصرة لسقيا الناس عرف باسمها (نهر أم عبدالله) (٧١).

ويبدو أنه استمر في تأمين المياه وحفر الآبار على طريق الحاج العراقي حتى قباء في المدينة المنورة خلال فترة ولايته البصرة لعثمان بن عفان -رضي الله عنه- (٧٢).

وكتب علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- إلى أحد أمرائه ليحفر نهرا لأهل الذمة(أما بعد فإن رجالا من أهل الذمة من عملك ذكروا نهرا في

أرضهم قد عفا وادفن، وفيه عمارة على المسلمين ، فانظر أنت وهم ثم اعمر وأصلح النهر فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام)(٧٣).

كما أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أمر بحفر نهر لأهل الذمة(٧٤).

ومع العمل على توفير الماء فقد جرى إقامة بعض السدود لمنع ضرر الماء كما عمل عثمان مع وادي مهزور في المدينة حيث أقام ردما ليمنع وصول سيله للمسجد النبوي(٧٥).

ولم يكن تأمين الماء قاصرا على التمويل من بيت المال فقط، بل كان المسلمون يتنافسون على ذلك من مالهم الخاص مهما بلغت التكاليف(٧٦).

الأوقاف الزراعية :

منذ أيام رسول الله ﷺ والمسلمون يقتدون به في حبسه لأموال مخيريق التي جعلها لرسول الله ﷺ وهي سبعة حوائط - مزارع - وبالتالي فهم يحرصون على إيقاف المزارع والحوائط نظرا لما تنتجه من الثمار المختلفة وعلى رأسها التمر وهو معظم قوت أهل المدينة .

كما حبس أبو بكر -رضي الله عنه- أرضا له فيها مزرعة بالقرب من المدينة على بيت مال المسلمين عند وفاته(٧٧).

وقد تغيرت الحال بعد امتداد الفتوح الإسلامية خارج بلاد العرب ومع ذلك فإن مبدأ حبس المزارع ووقفها في سبيل الله انتقل مع المسلمين للأماكن الجديدة بل وانتقل لمرحلة جديدة وخصوصا بعد استقرار الأمور في خلافة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حيث سيطر المسلمون على الكثير من الأراضي عنوة، وخشي عمر -رضي الله عنه- من تقسيمها على الفاتحين وبالتالي انشغالهم بالزراعة عن الجهاد ولذلك فقد توجه لحبس تلك الأراضي

وقال (رأيت أن أحبس الأراضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية فيؤدونها فتكون فيئا للمسلمين: المقاتلة والذرية ومن يأتي بعدهم.أرأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام-كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لابد لها من أن تشحن بالجيوش ، وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأراضون) (٧٨).

لقد كان هذا القرار من عمر -رضي الله عنه- إعلانا بحبس ووقف تلك الأراضي على ديوان المسلمين وبيت مالهم سواء منها ديوان العطاء أو ديوان الجند، فكانت مصروفات هذين الديوانين تعتمد على الخراج المفروض على الأراضي الزراعية المفتوحة عنوة، وهذا تطور جديد استحدثه عمر ووافقه عليه بقية الصحابة بعد مناقشة طويلة فيما بينهم، تمكن عمر من خلالها إقناع بقية الصحابة - رضي الله عنهم - برأيه الخاص بحبس تلك الأراضي لمصالح المسلمين العامة(٧٩) .

وقد استمر بقية الخلفاء الراشدين على هذا الأمر كما سار عليه بعض خلفاء بني أمية، وقد امتدح الفقهاء هذا الاجتهاد لعمر -رضي الله عنه- يقول أبو يوسف الذي ألف كتابا في هذا الموضوع (والذي رأى عمر - رضي الله عنه- من الامتناع عن قسمة الأراضين بين من افتتحها عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقا من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم لأن هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرتزقة والله أعلم بالخير حيث كان)(٨٠).

وكانت تلك الأراضي المحبوسة مقيدة بدقة في سجلات خاصة وضعت أيام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وحفظت قرابة خمسين

سنة من بعده حتى احترقت زمن الحجاج بن يوسف فسطى عليها الناس حيث أخذ كل قوم مما يليهم(٨١).

كما حرص معظم الصحابة -رضي الله عنهم- على حبس المزارع والتصدق بها خصوصا بعدما زادت أموالهم وكثرت ثرواتهم نتيجة الفتوح وما رافقها من غنائم فصاروا يشترون المزارع ويوقفونها في سبيل الله، كما أن بعضهم أخذ يعالج بعض الأراضي البور التي لم تستزرع بعد(٨٢). ويستخرج منها الماء ويستزرعها ثم يوقفها صدقة في سبيل الله.

وكان من أبرز هؤلاء علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الذي سعى لاستقطاع بعض الأراضي واستصلاحها في نواحي ينبع ابتداء من أيام رسول الله ﷺ وحتى آخر أيامه، وقد عمل بها بنفسه شخصيا في أيام عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- مع بعض مواليه وأصحابه، كما قام خلال ذلك بإحياء الكثير من الأراضي بالزراعة وأقام بها عددا من مواليه، وخصوصا في غربي الحجاز قرب ينبع وفي وادي القرى وفي غيرها، كما عالج أرضا عرفت بعين (أبي نيزر) نسبة لأحد مواليه(٨٣)،حتى استخرج منها الماء فقد (أخذ المعول وانحدر في العين وجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا وقال أشهد الله أنها صدقة علي بدواة وصحيفة ... فكتب:

(هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا تورثا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما)(٨٤).

كما كان له -رضي الله عنه- صدقات متفرقة في المدينة من آبـــار ومزارع(٨٥).

وقد تصدق العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ بأملاك له فـــي ينبـع وجعل في السقاية لزمزم(٨٦).

كما أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر -رضي الله عنـــهما- تصدقـــت بمال لها في الغابة(٨٧) بالمدينة وجعلت الوصي عليها عبدالله بن عمر(٨٨) .

وتصدق عمرو بن العـــاص بمـــزارع كثـــيرة فـــي منطقـــة الوهـــط بالطائف(٨٩)، ولعل بداية عمله بها وصدقته كانت في عصر الراشـــدين، وإن كانت شهرتها في أيام بني أمية أكثر.

الجهاد في سبيل الله :

لقد حث رسول الله ﷺ على حبس المال والدواب والسلاح للجهاد في سبيل الله فأثنى على خالد بن الوليد فقال: « أما خالد فقـــد احتبـــس أدراعـــه وأعتده في سبيل الله »(٩٠).

كما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبـــي صلـــى الله عليه وسلم: « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعـــده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة كان »(٩١). ولذلك كـــانت هذه التوجيهات النبوية محل عناية المسلمين وخصوصا في عصر الراشـــدين وهو أهم عصور الجهاد في سبيل الله وأكثرها توسعا ففي تلك الأيام المباركـــة حدثت أقوى المعارك والملاحم في تاريخ الإسلام، وفتحـــت أغلـــى البلـــدان وقضي على قوى الطاغوت في فارس والعراق ومصر والشام، وكانت الدولة الإسلامية تحرك الجهاد وتدعمه بما يمكنها من مال، وما ديوان الجند الـــذي أسس في عهد عمر بن الخطاب إلا جزء من هذا الدعم، وقـــد كـــان عمـــر صريحا حينما حبس الأراضي المفتوحة في جعلها مما يســـاعد فـــي تجـــهيز

الجيوش ويبدو ذلك واضحا في قوله: (أرأيتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام-كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لابد لها من أن تشحن بالجيوش)(٩٢).

وقد كان عمر يجهز الكثير من الغزاة في سبيل الله بأمتعة خاصة للجهاد في سبيل الله تكون محبوسة لهذا الأمر بعينه(٩٣).

وقد كان كثير من الصحابة يجاهد بنفسه وماله وسلاحه، كما أن كثيرا منهم يوصون بسلاحهم للمجاهدين في سبيل الله(٩٤).

وقد اشتهر عن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- أنه أوصى بألف فرس في سبيل الله(٩٥).

كما أن خالد بن الوليد -رضي الله عنه- أوصى بحضرة أبي الدرداء -الصحابي الجليل -رضي الله عنه- فقال: (إن خيلي التي حبست في الثغر وسلاحي هو على ما جعلته عدة في سبيل الله قوة يغزى عليها، وتعلف من مالي، وداري بالمدينة صدقة حبس لاتباع، ولا تورث)(٩٦).

وقد كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقطع أراضي خاصة في الشام والعراق تعطى لأناس بعينهم لتنمية الخيل واستنتاجها، فإن خرجوا عن الهدف منها أعادها مرة أخرى أرض خراج وأملاكا عامة(٩٧)، وبالتالي فإن هذا يعني أنها وإن أقطعت لشخص معين فهي محبوسة أصلا لاستنتاج الخيل، مما يخدم الجهاد، كما حمى عمر البقيع لخيل المسلمين، فقيل له وأبل الصدقة. فقال: لا(٩٨).

وقد أوقف عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من بيت المال أربعة آلاف فرس في كل من الكوفة والبصرة ومصر للجهاد في سبيل الله(٩٩).

وقد حرص عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-على بناء عدد من الحصون للمسلمين في مصر بعد فتحها تكون ملجآ لهم من أعدائهم عند الحاجة(١٠٠).

كما كان عثمان يقوم بمثل ذلك في مناطق الحدود(١٠١).

أوقاف مختلفة :

أن متابعة الأوقاف وتصنيفها يجعل الباحث في حيرة من أمره، لكن وجود الشواهد التاريخية تستوقفه، ليقوم بالإفادة منها في بحثه، وقد وردت العديد من الشواهد التي يمكن اعتبارها من العقارات لكنها من ناحية المستفيدين يمكن تصنيفها للذرية أو الأرحام، فقد أوقف كثير من الصحابة في زمن الراشدين بعض الدور والعقارات لأنفسهم وللمحتاجين من ذراريهم وأقاربهم(١٠٢)، سواء في البلاد التي كانوا يقيمون فيها أم في البلاد التي يحتاجون لزيارتها، وقد وردت بعض الأحاديث الدالة على مثل هذه الأوقاف من ذلك ما رواه البخاري في باب إذا وقف أرضا أو بئرا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين وأوقف أنس دارا فكان إذا قدمها نزلها وتصدق الزبير بدوره وقال للمردودة من بناته أن تسكن غير مضرة ولا مضر بها فإن استغنت بزوج فليس لها حق وجعل ابن عمر نصيبه من دار عمر سكنى لذوي الحاجة من آل عبد الله(١٠٣).

وقد كانت دار الزبير ودور أخرى لغيره من آل الزبير صدقات أوقفوها في المدينة المنورة على ذوي الحاجة من أهلهم(١٠٤).

كما أوقف سعد بن أبي وقاص دارا له في المدينة (حبس لاتباع ولا توهب ولا تورث، وأن للمردودة أن تسكن غير مضرة ولا مضر بها، حتى تستغني)(١٠٥).

كما تصدقت أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنه- بدار لها في المدينة وقفا على أبنائها من الزبير -رضي الله عنهم-(١٠٦).

كما حبس خالد بن الوليد -رضي الله عنه- داره التي في المدينة لا تباع ولا توهب، فكانت أمه تقيم فيها بعد وفاته -رضي الله عنه- في خلافة عمر -رضي الله عنهم-(١٠٧).

والأمثلة على حبس الدور والعقارات كثيرة يصعب حصرها،وكانت في الغالب مما حبس لمصالح الذرية،وخصوصا المحتاجين من النساء والصغار.

الخاتمة

لقد كان عصر الراشدين قادته أفاضل الصحابة ورعيته من الصحابة أومن قارب سنهم من التابعين في الغالب، وقد امتثل أصحاب رسول الله ﷺ ومن عاش زمنهم توجيهاته الشريفة بالصدقة ونفع الناس، فسعوا بأنفسهم ومن أموالهم الخاصة بحبس الأوقاف والصدقات على مختلف حاجات المسلمين العامة والخاصة، وقد كان للأوقاف الخاصة دورها في تنمية المياه والزراعة والصناعة، والأموال العامة، وسد حاجات الفقراء والمساكين، والمجاهدين وعابري السبيل، سواء كانوا من الذرية أو غيرهم، ومن الملاحظ أن أوقاف الصحابة في الغالب يستفيد منها عامة الناس وليست محصورة في الذرية، كما ساد هذا في العصور المتأخرة، وبالتالي فقد كان لها أثرها المميز في سد حاجات المجتمع النامي والمتطور بكافه أشكاله في تلك الفترة.

كما أن من الملاحظ أن الدولة الإسلامية في تلك الفترة ساهمت في نمو المجتمع في التأسيس و المحافظة لما يعتبر شرعا وعرفا أوقافا عامة وإن لم يسجل فيها وثائق أو وصايا تخصها كالمساجد والأسواق والمراعي وموارد المياه، كما أن حبس الأراضي المفتوحة عنوة في خلافة عمر ووضع الخراج عليها أوجد أكبر وقف عام يدعم بيت مال المسلمين لمصروفاته على الجهاد والعطاء وغير ذلك من مصارف بيت المال لمصالح المسلمين العامة، كما اهتم الراشدون بتأمين المياه وإصلاح ما يرتبط به من قنوات أو جسور أو آبار سواء بين المسلمين أو بين أهل الذمة ممن هم تحت حكم المسلمين، والذين في عمار بلادهم عمار للمسلمين ولبيت مالهم ولما هو تحت حكمهم واعتبروها أحباسا عامة، يلزم تنميتها والمحافظة عليها ولذلك فقد أنفق الخلفاء الراشدون بسخاء على موارد المياه وتأمينها، كما حرص عثمان - رضي الله عنه- على تأمين المياه في الطرق البرية في بلاد العرب، حتى

أن أميره على البصرة عمر طريق الحاج من العراق إلى الحجـــاز بمـــوارد المياه التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم، كما ساهمت الدولة في سد حاجـــات المجاهدين عن طريق الموارد العامة من الأوقاف والأحباس التي تدر علــــى بيت المال ومن موارد بيت المال المختلفة، ولذلـــك يمكـــن اعتبـــار الدولـــة الإسلامية أكبر الواقفين على سبيل الخير ومنه الجهاد وأبوابه المختلفة.

وقد سعى الخلفاء الراشدون لحفظ كثـــير مـــن الأمـــوال والأراضـــي الخراجية وعدم تقسيمها لضمان حاجة الأجيال القادمة من أبناء المسلمين.

كما أن الصحابة -رضي الله عنهم- أوقفوا الأوقاف في ســـبيل الله من أموالهم الخاصة في مختلف الأقاليم الإسلامية، وقد ساعدهم على ذلك نمو أموالهم بعد الفتوح وكثرة مواليهم وأتباعهم، وقد قام بعضهم بتنشيط الزراعـــة في بلاد العرب وبتنمية الخيل والأنعام لأجل الصدقـــة والوقـــف، والشـــواهد كثيرة يصعب حصرها في هذه العجالة لكنني أدعو لإعادة قراءة تاريخ هـــذه الفترة المباركة في إنجازاتها البعيدة عن التعقيدات في ترتيبها، البسيطة فـــي تطبيقاتها، المحببة إلى النفس دائما وأبدا لتكون نبراســـا للمســـلمين عامتـــهم وخاصتهم، ولنستن بسنة الراشدين -رضي الله عنهم- في كل أحوالهم كمـــا أمرنا سيد ولد آدم عليه السلام نبينا محمد ﷺ .

الملاحق

وقفية عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كما روى البخاري

« عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال يا رسول الله إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمر به قال إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها قال فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول قال فحدثت به ابن سيرين فقال غير متأثل مالا)(١٠٨).

وقفية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

« هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا تورثا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما »(١٠٩).

من وصية خالد بن الوليد -رضي الله عنه-

(إن خيلي التي حبست في الثغر وسلاحي هو على ما جعلته عدة في سبيل الله قوة يغزى عليها، وتعلف من مالي، وداري بالمدينة صدقة حبس لاتباع، ولا تورث)(١١٠).

حبس سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- لدار في المدينة

«هي حبس لاتباع ولا توهب ولا تورث، وأن للمردودة أن تسكن غير مضرة ولا مضر بها، حتى تستغني »(١١١) .

الهوامش

(١) مسلم، صحيحه، كتاب الزكاة(باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى ج٣/٩٤

(٢) الترمذي، سننه، كتاب الزهد عن رسول الله، ج٤/٥٦٢

(٣) مسلم، صحيحه، كتاب الوصية ج٥/٧٣

(٤) النسائي، السنن، ج٦/٢٢٩، ابن قدامة، المغني ج٥/ ٥٩٥ ، وللتعريف اللغوي للوقف انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٩/٣٥٩، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج٣/٢٠٥ الزبيدي، تاج العروس، ج٦/ ٢٦٩

(٥) من رواية البخاري، صحيحه، كتاب الشروط (باب الشروط في الوقف)

(٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٥/ ٣٤١ الزبيدي، تاج العروس، ج١٠/٣٧٧

(٧) انظر البخاري (فتح الباري)ج١٦/١٣٤.

(٨) ابن ماجه سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ج١/١٧ ورواه الإمام أحمد في مسند الشاميين، باب حديث العرباض بن سارية.

(٩) ابن ماجه سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين

(١٠) خليفة بن خياط، تاريخه، ص٩٤

(١١) خليفة بن خياط، تاريخه ص١٩٨

(١٢) انظر: ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص٣٢٧ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦/ ١٦٣، ٢٦٤، محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج٢/ ٢٠٣

(١٣) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله ج١/ ٧٨، ٩٩ ، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٦/٣٥١

(١٤) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ٣٣٧

(١٥) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية ص٣٠،٣٦

(١٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينــة،ج١٧٣/١، وانظــر: ابــن ســعد، الطبقــات الكبرى،ج٣١٤/١

(١٧) انظر:البخــاري، صحيحــه، ج١١٥/١، ج١٩٦/٣ ، ابــن هشــام السـيرة النبوية،ج ٤٩٧/٢

(١٨) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١٧٥/١، البلاذري، فتوح البلــدان، ص٣١ ، السهيلي، الروض الأنف، ج١٨٠/٣

(١٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥٠٢/١؟

(٢٠) البلاذري فتوح البلدان ،٢٨، عمر بن شــبة، تــاريخ المدينــة، ج١/ ٣٠٤ ، السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢/ ٧٨٤ ، عبدالله بن إدريس، مجتمع المدينة فــي عهد الرسول ﷺ ٢٠٩

(٢١) ابن قدامة، المغني، ج٥٩٨/٥ ، انظر : عمر بن شبة، تاريخ المدينة، (ذكــر صدقات أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وســـلم- مــن المــهاجرين وغيرهم ج٢١٨/١.

(٢٢) الترمذي، سننه، باب المناقب عن رسول الله (في مناقب عثمان بــن عفــان) ج٢٠٢/٤ وانظر: البخاري، صحيحه (باب في الشرب) ج١٨٥/٣

(٢٣) البخاري، صحيحه، كتاب الشروط(باب الشروط في الوقف)

(٢٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣٥٧/٣

(٢٥) رواه مسلم، كتاب الزكاة(باب في تقديم الزكاة) ج٦٨/٣

(٢٦) أبو الحسن السهروردي، تحرير الأحكام في السياسة، ورقة ٩

(٢٧) البخاري، صحيحه، ج١٩٦/٣ ، ابن ماجه، سننه، ج١/ ٢٤٥

(٢٨) ابن خلدون، المقدمة، ص٢١٩

(٢٩) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٢٣ ، ابن القيم، الطرق الحكمية، ص٢٤٠

(٣٠) انظر: النسائي، سننه، (باب وقف المساجد) ج٢٣٣/٦ ، ابن ماجه، ســننه، كتاب المساجد والجماعات، ج٢٤٣/١، صبحي الصالح ، النظم الإســلامية، ص٣١٠

(٣١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٦ ، الطبري، تاريخه، ح١٩٢/٤ ، ابن الأثير، الكامل، ج٢٥٩/٢ ، محمد حسن الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص ٢٢ ، طاهر مظفر العميد، تأسيس مدينة الكوفة ص١١٢ ، محمد المعتصم، المدينة الإسلامية وخصائصها ص٢٤٠

(٣٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢٩ ، البلاذري، فتوح البلدان ص٣٤١ ، الطبري، تاريخه، ج٤٨/٤ ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٤/١، ٣٠٥ ، صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص٣٦

(٣٣) المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢٨٦/١

(٣٤) انظر: ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب ص٩١

(٣٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤٤/٢

(٣٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٢

(٣٧) مولوي حسيني، الإدارة العربية في عز العرب، ص١٠٦.

(٣٨) الفاكهي، أخبار مكة، ج٢/ ١٥٩

(٣٩) الأزرقي، أخبار مكة، ج٦٨/٢ ، خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٥٩، الفاكهي، أخبار مكة، ج١٥٧/٢ ، ابن الأثير، الكامل ج٨٧/٣ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٥١/٧

(٤٠) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٦٣، الطبري، تاريخه، ج٥٦/٥ ، الماوردي، الأحكام السلطانية ص١٨٢

(٤١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٢٤

(٤٢) انظر: عبد العزيز العُمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ج٦٩/٢

(٤٣) البلاذري، فتوح البلدان ص٣٤١

(٤٤) المحمادي، ولاية عبدالله بن عامر على البصرة ، مجلة المؤرخ العربي، عدد٢١ص١٣٢

(٤٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٢٩ ، البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٤١ ، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص٩٨ ، الطبري، تاريخه، ح١٩٢/٤ ، ابن الأثير، الكامل، ج٢٥٩/٢ ، المقريزي، الخطط، ح١٥٦/١، النويري، نهاية الأرب، ج٣٤١/١٩ ، محمد عبدالله عنان، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ص١٣

(٤٦) انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها،ص١٥١ ، جوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٢٦٤

(٤٧) عبد الملك بن حبيب، تاريخ عبد الملك بن حبيب، ورقة ١٠٦

(٤٨) الربذة: بفتح أوله وثانيه على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة قريبة من ذات عرق في الطريق إلى المدينة من فيد(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢٤/٣)

(٤٩) ضرية: بكسر الضاد والراء، من أهم المحطات على طريق الحج البصري وهي تقع غربي القصيم جنوب طريق المدينة .(محمد العبودي، معجم القصيم، ج١٤٠٦/٤)

(٥٠) الصريمة: القطعة الصغيرة من الغنم أو الإبل (مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، ص ٥١٤)

(٥١) ابن زنجويه، الأموال، ج٢/ ٦٦٧

(٥٢) البلاذري، فتوح البلدان ٣٤١

(٥٣) ابن زنجويه، الأموال، ح٦٥٩/٢.

(٥٤) ابن زنجويه، الأموال، ج٢/ ٦٦٦

(٥٥) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج٩٧/١-١٣٣ ، عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، ص١٦٥

(٥٦) انظر: الفاكهي، أخبار مكة، ج٦٣/٢

(٥٧) انظر: البخاري: صحيحه، (كتاب المساقاة) ج٣/٧٤

(٥٨) انظر: البخاري، صحيحه، (باب الشرب) ج٣/ ٧٤، (باب فضل سقي الماء، ج٣/٧٧

(٥٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص١٥١ ، غوستاف لوبون، حضارة العرب ص٢٤٦.

(٦٠) البلاذري، فتوح البلدان ص٣٥١-٣٥٢ ، محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٥٢٢

(٦١) العبودي، معجم بلاد القصيم، ج١/٣٢٥

(٦٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٣

(٦٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٢

(٦٤) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٦٥، ١٦٦

(٦٥) ابن العربي، العواصم من القواصم، ص٨٤

(٦٦) المحمادي، ولاية عبدالله بن عامر على البصرة، المؤرخ العربي عدد٢١، ص١٣٦

(٦٧) البلاذري، فتوح البلدان ص٣٥٢

(٦٨) الزبيري، نسب قريش، ص٤٨

(٦٩) محمد ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ج١/٣٢٢

(٧٠) العبودي، معجم القصيم، ج١/ ٣٢٦

(٧١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٦٦ ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/٣١٧

(٧٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٦٦ ، المحمادي، ولاية عبد الله بن عامر على البصرة، المؤرخ العربي، عدد ١٢ ص١٣٧

(٧٣) اليعقوبي، تاريخه، ص٢٠٣

(٧٤) المحمادي، ولاية عبدالله بن عامر، ص١٣٧

(٧٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/١٦٩

(٧٦) انظر: البلاذري، فتوح البلدان ص٤٨٢،٤٦٤ ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥/٣٢٠

(٧٧) النويري، نهاية الأرب، ج١٩/١٣٢

(٧٨) أبو يوسف، الخراج، ص٢٧ ، ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب ص٩٢

(٧٩) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢١٥ ، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص١٥١ ، خليفة بن خياط، تاريخه، ص١٤٤ ، القاسم بن سلام، الأموال،ص٨١، ٩٧، ١٠١ ، رنجويه، الأموال، ج١/٢٠٩ ، الماوردي، الأحكام السلطانية، ١٤٤ ، ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ١/١٠٧ ، المقريزي، الخطط المقريزية، ج١/١٦٦

(٨٠) أبو يوسف، الخراج، ص٢٩

(٨١) البلاذري، فتوح البلدان ص٢٧٦

(٨٢) انظر: ابن زنجويه، ج٢/٦١٣

(٨٣) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج١/٢٢١

(٨٤) البكري، معجم ما استعجم، ح٢/٦٥٨

(٨٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٢٢٣

(٨٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٢١٨

(٨٧) الغابة: أرض كثيفة الأشجار بين وسط المدينة وجبل أحد.(البلادي، معجم الأماكن الواردة في السيرة النبوية ص٢٢٣).

(٨٨) ابن حجر، الإصابة، ترجمة حفصة، ج٤/ ٢٧٣ ، الصالحي الشامي، أزواج النبي ﷺ ص١٤٤

(٨٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان ج٥/٢٨٦

(٩٠) البخاري، باب العرض في الزكاة، ج٢/١٢٢

(٩١) البخاري، صحيحه، باب من احتبس فرسا في سبيل الله، ج٣/٢١٦

(٩٢) أبو يوسف، الخراج، ص٢٧

(٩٣) انظر: الإمام مالك، الموطأ(كتاب الجهاد، باب العمل فيمن أعطي شيئاً في سبيل الله ص٣٦١

(٩٤) انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج٤/ ٢٨٢

(٩٥) الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١/٩٠

(٩٦) ابن العديم، بغية الطلب، ج٧/٣١٦٥، وانظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٦ ورقة ٥٢٦

(٩٧) انظر: ابن زنجويه، الأموال، ج٢/٦٢٤، ٦٢٥،٦٣٥

(٩٨) ابن زنجويه، الأموال، ج٢/٢٧٠

(٩٩) الطبري، تاريخه، ج٤/١٩٦

(١٠٠) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص١٢٨

(١٠١) البلاذري، فتوح البلدان، ص١٣٤

(١٠٢) وقد أجاز العلماء شروط الواقفين ما لم يكن فيها إجحاف أو مخالفة لأمر شرعي(انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين ج٣/١٩٧)

(١٠٣) البخاري، صحيحه، كتاب الوصايا، ج٣/ ١٩٧

(١٠٤) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٢٢٩

(١٠٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٢٣٧

(١٠٦) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج١/٢٤٣

(١٠٧) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج١/٢٤٥، ابن العديم، بغية الطلب، ج٧/٣١٦٥

(١٠٨) البخاري، صحيحه، كتاب الشروط(باب الشروط في الوقف)

(١٠٩) البكري، معجم ما استعجم، ح٢/٦٥٨

(١١٠) ابن العديم، بغية الطلب، ج٧/٣١٦٥

(١١١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج١/٢٣٧

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت،دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

ابن إدريس : عبد الله بن عبد العزيز.

- مجتمع المدينة في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ.

الأزدي: محمد بن عبد الله (ت٢٣١هـ).

- فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٠م.

الألوسي: محمود شكري.

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري، ط٣ القاهرة، ١٣٤٢هـ.

البخاري:أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤-٢٥٦هـ).

- صحيح البخاري، دار إشبيلياء، الرياض، ١٤١٨هـ.

البلادي: عاتق غيث.

- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١ دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ.

البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧١هـ).

- فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ.

- أنساب الأشراف، ج١ تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات العربي ودار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٧٩هـ).

- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (ب.ت).

ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد السلام(ت٧٢٨هـ).

- السياسة الشرعية في إصلاح الرعي والرعية، ط٤، دار المعرفة بيروت، ١٩٦٩م.

جمعة: أحمد خليل.

- نساء أهل البيت،ط٢، دمشق،دار اليمامة، ١٩٩٦م.

ابن حبيب : أبو مروان عبد الملك السلمي(ت٢٢٨هـ).

- تاريخ عبد الملك بن حبيب، مخطوط مصور على ميكروفيلم، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت-ألمانيا الغربية، رقم ٩٦٥.

ابن حبيب : محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ).

- كتاب المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق، ط١ عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ.

ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢).

-الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨هـ.

حسيني: مولوي س.أ-ق.

- الإدارة العربية، ترجمة، إبراهيم العدوي، مراجعة عبدالعزيز عبدالحق، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).

ابن حنبل:الامام أبي عبدالله أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ).

- المسند، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ.

الحجيلي: عبدالله بن محمد

- الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام (دراسة فقهية تاريخية وثائقية) بحث مقدم لندوة (المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية) المدينة المنورة، محرم ١٤٢٠هـ.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ).

- المقدمة، دار العلم للملايين، بيروت ١٣٩١هـ.

خليفة بن خياط: بن أبي هبيرة الليثي العصفري (١٦٠-٢٤٠هـ).

- التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العُمري، ط٢، دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٧هـ.

الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٨٤٧هـ).

- سير أعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ.

الزبيدي: محب الدين محمد مرتضى الحسيني.

- تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

الزبيدي: محمد حسن

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧م .

الزبيري:أبو عبد الله المصعب بن عبدالله بن المصعب(١٥٦-٢٣٦هـ).

- نسب قريش ط٣،تحقيق ليفي بروفنيسال، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م.

ابن زنجوية: حميد

- كتاب الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ١٤٠٦هـ.

ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي، مولاهم -كاتب الواقدي- (ت٢٣٠هـ).

- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (ب.ت).

ابن سيد الناس: أبو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت٦٧١هـ)

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ .

السمهودي: نور الدين علي بن أحمد، (ت٩١١هـ).

- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٣٩٨هـ.

السهروردي: أبو الحسن محمد البغدادي.

- تحرير الأحكام في السياسة، مخطوط في مكتبة السليمانية بإسطنبول، تحت رقم ٢٨٥٢

السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله.

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تعليق طه عبد الرؤف سعد، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩٨هـ.

ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت٢٦٤هـ).

- تاريخ المدينة ط١، تحقيق محمود شلتوت، نشر السيد حبيب، المدينة المنورة ١٣٩٣هـ.

الصالحي الشامي: محمد بن يوسف (ت٩٤٢).

- سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد ج١ تحقيق مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- ، تحقيق وتخريج محمد نظام الدين الفتيح، دمشق دار ابن كثير، ١٤١٣هـ .

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ).

- تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، بيروت (ب.ت).
- جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٢هـ.

عبد الغني: محمد الياس .

- بيوت الصحابة حول المسجد النبوي الشريف، ط٢، مركز طيبة للطباعة، المدينة ١٤٠٧هـ.

ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة.

- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر،بيروت ١٤٠٨هـ

ابن العربي: القاضي أبو بكر(ت٥٤٣هـ).

- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩-٥٧١هـ).

- تاريخ دمشق، نسخة مصورة من المخطوطات الأصلية، مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٤٠٧هـ.
- تاريخ دمشق، تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي، ط١، دمشق ١٩٨٢

علي: جواد

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملايين، بـــيروت، ١٩٧٨.

العُمري: عبدالعزيز بن إبراهيم.

- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، بريده، ١٤٠٩هـ.

الفاكهي: أبو عبد الله أحمد بن إسحاق (٢٧٩هـ تقريباً).

- أخبار مكة، دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثـــة، مكة المكرمة.

ابن قدامة المقدسي: عبد الله بن أحمد

- المغني، عالم الكتب، بيروت، د. ت

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ).

- البداية والنهاية، ط٣، مكتبة المعارف بيروت ١٩٧٨م.

النسائي:أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (٢١٤-٣٠٣هـ).

- سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ب.ت).

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٦٧٧-٧٣٣هـ).

- نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب الوطنية، القاهرة (ب.ت).

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت٢١٣هـ).

- السيرة النبوية:تعليق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة شقرون،القاهرة (د.ت).

مالك بن أنس: الامام (ت١٧٩هـ).

- الموطأ، ط٨، مراجعة فـــاروق ســعد، دار الآفـــاق الجديـــدة بـيروت ١٤٠١هـ.

ابن ماجه:الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ).

- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٣هـ.

مجموعة من العلماء.

- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعته المكتبة الإسلامية، استانبول، د. ت.

المحمادي:محمد جاسم.

- ولاية عبدالله بن عامر على البصرة وإصلاحاته الاقتصادية فيها، مجلة المؤرخ العربي، عدد٢١ص١٣٢

مسلم: الامام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ).

- الجامع الصحيح، (صحيح مسلم)، دار الافاق، بيروت (د.ت).

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ).

- لسان العرب، دار صادر، بيروت د. ت.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ).

- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان (د.ت).

اليعقوبي:أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت٢٨٢هـ).

- تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت، ١٣٧٩هـ.

العمل والعمالة السعودية

حتى نهاية عهد الملك عبد العزيز

د. عبد العليم على أبو هيكل

كلية الآداب - جامعة القاهرة

اشتهرت شبه الجزيرة العربية ومنها المملكة العربية السعودية ذات المساحة الأكبر بها بأن جزءا كبيرا من سكانها ينتمون لقبائل بدوية[١] ، بينما اتسمت المواقع الحضرية بمحدودية أعدادها وأحجامها مع تناثر للسكان الزارع فى بقاع متفرقة تبعا لمدى توافر مياه الرى اللازمة للزراعة[٢] .

وبالرغم من هذا الاعتقاد الشائع هناك أيضا نوع من الغموض والتضارب فى تحديد أعداد السكان ، ومفهوم القبيلة وقيمها الاجتماعية وما يتصل بالعمل والعمال حتى وقتنا الحاضر. فعلى حين قدر البعض سكان المملكة فى أوائل القرن العشرين بما يزيد عن سبعة ملايين نسمة[٣] ، إلا أن التقدير شبه الرسمى الذى اعتمد عام ١٩٣٢م تراجع بهذا الرقم ليصبح ٥,٢ مليون نسمة[٤] ، ثم حدده بعض الجغرافيين فى ذات العام فتراوح بين ١,٥ إلى ٢ مليون[٥] ، ثم يزداد الغموض والتضارب عند صدور أول إحصاء رسمى قامت به مصلحة الإحصاءات العامة عام ١٩٦٢م ليصبح الرقم ٣,٢ مليون نسمة[٦] .

ثم يمتد الغموض أيضا إلى طبيعة التركيبة الاجتماعية للسكان عند الفشل فى العثور على حد فاصل فى ماهية كل من البادية والحضر ، حيث ما زالت أسس للتمييز بين البادية ، الحضر ، الريف محل نقاش أكاديمى واسع لأسباب تتصل بصعوبة تحديد قواعد عامة صالحة للتطبيق بشكل دائم ،

خاصة فى المناطق التى تتداخل فيها البداوة مع الريفيـــة[٧] ، فتقســـيم عـــام ١٩٣٢م عند إعلان اسم المملكة حدد السكان بنوعين فقط هما حضر وســكان بدو[٨] ، أما وزارة الزراعة والمياه فجعلتهم فـــى بياناتـــها الرســـمية أعـــوام ١٩٧٤/٦٣/٦٠م ثلاثة أقسام هم الرحل ، الزراعيون ثم سكان المدن معتمـــدة فى هذا على طبيعة الأوضاع الجغرافية والموارد الاقتصادية كالمياه والبترول والأماكن الدينية والأهمية التجارية[٩] .

ترجع هذه التناقضات السابقة كما يُعتقد إلى عدم التحديد الدقيق لماهيـــة القبيلة قاعدة الوضع الاجتماعى للبلاد ، فأقرب تعريف لها هـــو أنـــها تكتـــل بشرى لديه القدرة على الاستمرار والمحافظة علـــى الروابـــط بيـــن أفـــراده والممثلة فى التعلق بالأرض والدم ووحـــــدة الـــهدف والمصـــير والمعيشـــة المشتركة والحرص على معتقداتها وأفكارها المتوارثة ، كما أنه ليس شـــرطا ارتباط مفهوم القبيلة بالبداوة ، لأن الكثير منها لا تعيش حيـــــاة الباديـــة بـــل تمارس أنواعاً متعددة من النشاط الاقتصادى كالتجارة والزراعة والرعـــــى ، فمطير التى تتخذ من الشمال الشرقى للملكة موطناً لها وبالرغم من انضـــــواء ما يزيد على ٤٠% من أبنائها فى مشروع "الهجر" الذى بدأه ابن سعود عـــام ١٩١٢م مارسوا الزراعة وبدأوا حياة الاستقرار ، إلاّ أن هناك نسبة أخـــــرى منهم تزيد على ٣٠% تقلبت بين البداوة والإقامة بالقرى الجديدة ، أما البـلقون فمارست حرفا يدوية أخرى تطلبتها حياتهم الخاصة إضافة إلى العمـــــل فـــى صيد الأسماك أو الغوص أحياناً[١٠] .

أما الدواسر ، كمثال آخر ، والذين امتدت منازلهم بين مناطق شتى فـــى جنوب غربى الرياض والإحساء فى شرقى المملكة وأقـــامت عشـــائر منـــهم بالبحرين ، فقد كانوا المثل الأكثر وضوحاً لتداخـــل الأوضـــاع الاجتماعيـــة والاقتصادية للقبيلة ، بدأ بالاستقرار الحضرى بالقرى والهجر والموانئ مـــع

الترحال ورعى الماشية والتجارة والعمل بالغوص وصيد الأسماك فى أوقات وأماكن متداخلة[١١] .

لم يكن هذا التداخل المذكور فى مهام القبيلة الاقتصادية هو السبب الأوحد فى الغموض الذى أحاط بأعداد السكان وتركيبتهم الاجتماعية بل يرجع أيضاً وبصورة أساسية إلى أن الكثيرين ممن مارسوا الأنشطة الحرفية للقبيلة فضلاً عن انزوائهم بأدنى درجات السلم الاجتماعى فإنهم عاشوا داخل دائرة النسيان والإهمال نتيجة لتدنى قيم العمل واحتقارها ، فالقبلى يأنف من العمل الزراعى ويبغض الصناعة ، ولو قُدر لأحد منهم أن يعمل فى حرفة ما لأصبح شخص وعمله سُبه عليه وعلى ذريته[١٢] لأنها تتنافر مع مفهومه للعمل والمكانة الاجتماعية[١٣] .

لذا تركزت الصناعات التحويلية - إذا جاز لنا التعبير - على الصناعات اليدوية التى قامت على مستوى بدائى للتنظيم الاقتصادى كصناعة الأوانى الفخارية ، السلاسل ، الحبال ، الحصر ، المصنوعات الجلدية والخشبية ، وهى حرف ملائمة لطبيعة مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية، فكان الصناع يعملون على إنتاج كميات قليلة من السلع لسد حاجات القبيلة أو الأسواق المحلية البدائية المتناثرة حول المراكز الحضرية المتناثرة والتى كان جزء كبير منها ينتج بناءً على طلب زبائن أفراد ويؤدى العامل وظيفة إما فى منزله أو فى دكاكين صغيرة[١٤] . إضافة إلى ذلك لم يكن المقابل النقدى لبيع السلع مشجعاً على انخراط الأفراد فى العمل ، ومع الحاجة إلى سد متطلبات المعيشة بالكاد كان الصانع يضطر لبيع سلعته بأدنى الأسعار وبلغ الأجر اليومى ريالاً واحداً لثلاثة عمال فى البناء لندرة فرص العمل وانتشار روح التعاون والمشاركة الجماعية خاصة فى المناطق الزراعية[١٥] .

نتيجة لهذه الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية انحسرت (قوى الإنتاج) البدائية والتقليدية حتى بداية الثلاثينات من ق ٢٠ عند إعلان المملكة العربية السعودية ، داخل الفئات المعدمة اقتصاديا والمتدنية اجتماعيا وهم "العبيد والعشائر الضعيفة ، وفقراء المزارعين".

فى هذه الفترة بالذات طغت على السطح عوامل جديدة حتمت إضافة بعض الفئات السكانية إلى ما سبق ذكره ليكون الجميع قاعدة عمالية جديدة لهذه البيئة المحافظة.

كان على عبد العزيز بن سعود البدء فى اتخاذ خطوات بناء دولته بعد انتهاء مرحلة التأسيس بدخوله الحجاز عام ١٩٢٦م ، وبما تتطلبه المرحلة الجديدة من موارد مالية وتنظيم للشئون الإدارية والخدمات الاجتماعية[١٦] ، فضلا عن ضرورة العمل على خلق نوع من التجانس بين أقاليم البلاد المتباينة فى أوضاعها المعيشية والمذهبية والاقتصادية ، فكانت أولى خطواته فى هذا الاتجاه الدخول فى مواجهة مع قوى التطرف وهم الإخوان الذين كانوا ساعده الأيمن فى مرحلة التأسيس[١٧] ، ولم يجدوا بدا من التشرذم نحو أركان شتى وبصفة خاصة تجاه الشرق والشمال الشرقى من المملكة ، التى بها العدد الأكبر من أصحاب المذهب الشيعى[١٨] والتى تقطنها كذلك قبائل العجمان وبنو خالد ذوى التاريخ العدائى مع آل سعود[١٩] .

إلا أن الأزمة الاقتصادية العالمية حينئذ أضافت هى الأخرى متاعب جديدة لابن سعود ، بتناقص أعداد الحجيج الذى يشكل موردا هاما من موارد الدولة[٢٠] مع كساد وتدهور أصاب تجارة اللؤلؤ فى بداية عام ١٩٢٨م بفعل ذات الأزمة ومنافسة اللؤلؤ الصناعى اليابانى مما أدى إلى شل حرفة الغوص[٢١] .

هكذا أضحت الإحساء فى أواخر العشرينات مركزا مؤهلا لتحقيق تطلعات آل سعود من جهة ومأوى للإخوان الفارين من الضغوط الواقعة

عليهم ، والشيعة ذوى العداء المذهبى مع (سلفيه) أهل نجد إضافة إلى العاطلين عن العمل بالحرف المرتبطة بالبحر التى أصابها الكساد.

من جهة أخرى كان على عبد العزيز البحث لنفسه ولكيانه الجديد عن مخرج من أزمته التى يعيش فيها ولم يكن أمامه حينئذ إلا السير على خطى بعض الإمارات الخليجية (كالبحرين) بالبحث عن المعادن ، فكانت جهوده لمنح امتيازات التنقيب للشركات الغربية التى فشلت فى العثور عليه بالحجاز ولكنها أصابت نجاحا فى المنطقة الشرقية[٢٢] .

وقعت ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا Standard Oil of California المعروفة اختصارا باسم (سوكال – Socal) امتياز البحث والتنقيب مع الحكومة السعودية فى صفر ١٣٥٢هـ/٢٦ مايو ١٩٣٣م[٢٣] ، ومع بداية أعمال البحث والحفر فى أواخر جمادى الأولى ١٣٥٣هـ سبتمبر ١٩٣٣م بلغ متوسط عدد العمال اليومى من السعوديين ما بين ٧٠ إلى ١١٠ عامل فقط تبعا لما كانت تراه الشركة فيهم من (خبرة سابقة) فى الأعمال الحرفية سواء فى البحر أو الزراعة ومراقبتهم بشكل دقيق من خلال ما يتحملونه من أعباء واستعدادهم لتقبل التوجيهات وحسن الأخلاق مع الزملاء والرؤساء ، مع التوصية بالتمسك بمن تتوفر فيه هذه متطلبات العمل فى الحفر والحراسة والدلالة[٢٤] .

يستخلص من هذا أن النواة الأولى للعمالة السعودية فى شكلها المنظم جاءت أساسا من سكان منطقة الإحساء وبشكل خاص من الحرفيين الذين كانت لديهم إلى حد ما خبرة تنظيمية فى مجال العمل ، ولم يكن للبدو فى هذه المرحلة المبكرة فى البحث عن البترول الذى انصبت أعماله فى الحفر واستمرت لشهور عديدة كان المقابل المادى لحفر عشرة أمتار هو ريال واحد

وللحارس لمدة اثنتا عشرة ساعة ريالاً ونصف أما الإدلاء فكان أجره الأسبوعى يتراوح ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين ريالاً[٢٥] .

هذا الأجر كان مغرياً لأهالى المنطقة بالمقارنة مع ما كانوا يتقاضونه من قبل من أجور ، بالإضافة إلى الالتزام الواضح بين طرفى العلاقة من حيث أوقات العمل والراحة المحددة سلفاً بين الطرفين وحسن المعاملة التى كانت مفقودة ، ثم ممارسة الأعمال بالقرب من مواقع الإقامة الأصلية فى الهفوف والجبيل وجبل الظهران ، وأمام هذه المغريات والمزايا بدأت فئات جديدة من العمال بالالتحاق للعمل بشركة البترول مع توسع الأخيرة فى عمليات البحث ، هذه الفئة كانت من مزارعى منطقة الإحساء وتساوت أرقامهم تقريباً فى أعمال الحفر مع أرقام الحرفيين الذين كانت لهم الريادة فى هذا المجال ، تبعاً لما جاء فى القرير اليومى ١٧ فبراير ١٩٣٤م على النحو التالى[٢٦] :

نوع العمل	العدد	الخبرة السابقة	
		مزارعون	حرفيون
حفر أتربة	٧٨	٣٥	٤٣
النقل	٩	٢	٧
الحراسة	١٤	٦	٨
حمل المعدات	٢٢	١٥	٧

من هنا يمكن القول أن الإقبال على العمل انحسر بين عناصر بعينها وهى (الحرفيون والزراع) الذين كان لديهم استعداد مسبق للانخراط فى العمل بصرف النظر عن نوعيته ، ولم يكن هناك دور يذكر للبدو أو الزراع من

خارج الإحساء كما يُدعى هجرتهم لأراضيهم خاصة من مزارعـــى عســير المعروفة بسيادة النشاط الزراعى[٢٧] ، فمن الصعوبة بمكان إمكانيـــة تخلـــى هؤلاء بدرجة سريعة عن ارتباطهم بالأرض أو بيئتهم المحافظة وبشكل سريع مفاجئ بعيداً عن قواعد الارتباط القبلى أو الحضرى أو الريفى والابتعاد عـن نواة النشأة ثم الدخول فى إطار منظم وآلية حديثة للإنتاج وتحت إدارة أجنبيـة لم يتعاملوا معها من قبل فضلاً عما استقر عليه العرف لـدى البـدو بشـكل أساسى من نفور للعمل الحرفى وبما لم تذكره يوميات الشركة.

فى المقابل لم تستقر أرقام العمالة السعودية الناشئة عند سقف متقـارب حتى عام ١٩٣٥م ، حيث شاهدت الفترة السابقة حالـة مـن التذبـذب بيـن الارتفاع والهبوط فى نسبة المواظبة على نظام العمل ، فلم تتجاوز نسبة الذين استمروا منهم لأكثر من ستة أشهر ٢٠% من متوسط مجموع العمالة اليومـى وأرجعت الشركة هذه الظاهرة إلى الجهد الشاق والالتزام الدقيـق بمواعيـد العمل ومسئولياته التى كانت بطبيعة الحال أشد حسماً وانضباطاً أكثر مما كان مألوفاً من قبل[٢٨] .

بعد هذا العام عاد معدل العمل إلى الاستقرار النسـبى مـع انعكـاس المميزات التى كانت تقدمها (سـوكال) من حيث الأجور التى تحولت مـن يومية إلى شهرية وارتفاعها بمقدار نصف ريال يومياً ، بالإضافة إلى حوافـز العمل الإضافى ليلاً أو نهاراً ، وبرنامج الرعاية الصحية والاجتماعية للعمـال وأسرهم بما كانوا يحصلون عليه من ملابس خاصة بالعمل وأجازات مرضية وإصابات العمل مدفوعة الأجر مع خدمات النقل من أماكن الإقامة إلى مقـر العمل[٢٩] ، ومن ثم شاهدت الأعوام التالية لعام ١٩٣٥ قفزات متتاليـة فـى أرقام العمالة السعودية على نحو ما يوضحه الجدول التالى[٣٠] .

السنة	سعوديون	آخرون	المجموع	سعوديون	أمريكيون	آخرون
١٩٣٥	١١٥	٢٦	١٤١	%٨١,٦	%١٨,٤	–
١٩٣٦	١٠٧٦	٦٢	١١٣٨	%٩٤,٦	%٥,٤	–
١٩٣٧	٥٤٨	٥٤	٦٠٢	%٩١	%٩	–
١٩٣٨	٢٧٤٥	٣٤٠	٣٠٨٥	%٨٩	%٧,٦	%٣,٤
١٩٣٩	٣١٧٨	٤٦٣	٣٦٤١	%٨٧,٣	%٨.٨	%٣,٩
١٩٤٠	٢٦٦٨	٣٨٢	٣٠٥٠	%٨٧,٥	%٧,٤	%٥,١
١٩٤١	١٦٤٧	١٩٣	١٨٤٠	%٨٩,٥	%٥,٨	%٤,٧
١٩٤٢	١٦٥٤	١٧١	١٨٢٥	%٩١,٦	%٤,٨	%٤,٦
١٩٤٣	٢٦٩٢	١٩٠	٢٨٨٢	%٩٣,٤	%٤,٠	%٢,٦
١٩٤٤	٧٥٨٥	١٤٧٥	٩٦٠	%٨٠,٧	%١٠,٦	%٥,٧
١٩٤٥	٨٠٨٧	٣١٥٩	١١٢٤٦	%٧١,٩	%٦,٩	%٢١,٢
١٩٤٦	٧٢٩٧	٢٤٠٠	٩٦٩٧	%٧٥,٣	%١٢,٣	١٢,٤
١٩٤٧	١٢٠١٨	٤٢٢٩	١٦٢٤٧	%٧٤,٠	%١١,٤	%١٤,٦
١٩٤٨	١٢٢٢٦	٦٤١١	١٨٦٣٧	%٦٥,٦	%١٣,٨	%٢٠,٦
١٩٤٩	١٠٠٢٦	٥٢٨٨	١٥٣١٤	%٦٢,٣	%١٨,٥	%١٩,٢
١٩٥٠	١٠٧٦٧	٦٠٩٣	١٦٨٦٠	%٦٢,١	%١٦,٣	%٢١,٦
١٩٥١	١٣٧٨٦	٧٩٩٤	٢١٧٨٠	%٦١,٦	%١٤,٤	%٢٤
١٩٥٢	١٤٨٧٩	٩١٢٧	٢٤٠٠٦	%٥٩,٤	%١٦,٤	%٢٣,٩
١٩٥٣	١٣٥٥٥	٨٢٣٩	٢١٧٩٤	%٦٠,٧	%١٦,٦	٢٢,٧

خلال الفترة من عام ١٩٣٥م حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، لوحظ على الأرقام الواردة بالجدول إضافة إلى التقارير اليومية ، أنه كلما اتســـعت المساحة الجغرافية فى البحث والتنقيب بشكل دائرى حول الآبار الأولى (أبـــو حدرية) بدأت تنضم إلى الفئات السابقة أعداد من نوعيات جديدة هم البدو مـــن العجمان وبنى خالد ومعهم عشرات من الرقيق وهم بالترتيب حسب أعدادهـــم عام ١٩٣٦م على النحو التالى :

١- بدو المنطقة من العجمان وبنى خالد والبعض الآخر من مطير

٢- نصف الزراع ويقصد بهم "الإخوان" الفارون من ملاحقة ابن سعود

٣- الرقيق ، ويأتى ذكرهم تحت مسمى "عمال بالمقاولة"

فقد جاء بالتقرير اليومى الصادر فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٣٦ للمـــهندس الجيولوجى ميلر Miller بيانا بأعداد هؤلاء (الجدد) ومواطنهم الأصلية[٣١] .

العدد	خبرتهم السابقة ومواطنهم الأصلية
٦٥٧	حرفيون من الإحساء
٢١٥	بدو من الإحساء
١١٣	زراع ونصف زراع من مناطق متنوعة
٩١	عمال بالمقاولة (رقيق)

وعلى الرغم من اعتبار العام المذكور (١٩٣٦م) هو بداية التحاق البدو بالعمل اليدوى إلا أن نسبة عدم استمرارهم كانت هى الأكبر من بين أقارنهم، حيث بلغ متوسط المواظبون على آداء عملهم اليومى خلال الفترة من شـــهر أبريل حتى أغسطس من نفس العام ما يتراوح بين ٣٠ إلى ٨٠ عامل علـــى أكثر تقدير على حين كان متوسط أعداد أقرانهم المواظبون مـــن النوعيـــات الأخرى على النحو التالى[٣٢] :

المتوسط			النوعية
من ٤١٥	:	٥٣٠	حرفيون
٧٠	:	٩٥	زراع ونصف زراع
٨٠	:	٩٠	عمال مقاولة

كان العامل المؤثر فى اختيار نوعية العمل لدى السعودى يرجع إلى قيمة العمل المرجعية – Frame of References ، لذا فإن رغبتهم الأولية كانت تتجه إلى قيادة السيارات ، فهى عملية أشبه باستبدال وظيفة بأخرى للتحطيم والتغلب على الحركة والزمان ، ثم حارساً باعتبار ذلك استمراراً لوظيفته التى كان يمارسها من قبل خاصة من حيث حمل السلاح ثم حفر الآبار(٣٣) .

كما يلاحظ على الجدول ما ألقته أحداث الحرب العالمية الثانية من ظلال على عمليات الاستخراج والتصدير بعد أول شحنة إلى الخارج فى منتصف عام ١٩٣٨ ، فتراجعت أعداد السعوديين بشكل ملحوظ دون الأجانب حتى منتصف عام ١٩٤٣م حيث عادت الأرقام بصورة أكثر كثافة عما كان قبل الحرب لعدة أسباب :

أولا : رغبة شركة البترول تكثيف عمليات الاستخراج والتصدير لتعويض الخسائر التى أصابتها من جراء توقف الضخ خلال فترة العمليات العسكرية(٣٤) .

ثانيا : بداية تنفيذ عدد من المشروعات الخدمية والمساندة لإنتاج وتصدير البترول كبناء الطريق البرى بين الجبيل والرياض(٣٥) ، وخط السكة الحديد بين الرياض والدمام(٣٦) ، مع المشروعات العمرانية الأخرى كمطارى الظهران والهفوف وميناء الدمام البحرى ثم المشروع

الأضخم "خط الأنابيب فى البلاد العربية - المعروفة بخـط التـابلين" "Trans Arabian Pipe line"[٣٧] .

بالرغم من زيادة أعداد العمال من السعوديين عقب استئناف النشاط البحثى والتصديرى والخدمات المتعلقة بالبترول عقب الحرب العالمية الثانية إلا أنه يلاحظ ما يلى :

أولا : أن القفزة العددية بالنسبة للسعوديين لم تستمر أكثر من بضعة أعوام من (١٩٤٢ إلى ١٩٤٦) بعد ذلك ظل معدل الزيادة يدور حول ٦٠% فقط من نسبة مجموع بقية العمال بعد وصول هذا الرقم إلى قمته فبلغ ٩٣,٤% عام ١٩٤٣م بما يعنى التراجع فى أعدادهم قياسا مع أعداد غيرهم.

ثانيا : مقابل هذا الثبات النسبى للعمال السعوديين فإن أرقام غيرهم من الأمريكيين والأجانب على حد سواء[٣٨] - فى ذات الفترة - استمرت بالارتفاع على النحو التالى :

١- حافظت نسبة العاملين من الأمريكيين على معدلها الطبيعى فى الزيادة فتراوحت بين ١٢,٣% و١٦,٦% بين أعوام ١٩٤٦ و١٩٥٣ بما يعنى استمرارية تقلدهم لقيادة الأعمال الفنية والإدارية العليا فى العمل.

٢- تصاعدت نسبة العمال الأجانب فقفزت إلى الضعف تقريبا من ١٢,٤% إلى ٢٢,٧% فى ذات الفترة.

هذه الظاهرة المتعلقة بثبات أعداد العمال من السعوديين بالنسبة لغيرهم من الأمريكيين والأجانب التى ازدادت عما قبل ترجع تبعا لما يعتقد إلى :

أولا : أن السعوديين ظلوا أسرى العمل اليدوى والهامشى المرتبط بالإنشاء والمعاونة والحراسة والنقل عند حفر الآبار وإقامة المشروعات الخدمية

التى كانت خطواتها بطيئة عقب الحرب العالمية الثانية بالنسبة لخطوات البحث الأولية[٣٩] ، وغير مرتبطة بمكان - بل متنقلة ممتـدة بالنسـبة للثانية ، مقابل زيادة وكثافة الأعمال التى تتطلب مهارة وتقنية خاصـة فى الاستخراج والتكرير والتصدير ، مما لم تكن اليد العملة السـعودية قادرة على ممارسته أو استيعابه.

ثانيا : مع نهاية الحرب العالمية الثانية انتشرت وبكثافـة حركـات التحريـر الوطنى بين الشعوب المستعمرة مما دفع الكثير من أبنائهم إلى الانتقـال إلى مواطن أخرى بحثا عن مورد للرزق ، أو لتموين حركات الثوار.

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه خطوات العمل الجديد كـى تشـهد بزوغ فئة عمالية سعودية ذات ملامح جديدة فقد وقف بدو المنطقة الشـرقية التى تجرى بها هذه التطورات حجر عثرة أمام إمكانية تغلغل هـذه الظـاهرة باتجاه بقية أنحاء المملكة عندما ظلت القيم البدويـة والأعـراف المحافظـة [الأنانية - الانتماء القبلي فى المقام الأول] هى الأكثر رسوخا ولعدة أسـباب هى :

أولا : كان التوغل البحثى والخدمى من قبل نشاط الشركة باتجاه المنطقتيـن الوسطى والشمالية بمثابة اختراق لعمق البادية واحتكاك متبـادل مـع أفراد القبائل وإحساس منهم بقيمة المزايا العينية مـن أجـور وملبـس ورعاية صحية[٤٠] .

ثانيا : اتبعت أرامكو سياسة توفر لها النفقات وتأمين نشاطها مـن التعـرض لأعمال السلب والنهب والتخريب فأسندت الأعمال اليدوية المتعلقة مثلا بخطوات المواصلات أو خط التابلين إلى أفراد القبائل الذين كانت تمـر بمواطنهم هذه المشروعات[٤١] مما يفسر فى جانب آخر تراجع نسـبة التسرب من البدو كى تصبح ٣٠% فقط عام ١٩٤٩م بعـد أن كـانت

٨٠% فى الأعوام الأولى من العمل كما ورد فـــى تقــارير هــاملتون Hamilton أحد مهندسى أرامكو على النحو التالى :

عدد العمال السعوديين	عدد البدو	الحرفيون والزراع	المقاولة
١٠٠٢٦	٥٤١٥	٣١٨٢	٤٢٩

استمر بالعمل من البدو ما يقرب من ٣٧٠٠ عاملا ، بينما انقطع منــهم حوالى١٩٠٠ خلال الفترة من أكتوبر ١٩٤٨م حتى أبريل ١٩٤٩م[٤٢].

ثالثا : أما السبب الثالث فيرجع إلى أن القبائل التى كـــانت تقــام بأراضيــها مشروعات للحفر أو غيرها ، كانت تعترض على أبناء القبائل الأخــرى المشاركة فى هذه الأعمال بشتى الوسائل سلما أو قتــالا مــن منطلــق (مصلحة القبيلة) فهم (أصحاب الحق) فى الأرض وما ينتج عنها مـــن فوائد ، كما حدث من اعتداء أفراد من (الدواســـر) فـــى ٢٧ نوفمــبر ١٩٤٧م على العمال من (حرب) الذين كان موطنـــهم بــالقرب مــن (حرض)[٤٣] تحت دعوى أن الحربيين معتدون على موطنهم ، وعلــى هذا الطرف الثانى ألا يسمح (للطرف الأول) العمــل بموطنــهم حيــن اقتراب الأعمال إلى موطن عشائرهم[٤٤] .

كانت المفاهيم القبلية هى السائدة فى جوهر طبيعة العمل فبالإضافة إلى "الأنانية" تحت دعوى "المصلحة" لم يكن لمجموعة العمل من البدو مباشرة مـا يسند إليها من أعمال أيا كان نوعها ومداها الزمنى إلا بتوجيه من أحد رجــال عشيرتهم الذى كان يمثل همزة الوصل مع المشــرفين الأجــانب ، حتــى أن بعض من شاركوا فى هذه الأعمال يؤكد أن هناك قبائل بعينها هى "مطـــير ، العجمان ، آل عريعر وبنو خالد" هى فقط التى قامت بمهمة تنفيذ خط أنــابيب التابلين[٤٥] .

كما كان للرابطة القبلية أيضا الدور الحاسم عند التخطيط لإقامة المدن الجديدة أو مساكن توطين البدو حول المنشآت الجديدة فانقسمت "الدواسر" إلى قسمين نظرا لكثرة أعدادهم ، حيث أقام جزء منهم في الدمام واختاروا لأنفسهم مسئول يخضعون لإدارة وتنظيم شئونهم وهو "أحمد عبد الله الدوسرى" ، أما الباقى فاتخذوا من "الخبر" موطنا لهم برئاسة "محمد بن راشد بن جبر الدوسرى" ، والملفت للانتباه أن الحكومة السعودية كانت ترضخ لمثل هذه المطالب فتعين أميرا من ذات القبيلة عندما يتم بناء موطن لها كما حدث عندما أقيمت "طريف ، بدنه ، رفحه ، القيصومة ، عرعر ، الوديعه والشعيبة"[٤٦] .

أما الحرفيون والمزارعون فقد تراوحت نسبة مواظبتهم على العمل تتراوح ما بين ٦٠ إلى ٨٠% منذ بداية التحاقهم بالشركة عام ١٩٣٣م حتى ١٩٤٩م ، ويفسر هاملتون هذا الحرص والانسجام مع الواقع الجديد إلى ما فرضته طبية العلاقة مع الأرض أو نظام العمل اليدوى السابق باعتبار أن ما مارسوه من قبل كان بمثابة مرحلة بدائية ومبكرة أضفت على محترفيها الالتزام والنظام وأضاف إليهم العمل الجديد إيجابية جديدة هو التوازن بين ما يحصلون عليه من حقوق ورعاية وما يؤدونه فى ذات الوقت من واجبات ، وانعكاس هذا التطور على حياتهم الاجتماعية بعناصرها المتعددة صحيا وثقافيا واقتصاديا[٤٧] التى لم تنحسر أو تؤتى ثمارها على العامل بشكل شخصى بل كانت تمتد إلى بقية أفراد أسرته وموطن إقامته نتيجة لوقوع هذا كله داخل نطاق المقار الأساسية لشركة البترول نفسها.[٤٨]

وبالرغم من التباين الواضح لمدى تقبل مفاهيم العمل الجديدة من حيث التنظيم والتقسيم والتخصص والتى ترجع درجة استيعابها إلى جذور النشأة الأولى للفئات المختلفة "حرفيون ، زراع وأشباههم ، إضافة إلى البدو" مع استمرارية للمفاهيم القديمة خاصة من قبل الفئة الأخيرة ، إلا أن هناك إضافة

جديدة لم تأت على حساب القيم السابقة بل سارت معها وهى سيادة الشعور بالاستقلالية وحرية الحركة بعيدا عن قواعد الارتباط خاصة بالنظام السياسى.

ففى الوقت الذى أدرك فيه العامل وشركة النفط سويا قيمة المصالح والمنافع المتبادلة بينهم ومع استئناف ضخ البترول عقب الحرب العالمية ، كان الموقف المالى لأرامكو حرجا كما سبق أن ذكرنا ، مما دفعها حين استؤنف الإنتاج إلى تخفيض مستوى الأجر اليومى السائد والذى كان يتراوح ما بين ريالين إلى أربعة ريالات للعامل إلى ريال ونصف وثلاثة ريالات ، بزعم انخفاض ساعات الإنتاج من ثمان إلى أربع تبعا لمتطلبات السوق التصديرى ، مع قيام الشركة أيضا بخصم جزء من الأجر مقابل تغيب البعض لعدة ساعات أو أيام لأسباب متباينة كالمرض أو زيارة الأهل أو نتيجة لبعض الأعباء الاجتماعية الحتمية(٤٩) .

كما سرت أحاديث بين العمال خاصة من الدواسر والعجمان على أن السبب فى هذه الإجراءات تعود إلى الضغوط الحكومية من آل سعود وآل جلوى على مسئولى الشركة بضرورة الوفاء بالمقررات المحددة بالاتفاقيات من عائد البترول أولا ثم إمكانية تعويض هذه المبالغ بخفض الأيد العاملة اليدوية والاستعاضة عنهم بآلات حديثة وتزامنت هذه الأقاويل مع ما قررته الشركة بطرد عشرات من العمال مؤقتا كما ادعت(٥٠) .

لم يكن التنافس المذهبى بين الشيعة والسنة من السعوديين ببعيد عن الأحداث عندما اضطرت أرامكو لتوقيع جزاءات على بعض الأفراد من المذهبين بخصم أجر نصف يوم لمدة ثلاثة أسابيع من مرتبات ٦٥ عاملا من إخوان مطير والعجمان وشيعة الدواسر لما وقع بينهم من مشاجرات وتبادل للاتهامات بموالاة الأجانب والنظام السعودى وتكفير بعضهم البعض ، مما أثار الفوضى وأعاق العمل فى منطقة الجبيل وهددت الشركة بطرد مثيرى

الشغب مع تجنب المواجهة والمناقشات الدينية أثناء ساعات العمـــل وتأديــة الفرائض الدينية فى أوقات الراحة(٥١) .

تضافرت هذه الأسباب كلها كى يمتنع ما يزيد على ١٤٠٠ عامل عــن العمل لمدة إحدى عشر يوما فى الأول من فبراير ١٩٤٥م ، ظهرت خلالـــها مؤشرات بتوجيهات مثيرة للانتباه منها أن المناقشات التى دارت بين الطرفيـن (العمال وأرامكو) لم يمثل الطرف الأول قيادة محدودة ، بل كانت تذهب فــى كل لقاء على حده جماعة مكونة من ثلاثين فرد تقريبا مختلفة عن ســـابقتها ، وبعد صلاة العشاء تتجمهر خارج مقر الشركة بالظهران بينما يظل المسئولون بالداخل وبالتالى لم تحدد أسماء بعينها يمكن أن تكون بمثابة قيادة للعمال ومن ثم تبدأ المساومة بين الطرفين التى انصبت فـــى المطالبــة بزيــادة الأجــور والتهديد بتخريب المنشآت مع عدم وجود بديل للعمال كما كان يزعم(٥٢) .

اضطر المسئولون أمام هذا الضغط العمالى الجديد من نوعه إلى زيـادة الأجور لكل المستويات ودفعها بشكل منتظم أسبوعيا بما يـــتراوح بيــن ٢٥ ريال و٤٠ ريال وتحرير عقود بين طرفى العلاقة محددة للحقوق والواجبــات المتبادلة ، مع التعهد بعدم إثارة القضايا الدينية بشكل قــاطع خــلال فــترات العمل، اللهم إلا ما هو مرتبط بالشعائر كالصلاة والصوم(٥٣) .

التزمت أرامكو بما تعهدت به من رفع للأجور مـــع عوائــد الأمــوال المجمدة التى لم تدفع خلال سنوات الحرب إضافة إلــى قــرار بمنــح كافــة العاملين من سعوديين وغيرهم علاوة بنسبة ٢٠% مـــن مجمــوع الأجــور السابقة(٥٤) .

لم يكن هناك موقف محدد للنظام السعودى إزاء هذا الحدث ، فلم يـــرد ما يشير إليه بالخطابات التى تبودلت مع أرامكو وأغلب الظن أن المســئولين المحليين أو العاصمة السعودية فضلوا عدم التدخل فى طبيعة العلاقات بيـــن

الأطراف المعنية طالما استمر التزام ارامكو بالوفاء بتعهداتها المالية المنصوص عليها باتفاقيات الامتياز للبحث عن البترول(٥٥) .

كان رد الفعل الوحيد الذى اتخذته الحكومة السعودية هو ما أصدرته بعد هذه الأحداث بعامين بتأسيس مكتب للعمل والعمل مرتبط إداريا بالمنطقة الشرقية وأماراتها وليس بالحكومة السعودية ، بما يوحى بقناعة لديها فى محدودية وانحسار انعكاسات الفئة العمالية داخل نطاق جغرافى ضيق ، ثم أصدرت نظاما للعمل والعمال فى ٢٥ ذى القعدة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م حددت فيه ساعات العمل اليومى بثمان ساعات مع الراحة وأداء الشعائر ونظام الإجازات اليومية والأسبوعية والرعاية الصحية وحقوق التقاعد والمكافآت والمخالفات وقواعد التحكيم وفسخ عقود العمل(٥٦) ، ومن جانبها تطلعت أرامكو لاسترضاء العمال والحكومة على حد سواء فبادرت بإلحاق عدة مئات من السعوديين للعمل بحقول الإنتاج فى غمرة تعيين عدد أكبر من العرب والأجانب ربما لتخفيف الضغوط التى بدأت تلوح فى الأفق(٥٧) .

آمن العمال بجدوى هذا الأسلوب الاحتجاجى لانتزاع مطالبهم عندما أضربوا مرة أخرى عن العمل فى منتصف يوليو ١٩٥٠م/١٣٦٩هـ ، لذات الأسباب الجوهرية السابقة الممثلة فى الادعاء بقلة الأجور وتدنى مستواها بالقياس عما كانت عليه عام ١٩٤٥م ، وبالرغم من الإنتاج المضاعف واكتمال العديد من المشروعات الخدمية وتسهيلات التصدير ، امتنع ما يزيد على ١٦٠٠ عامل عن أداء مهامهم الذى بدأ من جانب أفراد الحراسة والنقل تحت حجة الظلم مع مساواتهم فى الأجور بالعمال الجدد العرب والأجانب على حد سواء والذين ليست لديهم خبرة سابقة كتلك التى تمرسوا هم بها – على حد زعمهم وباعتبار أن هؤلاء الجدد ليسوا إلا غرباء لن يستمروا طويلا بالعمل فى (الإحساء) أو من البدو المزارعين الذين سوف يرجعون مرة أخرى إلى ذويهم بعد جمع حصة معقولة من الريالات(٥٨) .

بعد مداولات ومناقشات استمرت ثمانية أيام اضطرت أرامكو فـــى ٢٣ يوليو ١٩٥٠م إلى الاستجابة للمطالب العمالية وحددت الأجور لعمال الحراسة والنقل وقيادة السيارات بما لا يقل عن أربعة ريالات فى اليوم الواحد على أن ترتفع سنويا بمقدار نصف ريال[٥٩] .

استبد القلق بالحكومة السعودية لتكرار مثل هذا الأسلوب الاحتجـــاجى وما يمكن أن يتولد عنه من قلاقل سياسية تؤثر على سياستها بالإقليم الشـرقى ذو الخصوصية بموقعه وبنيانه البشرى باعتباره نافذة على كيانات مرتبطـــة معه مذهبيا (الشيعة بالبحرين وإيران) ثم لقيمته الاقتصاديـــة والاســتراتيجية على المستويين الداخلى والخارجى على حد ســـواء وبمـــا يســرته خطــوط المواصلات أخيرا من ترابط مع الداخل ناهيك عن المد القبلى المتشعب[٦٠].

مقابل هذه المخاوف كانت هناك رغبة غير معلنة من قبـــل الحكومـــة السعودية لتهدئة الأزمة واحتواء ردود أفعاله خشية من إمكانية غرس بـــؤرة عدائية جديدة إذا ما قررت السلطات السياسية التدخل بأسلوب عنيـــف ومـــا يمكن أن يفسر بأنه تعصب مذهبى ، مما يؤدى فى النهاية إلى وصم النظـــام بالتناقض بين مواقفه الإسلامية المعلنة وإجراءاته العنيفة على أرض الواقـع ، لذا اتخذت الإدارة المحلية والسياسية ، كما يعتقد "بيرجر" موقفا مرنـــا فـــى التعامل مع أحداث الإحساء على نفس النمط الذى أتبعه ابن سعود لدى دخـول قواته الحجاز وانقلابه على المتعصبين من الإخوان الذين كانوا يده اليمنى من قبل[٦١] .

لقد تراجعت القيمة السياسية لإقليم الإحساء مع ظهور البترول وبدايـــة تكوين فئة عمالية ، كى تفسح المجال للقيمة الاقتصادية ، وما أفرزتـــه مـــن مقدرات جديدة كان أبرزها على السطح مبدأ (الإضراب)٠

لم يكن الإضراب أسلوبا جديدا كسلاح بيد العمال لتحقيق مطالبهم كمـــا يظن البعض بل كان امتدادا لما شهدته ذات المنطقة الشرقية من قبل عندمـــا

استخدمه عمال الغوص ضد تجار اللؤلؤ والنواخذه عـــامى ٢٨ و ١٩٣٢م ، والتى كانت للرابطتين المذهبية والقبلية الدور الأكبر فى إزكاءه إضافة إلـــى المطالب المالية وحقوق العمل الأخرى[٦٢] واستمرت ذات الروابط التقليديـــة كما هى لتلعب دورا رئيسا فى توجهات الفئة العماليـــة الســعودية الناشــئة ، بالرغم من تباين مداها بين الانكماش والاستمرار على الأوضاع الاجتماعيـة والاقتصادية .

فمن الناحية الاجتماعية لوحظ أولا : أن هناك تغيرا اجتماعيا فى أنماط السلوك مع التعود على برنامج معيشى يومى منضبط فى المـــأكل والملبـس والتناسق بين أعباء الحياة المنزلية يتناسب مع متطلبات الأداء بـــالعمل فـــى الحقوق والواجبات والانضباط فى مواعيد الحضور والانصراف[٦٣] ، حتـــى بلغت نسبة الالتزام الدقيق بهما فى نهايـــة عـــام ١٩٥٠ بيـــن البـــدو ٨٥% والمزارعون ٩٠% أما الحرفيون فقد استحوذوا على النســـبة الأكـــبر فـــى المواظبة فبلغوا ٩٤%[٦٤] .

ثانيا : ما حدث من تطور فى التركيب العمرانى للمراكـــز الحضريـــة بالمنطقة الشرقية بتضخم عدد من المدن كالخبر والدمام وتبدل فـــى مركـــز البعض الآخر بازدياد أهميتها ومحوريتها (الظهران) وظهور بعض المواقـــع الجديدة تماما كالنهرين ، الثقبة ، طريف ، بدنه ورفحه ...إلخ إلا أن الملفـــت للانتباه مع هذا كله هو أن هذا التغير قد صاحبته بداية مرحلة اجتماعية جديدة فى العلاقات بين فئات المجتمع التقليدية ، تمثل فى ظهور نوع من التشـــابك والانصهار والترابط بين البدو والحرفيين والمزارعين داخـــل هـــذه البيئـــة الحضرية الجديدة والمتطورة ، عندما أضحوا جميعا من (العمـــال) بحياتـــهم تحت سقف واحد من المصالح[٦٥] .

أما من الناحية الاقتصادية ، فقد ظل العامل السعودى رهين أســـلوب معتقداته الاقتصادية التى كان عليها قبيل انخراطه فى العمل ، فـــإلى جـــانب

بغضبه ونفوره لكثير من الأعمال التى كان يعتبرها نقيصة تمس أصالته ورجولته كالنجارة والجزارة والحدادة والبناء والعمل بالمطاعم ، فإنه حرص منذ بداية التحاقه بالعمل الحديث على أداء الأعمال التى تشبع غرائزه السابقة على النحو التالى كما جاء فى تقرير عن هذا عام ١٩٥٠م (٦٦) .

١- الحرفيون انخرطت الأكثرية الساحقة منهم فى الأعمال المساعدة لإعداد الأجهزة والآلات وإصلاحها وإنشاءات الأعمال الصحية ، والتنسيق الإدارى للأعمال الإدارية اليومية.

٢- المزارعون تركزوا فى أعمال الحفر ونقل المعدات وتمهيدها للتركيب وما يرتبط بها من إنشاءات.

٣- البدو ، فضلوا قيادة السيارات أو الدواب عبر الدروب الصحراوية إضافة إلى أعمال الحراسة والتسابق فيما بينهم حول تدلى مهمة قيادة هذه النوعية من المهام.

وبالرغم من صعوبة قياس درجة النمو الاقتصادى للأفراد وارتفاع مستوى معيشتهم خلال فترة وجيزة مثل تلك التى تستغرقها هذه الدراسة وفى مثل هذه البقعة المحافظة نظرا لبطء ومحدودية درجة الاستيعاب لمفهوم العمل الحديث بكل دوافعه وآلياته ومن ثم نتائجه ، إلا أن هناك ما يشير إلى حدوث ارتفاع مستوى دخل العمال ولو بصورة تقديرية.

فبعد أن كان متوسط دخل الفرد اليومى عام ١٩٣٠م من البدو لا يزيد على نصف ريال ومن الحرفيين ريال واحد ومن المزارعين بين النصف وثلاثة أرباع الريال ، فقد أصبح متوسط الدخل لهؤلاء باعتبارهم (عمال) يتراوح بين ٥ خمسة و٧ سبعة ريالات يوميا عام ١٩٥٠م ، ومن مصادر متعددة ما بين المرتب الشهرى فى العمل بالشركة ، واستثمار جزء من

مدخره اليومى لتوظيفه فى تجارة بعض السلع الاستهلاكية (البقالة ، المرطبات ، الملابس والأقمشة ، وبعض الأدوات الكهربائية)[٦٧] .

من رحم هذا النمو للدخل الفردى ومن تلك التربة العمالية نبتت فئة جديدة هم **(رجال الأعمال وأصحاب الأموال).**

فإضافة إلى ما ادخرته بعض العناصر وأحيانا بما ساهم به أفراد العشيرة كمشاركة وما قدمته أرامكو من قروض مالية مقابل ضمانات عينية كالمنازل أو مساحة من المزارع وفائدة تتراوح بين ٣ إلى ٥% تبعا للمدى الزمنى للسداد[٦٨] ، تحول البعض من العمال إلى مقاولين وتجار فى سلع من نوعيات شتى لم تعرفها السوق السعودى التقليدى من قبل ومن أبرز هؤلاء أحمد أحمد القصيبى ، سليمان العليان ، محمد بن لادن ، عبد الله فؤاد ، على عبد الله التميمى ، ناصر الهزاع ومحمد المانع[٦٩]...الخ.

اتجه القصيبى وسليمان العليان للعمل بالمقاولات فى مد الشبكات الكهربائيه وتخصص محمد بن لادن في البناء والخدمات المتصلة به ، أما عبد الله فؤاد فأصبح متعهد للنقل مستخدما الدواب فى بادئ الأمر ثم السيارات وتأجيرها لخدمة الشركة وأهالى المنطقة كما افتتح على التميمى مكاتب للصيرفة وتجارة العملة ومستلزمات البناء ، أما محمد المانع فأقام مستوصفا لعلاج الأمراض المتوطنة[٧٠] .

لم تكن هذه الخطوة التى أقدمت عليها هذه العناصر تهدف إلى تطوير واتساع القاعدة الصناعية بما تشمله من عناصر بشرية وعلى أسس حديثة ، بل كان الهدف الأساسى (على الأقل فى الفترة موضوع الدراسة) هو جمع المال فى المقام الأول ، حيث استمر السلوك التقليدى المحافظ هو المسيطر على أسلوب العمل بتلك المؤسسات الطفيلية وظل التشابك والتداخل قائما بين البنيان الإدارى التنظيمى والعمل الفنى للمؤسسات فالمدير مثلا هو المسئول

عن رئاسة مجلس الإدارة وشئون الموظفين والتخطيط وربما عن المحاسبة المالية وأحيانا يقوم بالتسويق شخصيا[٧١] .

كما استمرت النسبة الأعلى من العمالة الفنية بهذه المؤسسات محصورة على الأجانب بما يزيد على ٨٠% من الباكستانيين والهنود واليمنيين وغيرهم، أما العمالة السعودية فلم تتجاوز الـ ١٠% وبشكل مؤقت من حيث المواظبة على العمل وظلت أكثريتهم حريصة فقط على تقلد العمل الإدارى والرئاسة من منطلق النفور من التبعية لقيادة أخرى خاصة من مواطنيه فضلا عن الأجانب ، مع أن أكثريتهم كانت تجهل القراءة والكتابة واستعانوا بالعاملين العرب لتحرير وقراءة المعاملات العربية ، أما اللغات الأجنبية فقد أسندت إلى الباكستانيين والهنود[٧٢] .

بلغ عدد ما سمى بـ (الشركات) بالمنطقة الشرقية حتى عام ١٩٥٢م خمس فقط برأسمال قدره "٤٢" مليون ريال سعودى وبلغ متوسط عدد العمال بكل شركة ما بين خمسين إلى مائة عامل[٧٣] .

على نفس هذه السمات العامة السابقة انتشر العديد من المحال والورش الحديثة لإصلاح السيارات والنجارة والحدادة والأعمال الميكانيكية والكهربائية، كان أصحابها من العمال الذين لم يتقبلوا استمرارية كونهم (عمالا) لفترة طويلة ليجعلوا من أنفسهم بما جمعوه من ريالات (رجال أعمال) أصحاب مسئولية إدارية ومالية واستقدموا لأنفسهم عمالا أجانب لخدمة الأنشطة التى أقاموها وما لبثوا مع انتشار هذه (الورش) أن دخلوا فى تنافس بين بعضهم البعض على سوق اتسم آنذاك بالصغر ، مع انخفاض الطاقة الإنتاجية لديهم جميعا إلى درجة متدنية بين ٢٠ و٢٥% من الطاقة الفعلية مما أدى إلى إغلاق عدد منها قدر بـ ١٥% من الإجمالى بنهاية الخمسينات من هذا القرن[٧٤] .

هكذا ظلت قيم العمل ومفهوم العمالة أسيرة الأفكار التقليدية للبيئة التي نبتت منها ، وإذا كان هناك تبدل في بعض المظاهر الخارجية أفرزتها الاكتشافات النفطية وأضافت بها إلى التركيبة السكانية فئة جديدة أطلق عليها مسمى "العمال" فإنها في حقيقة الأمر ليست إلا شكلا خادعا يخفي بباطنه استمرارية معتقدات راسخة ظلت قائمة وممثلة في النفور من العمل واحتقاره بفعل التشبث بالروابط والأفكار القبلية القائمة على التقسيم الحاد بين الأفراد (السادة والأتباع) ،مما جعل التسابق باتجاه الالتحاق بالعمل الحديث مجرد جسر للعبور من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الضاغطة من مستواها الأدنى إلى مستوى أعلى. وعندما تحقق هذا الهدف للبعض من بين هذه الفئة الجديدة ، فسرعان ما ارتدت على أعقابها لتعاود تكرار الهدف والخطوات من العمل ، ولتظل الظاهرة بالاستمرار والتكرار ، تحركها كلما اتسعت أيد أجنبية من بقاع شتى.

كما ظل اتساع القاعدة العمالية الناشئة محصور ولفترة طويلة داخل البقعة الجغرافية التي شهدت النشاط النفطي ، حتى إذا بدت للعيان حسنات ما جناه أهل هذه المنطقة في أنماطهم المعيشية وأوضاعهم الاجتماعية والخدمات المقدمة لهم ، حينئذ ومع أواخر الخمسينات تقريبا بدأ بقية الأفراد وعلى استحياء من أقاليم المملكة الأخرى بالتسرب نحو الشرق لذات الهدف ، أملا وتطلعا إلى قفزة جديدة افضل في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية ، عندما بدا لهم أيضا هذا الارتفاع النسبي في دخل الأفراد ، والتبدل الملحوظ في أوضاعهم المعيشية الخاصة التي أخذت الطابع الاستهلاكي في المقام الأول وسرعان ما أضحت هذه الظواهر هي السمة الأبرز على مستوى كافة الأقاليم ليست فقط بالمملكة العربية السعودية ، بل أيضا في كل الدول الخليجية النفطية أيضا.

الهوامش

(١) د. محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربيـــة "جغرافيـــة المملكـــة العربية السعودية" جــ ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٨٤

(٢) د. محمد عبد الحميد مشخص : الجغرافيا البشرية المعاصرة للمملكة العربيـــة السعودية ، جده ١٤١٦م/١٩٩٥م ، ص ص ٧٣/٧٤

(٣) حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ط ٥ ، القـــاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ١٤

(٤) محمد أحمد الرويثى : سكان المملكة العربيـــة الســعودية دراســة جغرافيــة ديموغرافية ، ط ٢ ، الرياض ، ١٤٠٠م/١٩٧٩م ، ص ٣٤.

(٥) د. عمر الفاروق السيد رجب : دراسات فى جغرافية المملكة العربية الســعودية ، جده ، ١٩٧٩ ، ص ١٦

(٦) وزارة المالية والاقتصاد الوطنى : مصلحة الإحصاءات العامة ، حصر السكان والإحصاءات العامة لعام ١٩٦٢م ، النشرة الأولى ، أبريل ١٩٦٣م

(٧) د. عمر الفاروق : نفس المرجع ، ص ٢٠٧

(٨) عمر رضا كحالة:جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكة المكرمة، ١٩٦٤، ص١٠٦

(٩) وزارة الزراعة والمياه : نتائج التعداد الزراعى الشـــامل لعـــام ٧٣/١٩٧٤م ، الرياض ، ١٩٧٧م

(١٠) مركز الوثائق والمخطوطات بدارة الملك عبد العزيز بالرياض ، رسالة تـأنيب من عبد العزيز بن سعود إلى فيصل الرويشى زعيم "مطير" ، محـــررة فـــى رجب ١٣٤٨هــ/١٩٢٨م

(١١) د. عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فـــى المنطقة الشرقية ١٣٥٢هــ/١٣٨٠هــ -١٩٣٣م/١٩٦٠م ، ط ٢ ، الريـــاض ١٤٠٩هــ/١٩٨٩م ، ص ص ٨٨/٩٩

(١٢) د. عمر الفاروق : المرجع السابق ، ص ص ٢٧٩/٢٨٠

(١٣) نفس المرجع : ص ٢٢٤

(14)Miksell (R. E.), Arabian Oil, North Carolina, 1949, P. 74

(١٥) د. السبيعى : المرجع السابق ، ص ص ١٣٠/١٣١

(١٦) حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ص ١٠٤/١٠٥

(١٧) عبد العليم على أبو هيكل : العلاقات بين عبد العزيز بن سعود وجماعة الإخوان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة عين شمس ، ١٩٧٦م

(١٨) فيدال (ف. ش) : واحة الإحساء ، ترجمة د. عبد الله ناصر السبيعى ، ط ١ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص ٦٠

(19) F. o. 371/13737/20078, Memorandum on Saud's Operations Against Rebel Akhwan, 15/4/1930

ولاستعراض هذا التاريخ البدائى انظر :

محمد بن عبدالله بن عبد المحسن آل عبد القادر : تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء فى القديم والجديد ، الجزء التاريخى ، الرياض ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م

(٢٠) أورد الزركلى بيانا بهذا التناقص على النحو التالى :

العام	العدد	العام	العدد
١٣٤٥هـ/١٩٢٧م	١٩٠٦٦٢	١٣٥١هـ/١٩٣٣م	٢٠١٨١
١٣٤٦هـ/١٩٢٨م	٩٦٢١٢	١٣٥٢هـ/١٩٣٤م	٢٥٢٩١
١٣٤٧هـ/١٩٢٩م	٩٠٧٦٤	١٣٥٣هـ/١٩٣٥م	٣٣٨٩٨
١٣٤٨هـ/١٩٣٠م	٨١٦٦٦	١٣٥٤هـ/١٩٣٦م	٣٣٨٣٠
١٣٤٩هـ/١٩٣١م	٣٩٠٤٥		
١٣٥٠هـ/١٩٣٢م	٢٩٠٦٥		

خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، جـ ٤ ، ط٢، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ص ١٣٣٧

---

(٢١) د. عبدالله السبيعى : اكتشاف النفط واثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية، المرجع السابق ، ص ٢٩ ، ص ٩٧

(٢٢) هناك كم هائل لا حصر له من المراجع والمصادر تتحدث عن جهود البحث والتنقيب عن البترول ، مما هو فى متناول الجميع وعلى سبيل المثال :

توتشيل (ك. س) : المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية ، ترجمة شكيب الأموى ، القاهرة عام ١٩٥٥

Longrigg, Stephen (H.), Oil in the Middle East, Oxford, 1954
Philpy (H. St. J.), Arabian Oil Ventures, Washington, 1964

(٢٣) سارعت سوكال بتأليف شركة خاصة للتنقيب عرفت باسم (كاليفورنيا أرابيان ستاندرد أوف أويل California Arabian Standard of Oil) وباسم (كاسوك – Casoc) ومع حصول شركة تكساس Texas Company على نصف ملكية الأولى ١٩٣٦ تغير الإسم ليصبح (شركة الزيت العربية الأمريكية) – أرامكو ، ومع ضخامة احتياطى النفط والرغبة فى التطوير أدخل شركاء جدد – شركة ستاندرد أويل أوف نيوجرسى (Standard Oil Co. of New Jersey المعروفة باسم إكسون Exxon وشركة موبيل أويل Sconoy Vacuum Oil Company (Mobil).

(24) Aramco, Daily Report, From Henry (S. B.), 19/11/1933

(25) Aramco, Daily Report, From Henry (S. B.), 13/12/1933

(26)Aramco, Daily Report, From Miller (R. P.), 17/2/1934

(٢٧) سعيد فالح الغامدى : البناء القبلى والتحضر فى المملكة العربية السعودية ، ط ١ ، جده ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٣٤ ، ص ص ٩٣/٩٤ وكذلك د. عبد الفتاح حسن أبو عليه : الإصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبد العزيز ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٦) الرياض ، ص ص ٢٣١/٢٣٢

(28)Aramco, Report from Research Department to Saudi Arabian Monetary Agency Statistical, Vol. I, March, 1964

(29) Ibid

(٣٠) وزارة المالية بالمملكة العربيـــة الســعودية ، الإدارة الاقتصاديـــة ، النشـــرة الإحصائية البترواية لعام ١٩٧١م ، السنة ٢ ، ص ٤٢

(31) Aramco, Daily Report, From Miller (R. P.), 22/9/1936

(32) Aramco, Daily Report, From Miller (R. P.), OP. Cit

(٣٣) د. عمر الفاروق رجب : المرجع السابق ، ص ٢٢٤

(34) Aramco, A Report on Assistance from Ross Barger to Department of State, 10/2/1946

(٣٥) بدأ فى تنفيذ شبكة من الطرق بين مدن الإحساء كالظهران والدمـــام والخـــبر وسيهات والقطيف وكانت تمثل نقطة بداية لمد خط أطـــول باتجـــاه العاصمـــة السياسية عام ١٩٤٣م :

أرامكو : تقرير شركة أرامكو السنوى عن عام ١٩٤٣م والمرفوع إلى حكومـة المملكة العربية السعودية

(٣٦) بدأ العمل لتنفيذ الخط الحديدى فى خريف عام ١٩٤٧م بين الدمام والريـــاض وبلغ طوله ٥٧٧ كم وبدأ تشغيله فى أكتوبر ١٩٥١م

أرامكو : تقرير شركة أرامكو السنوى عن عام ١٩٥١م والمرفوع إلى حكومـة المملكة العربية السعودية

(٣٧) بلغ طول الخط ١٠٧٠ ميلا ، أى ١٧٢١ كم بين الظهران وصيـــدا ، وأنفـــق على انشائه ٢٤٠ مليون دولار

(٣٨) حدد الزركلى هؤلاء الأجانب عام ١٩٤٩م على النحو التالى : إيطاليون ٧٨٧ يمنيون ٨٣٣ باكستنيون ٣٣٨ ، آخرون ١٥٧ ثم فلسطينيون. هنـــود ٥١٣ سودانيون ٤٥٩

.الزركلى : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٠٤

(٣٩) بيان بتاريخ اكتشاف الحقول حتى عام ١٩٤٧

تاريخ اكتشافه	اسم الحقل	تاريخ اكتشافه	اسم الحقل
١٩٣٨	الدمام	١٩٤٥	القطيف
١٩٤٠	أبو حدرية	١٩٤٩	عين دار
١٩٤١	بقيق	١٩٤٩	الفاضلى
		١٩٤٩	حرض

(40) N. A. U. S. A. 890 D/O1/631, Report from Hamilton (C.) to the Department of State, 13/5/1949

(41)1bid

كانت أرامكو تبعث بصورة من التقارير العامة الخاصة بها إلـــى الخارجيــة الأمريكية وتحتفظ بصورة منها لديها أيضاً.

(42) N. A. U. S. A., 890 D/O1/13/5/1949, OP.Cit

(٤٣) تقع على بعد ٢٨٠ كم جنوب شرقى الرياض

(٤٤) مقابلة مع حمد بن مشعان الدوسرى ، بمدينة الخرج يوم ١٣/٩/١٩٩٨م كـان يعمل "مراقب" عمال عام ١٩٤٦م على الطريق البرى بين الرياض والدمام.

(٤٥) مقابلة مع عبد الرحمن بن وليد العجمى بمدينة الرياض يـــوم ٨/١٠/١٩٩٨م كان يعمل كدليل ومساح فى خط التابلين عام ١٩٤٩م.

(٤٦) د. عبد الله السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية ، المرجـــع السابق ، ص ص ١٦٤/١٦٥

(47) N. A. U. S. A., 890 D/O1/372, Annual Report from Hamilton (C.), to the Department of State, 9/2/1950

(48) N. A. U. S. A., 890 D/O1/372, OP. Cit

(49) N. A. U. S. A., 890 D/O1/372, OP. Cit

(50) 1bid

(51) Aramco, A Report on Assistance from Ross Barger to Saudi Arabian Monetary Agency Statistical 14/2/1945

(52)1bid

(53)Aramco, A Report on Assistance, 14/2/1945

(54)1bid

(55)1bid

(٥٦) أم القرى : العدد ١٢١٢ ، ٢٠ رجب ١٣٦٦هـ/١٩٤٨م

(٥٧) أنظر أعداد العمال وجنسياتهم فى هذا العام ١٩٤٥م بالجدول

(58) N. A. U. S. A., 890 FO/17/10891, Report from Barger to Department of State, 3/8/1950

وجاء حديث مشابه تقريبا فى مقابلة مع "ضيدان حمد المطيرى" فى ١٨/٩/١٩٩٨م ، وكان يعمل ضمن فريق الحراسة بالخبر فى الفترة من ١٩٤٦م حتى ١٩٥٨م.

(59) 1bid

(60) N. A. U. S. A., 890 FO/12/1903, Report from Barger to Department of State, 19/9/1950

(61) N. A. U. S. A., 890 FO/12/1903, OP. Cit

(٦٢) كان المضربون فى هذين الحادثين من عشائر شيعية بعينها هى (آل سيار ، آل بريك وآل طريح من بنى خالد ومنهم عشائر من الدواسر). من مقابلات مع عبد الرحمن بن وليد العجمى وحمد الدوسرى وكلاهما كان يعملان بالغوص قبيل التحاقهما بالعمل بالبترول بعد عام ١٩٤٥م.

(٦٣) د. السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية ، ط ٢ ، الرياض ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ص ١٥٣/١٥٨

(64) Aramco, Annual Report from Richard (Sheldon), to department of State, 13/1/1951

(مهندس تنقيب من بداية يوليو ١٩٥٠م)

(٦٥) د. السبيعي : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية ،المرجع الســـابق ، ص ص ١٥٦/١٥٧

(66) Aramco, Annual Report from Richard (Sheldon), OP. Cit

(67)Aramco, Annual Report, 13/1/1951

(68)1bid

(٦٩) هذه الأسماء المذكورة وغيرها من ابرز الرأســـماليين حاليـــا فيالتســـعينات بالمملكة العربية السعودية ، وفى ذات المجال الذى بدأوا به أنشطتهم ، باستثناء (آل القصيبي) الذين كانوا من تجار اللؤلؤ والنواخذة.

(٧٠) أرامكو : تقرير شركة النفط العربية الأمريكية المقدم للحكومةالسعودية عـــن عامى ١٩٤٩/٤٨م

(٧١) حسين علي الشرع : التطور الاقتصادى فـــى المملكـــة العربيـــة الســـعودية ومستقبل التنمية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٣١

(٧٢) وثائق دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، وثيقة رقم ١٥٦ ، رسالة من سليمان العليان إلى مكتب العمل والعمال بالمنطقة الشرقية ، يشرح فيـــها الصعوبـــات والمعوقات التى يواجهها مع أقرانه بالمنطقة الشرقية في مد الخطوط الكهربائيه عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م

(٧٣) محمد عبد الحميد مشخص : الجغرافيا البشرية المعاصرة للمملكـــة العربيـــة السعودية، ص ٢٠٠ وهذه الشركات هى: شركة الكـــهرباء العامـــة ، شـــركة توزيع الغاز ، معمل ا لثلج ، شركة تعبئة المرطبـــات ، شـــركة المقـــاولات والخدمات العامة.

فى الحجاز وفى ذات الفترة :

أقيمت بعض (الشركات) وأن كان أصحابها ممن لم يكونوا عمالا وهى الشركة العربية للسيارات (للنقل داخل البلاد والحجاج) والشـــركة العربيـــة للتوفـــير والاقتصاد (كصندوق للتوفير ، وكان عملها أيضا حياكة ملابس رجال الشـــركة

والاستيراد التجارى) والشركة الاقتصادية الوطنية لطحن الحبوب وإنتاج الثلـج والشركة العربية للطبع والنشر (لطبع جريدة البلاد السعودية ومجلـة المنـهل والكتب المدرسية)وأخيرا شركة مصحف مكة (لطباعة المصاحف) وسـارت كلها على نفس وتيرة استقدام عمال أجانب أو متخلفى الحجيج.

الزركلى : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ص ٧٥٧/٧٥٨

(74)Lahmeger (W.), General Survey Report in the Development of Industries in Saudi Arabia, Frankfourt, 1961

المصادر والمراجع

أولا : الوثائق العربية :

وثائق دارة الملك عبد العزيز بالرياض

وثائق غير مرتبة رقميا بل تحت مسميات رئيسة لمصادرها

١- رسالة من عبد العزيز ، محررة فى رجب ١٣٤٨هـ/١٩٢٨م

٢- رسالة من سليمان العليان ، رقم ١٥٦ ، (رقم مرتبط بأعمال صاحب الوثيقة) فى ١٣٧٠هـ/١٩٥١م

ثانيا : وثائق أجنبية :

١- بريطانية : F. O. 371/17737/20078

٢- أمريكية : وهى وثائق محفوظة بأرشيف (أرامكو) كانت الشركة تبعث بتقارير لها إلى الحكومة الأمريكية وتحتفظ لديها بصورة منها وذلك فى قسم يحمل عنوان الأرشيف الأمريكى.

N. A. U. S. A.

1- 890 D/O1/631, 3/5/1949

2- 890 D/O1/372, 9/2/1950

3- 890 D/FO/17/10891, 3/8/1950

4- 890 D/FO/12/1903, 19/9/1950

ثالثا : تقارير شركة أرامكو :

(أ) تقارير شركة أرامكو المرفوعة إلى حكومة المملكة العربية السعودية لأعوام ١٩٤٣/١٩٤٩/١٩٥١

(ب) تقارير يومية كان يحررها مهندسان جيولوجيان عن العمل المنوط بهما

A- Henry (S. B.), 13/12/1933

, 19/11/1937

B- Miller (R. P.)

1- 22/9/1933

2- 17/2/1936

(جـ) تقارير كانت تبعث بها الشركة إلى الحكومة السعودية والحكومة الأمريكية ، لكنها ضمن الملفات الخاصة بالشركة

1- Report on Assistance from Ross Barger to Saudi Arabian Monetary Agency Statistical, 14/2/1945

2- Report from Research Department to Saudi Arabian Monetary Agency Statistical, Vol. I, March, 1964

3- Report on Assistance from Ross Barger to Department of State, 10/2/1946

4- Annual Report from Richard (S.), 13/1/1951

رابعاً : إصدارات حكومية سعودية :

١- وزارة المالية والاقتصاد الوطني : مصلحة الإحصاءات العامة ، حصر السكان والإحصاءات العامة عام ١٩٦٢م ، النشرة الأولى ، أبريل ١٩٦٣م.

٢- : الإدارة الاقتصادية ، السنة ٢ ، النشرة البترولية لعام ١٩٧١م

٣- وزارة الزراعة والمياه : نتائج التعدد الزراعى الشامل لعام ١٩٧٤/٧٣م ، الرياض ، ١٩٧٧م

خامساً : المقابلات الشخصية :

١- مقابلة لعدة أيام مع حمد بن مشعان الدوسرى ، مقيم بمدينة الخرج ، كان يعمل مراقبا بالطريق البرى بين الرياض والدمام عام ١٩٤٦م

٢- ضيدان حمد المطيرى : مقيم بالرياض ، عمل بحراسة المعدات ومخازن الشركة بمدينة الخبر ، حتى عام ١٩٥٨م

٣- عبد الرحمن بن وليد العجمى : مقيم حاليا بالرياض ، عمل كدليل ومساح عند إنشاء خط التابلين عام ١٩٤٩م.

سادسا : رسالة ماجستير غير منشورة :

عبد العليم على أبوهيكل : العلاقات بين عبد العزيز بن سعود وجماعة الإخوان١٩١٢م/١٩٣٢م - كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٧٦م

سابعا : مراجع عربية ومترجمة :

١- توتشيل (ك. س) : المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الطبيعية ، ترجمة ، شكيب الأموى ، القاهرة ١٩٥٠م

٢- حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٧م

٣- حسين على الشرع : التطور الاقتصادى فى المملكة العربية السعودية ، ومستقبل التنمية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

٤- خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، أربعة أجزاء ط ٢ ، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

٥- سعيد فالح الغامدى : البناء القبلى والتحضر فى المملكة العربية السعودية، ط ١ جده ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

٦- د. عبد الفتاح حسن أبو عليه : الإصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبد العزيز ، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز (٦) ، الرياض ، بدون تاريخ.

٧- د. عبد الله ناصر السبيعى : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية فى المنطقة الشرقية (١٣٥٢هـ/١٣٨٠هـ) (١٩٣٣م/١٩٦٠م) الرياض ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

٨- ______________ : اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاجتماعية فى المنطقة الشرقية (١٣٥٢هـ/١٣٨٠هـ) (١٩٣٣م/١٩٦٠م) الرياض ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

٩- عمر رضا كحالة : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، مكة المكرمة ، ١٩٦٤م

١٠- د. عمر الفاروق السيد رجب : دراسة فى جغرافية المملكة العربية السعودية ، جده ، ١٩٧٩م

١١- فيدال (ف. ش) ، واحة الإحساء ، ترجمة د. عبد الله ناصر السبيعى ، ط ١ ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

١٢- محمد أحمد الرويثى : سكان المملكة العربية السعودية ، دراسة جغرافية ديموغرافية ، ط ٢ ، الرياض ١٤٠٠هـ/١٩٧٨م

١٣- د. محمد عبد الحميد مشخص : الجغرافيا البشرية المعاصرة للمملكة العربية السعودية ، جده ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

١٤- محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القـــادر : تحفــة المســتفيد بتاريخ الإحساء فى القديم والجديـــد ، الجــزء التــاريخى ، الريــاض ، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

١٥- د. محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيـــرة العربيــة "جغرافيــة المملكة العربية السعودية" ، جــ ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٢م

ثامناً : مراجع أجنبية :

1- Lahmeger (W.), General Survey Report in the Development of Industries in Saudi Arabia, Frankfourt, 1961

2- Longrigg, Hemsley (S.), Oil in the Middle East, Oxford, 1954

3- Miksell (R. E.), Arabian Oil, North Carolina 1949

4- Philpy (H. St. J.), Arabian Oil Ventures, Washington, 1964

تاسعاً : دوريات :

- أم القرى : العدد ١٢١٢ ، ٢٠ رجب ١٣٦٦هـ/١٩٤٨م

مورفولوجيا الأساليب الفنية الإسلامية المحلية
وأثرها على الطابع الفنى العام

د. عصام عرفه محمود

كلية التربية الأساسية – الكويت

مقدمة

إن النهضة الفنية العظيمة للفنون والعمارة الإسلامية ، على اختلاف مدارسها ومناهجها لم تنشأ من فراغ عبر الولايات الإسلامية ، وخلال أزمنتها المتعاقبة ، بل كانت هناك عوامل وتأثيرات تأسست عليها الحركة الفنية ، وأسهمت فى إثرائها حتى وصلت أساليبها إلى ما هى عليه من تنويعات وإبداعات فنية راقية .

كما وقد أثرت هذه العوامل تأثيرا مباشرا فى القائمين على هذه النهضة وعلى رأسهم المعمار ، والفنان ، والخطاط . فهى عوامل كانت ذات أثر فعال فى إنماء وتوجيه فكر ووجدان هؤلاء الفنانين ، وذلك تأثيرا إما إيجابيا وإما سلبيا . وقد تمثل ذلك فيما كانت إمكانات كل عصر ودولة ، وما كان عليه مستوى وكم ما توافر من عوامل مؤثرة ، وهو الأمر الذى أكد الشخصية الفنية الإسلامية فى أحيان ، وأضعفها فى أخرى وإن ندرت حالاتها ، ففى كل فترة زمنية من حياة الشعوب تفرض طبيعة وروح العصر وجودها على الفنان ، وتميل إلى التعبير عن نفسها بواسطة فن أو مجموعة من الفنون السائدة .

والأمر هنا فى هـذا البحـث شـديد الخصوصيـة ، ويـدور حـول مورفولوجيا[١] الأساليب [٢] الفنية الإسلامية . أى تحليل الأسـاليب بصـورة شمولية من أجل الوصول إلى العلاقة التبادلية بين الأساليب الفنية المحليـة ، وبين الطابع العام المميز لها ، وأثرها فى تأكيد العلاقـة أو إضعـاف هـذا الطابع العام ، والهدف هنا هو التحليل الأسلوبى القائم على شـمولية الرؤيـة لمختلف الأساليب الفنية ، وإلى أى حد كانت حدود اتساع وانتشار كل أسلوب محلى ، وقدر أثره فى تأكيد أو إضعاف الطابع العام الفنى ، وذلـك اسـتنادا على سمات الأسلوب ، والعوامل التى أثرت فى تأكيده أو إضعافه ، لما لذلـك من أثر على تطور تاريخ الأساليب ، وتاريخ الثقافة بوجه عام.

وعلى اعتبار أن انتقال الأسلوب – أو تأثيرات منه – من بيئة ثقافيـة إلى أخرى هو أمر يجعله يتغير فى حدود ، أو ربما يتغير بدرجة تجعله ينحو إلى مسمى جديد ، كما وأن طول بقاء هذا السلوب داخل نطاق فن ما ، وفـى إطار المكان والزمان والشعب ، من شأنه أن يدخل عليه بعـض التنـوع أو التغيير تأثرا بمتغيرات الزمان ، وثقافات الشعوب ، ذلك أن حاجـات جديـدة وموارد وتقنيات جديدة تحدث – بحكم الضرورة – هذا التغير فى الأسلوب .

فالأصول البنائية للشخصية الفنية الإسلامية ، المحلية منها والوافـدة ، هى دعامة الانطباع العام لهذه الشخصية التى نضجت عبر الزمان والمكـان ، وكان لذلك أثره – عبر العصور – إما فى دعم واستقرار هـذه الشـخصية الفنية ، وإما فى إضعافها وخفوتها . الأمر الذى حتم ضرورة البحـث حـول مدى تقارب أو تباعد الأساليب الفنية المحلية بالولايات الإسلامية ، وأثر ذلـك على تأكد أو إضعاف الشخصية الفنية الإسلامية العامة وهو الأمر الذى حتـم البحث فى مورفولوجيا وتركيب هذه الأساليب الفنية المحلية ، لما لها من أثـر على تكوين الشخصية الفنية الإسلامية ، وطابعها العام .

أولاً : الأصول البنائية للشخصية الفنية الإسلامية :

على الرغم من أن المبادئ الأساسية لبناء العمل الفنى واحـــدة ، فـــان أشكال الفن ورموزه لابد وأن تختلـــف بـــاختلاف متطلبـــات الحيـــاة ، وأن تطبيقات الفن لابد وأن تختلف باختلاف الحضارات ، رأى باختلاف المكـــان وعبر الزمان .

فالعلاقة بين أشكال الفن ووظائفه تدعو للجزم بأن الأســس والقوانيــن التى ينبنى ويتأسس عليها العمل الفنى هى واحدة . أما مكونات الهيئة الكليـــة المتمثلة فى أشكال وعناصر بناء التكوين ، فهى متغيرة ومتعددة وفقا لثقافــات الشعوب .

وإذا كان هناك أصول بنائية تأسست عليها الشخصية الفنية الإســلامية ، فإن بعض هذه الأصول التى تنتمى إلى حضارات محيطة بالمنطقة العربية ، وسابقة على الإسلام ، قد تحدر – عبر العصور – واستمر منـــها تـــأثيرات ضمت العديد من العناصر الفنية ، كبعض العناصر المعمارية أو الزخرفيـــة ، الهندسية منها والنباتية[٣] فضلا عما تحدر واستمر من أسس هندسية .

وإن ما تحدر من هذه العناصر والأسس لابد وأنه كان ينتمى إلى تلـــك الحضارات كبيئات أصلية لها . فهى انعكاسات لثـــقافاتها . إلا أنه قد حـــدث لهذه العناصر المتحدرة أن انتقلت إلى البيئة العربية – فى مهد الحركة الفنيـــة الإسلامية – لشغل فراغاً كان قائما بالفعل على جـــدران العمـــائر ، وبيـــن عناصرها المعمارية – وعلى صفحات ورقوق الكتـــب ، وأســـطح التحـــف المنقولة ، وبين سدى ولحمة المنسوجات[٤] .

وعلى الرغم من أن هذه التأثيرات الفنية قد غـــزت الأعمـــال الفنيـــة التشكيلية والمعمارية فى فنون القرون الأولـــى الإســـلامية ، إلا أن بعـــض

عناصرها قد اندثر عبر العصور ، والبعض الآخر قد استمر أو تحور[٥] ، فهذه التأثيرات والبعض ـ وهى على صورتها الأولى – كانت ولا شك شديدة التوافق مع بيئاتها الأولى التى انحدرت منها ، ثم تحولت إلى ظاهرة فنية فى البيئة الجديدة الإسلامية ، فمفاهيم الجمال تتغير بتغير الأفكار والثقافات والعصور .

يؤكد التاريخ وتؤكد تلك العناصر التى أتت كتأثيرات وظلت باقية على المنتج الإسلامى قرونا طويلة ، وأن ما تحدر وبقى منها عبر العصور ، هو ما تشابه واستمر عبر التاريخ على الآثار والتحف المنقولة ، وهى كظاهرة فنية جديدة فى البيئة الإسلامية قد تحولت فيما بعد إلى نمط عام للفنون ، فالعنصر المتحدر إذا ما بقى فإنه يصبح ظاهرة فى البيئة الجديدة ، ثم لا يلبث أن يتحول إلى نمط عام لفنون هذه البيئة .

الأمر الذى يؤكد أن العناصر الفنية الناتجة عن تأثيرات وافدة فإنها قد تندثر ، أو قد تستمر ، أو قد تتحور ، لكن فى جميع الأحوال هناك عامل شديد التأثير ، وهو قدرة الفنان على استغلال هذه العناصر وتنميتها بما يوافق والبيئة الجديدة ، فبعض الأعمال المعمارية أو الفنية تعد سلسة من استعارات فنية ناتجة عن تأثيرات خارجية ، لكن إن أسىء استغلالها ، وإما أبدع الفنان فى توظيفها فنياً ، وربما يتوافق وثقافة البيئة الجديدة ، وهو الأمر الذى يؤدى إلى اندثار التأثيرات ، أو استمرارها .

ويمكن القول بأن ما بالميراث الفنى من عناصر وافدة كتأثيرات ، وما بقى منها ، قد شمله تحوير الفنان ، من أجل أن تتكيف هذه العناصر مع البيئة الجديدة ، بل ويمكن القول بأن هذه العناصر – بعد تحويرها – قد أسهمت فى بناء الشخصية الفنية الإسلامية إن تحدر هذه العناصر من بيئات مختلفة ، وتكيفها مع البيئة الفنية الجديدة ، والثقافة السائدة ، أكسبها جوهرا

جيدا ، عكس إلى جانب غيره من العناصر المحلية مظهرا عاما متفردا ، عرف فيما بعد بالطابع العام الإسلامى .

إن هذا الميراث الفنى قد أسهم مع غيره من الإبداعات الإقليمية المحلية بمختلف الولايات الإسلامية . فى بناء ظاهرة الأسلوب(٦)، أو الشخصية الفنية الإسلامية.

ثانيا : نضج الأسلوب الفنى الإسلامى المحلى :

إذا كان الميراث الفنى من تأثيرات خارجة وإبداعات محلية إقليمية قد أسهم فى بناء ظاهرة الأسلوب ، أو بناء الشخصية الفنية الإسلامية ، فإنه كان لابد لهذه التأثيرات الخارجية والإبداعات المحلية من أن تمر بمراحل فنية فى ولاياتها وعبر مختلف العصور ، من أجل إحداث مزيد من النضج الفنى ، والتكيف مع متغيرات الفكر الفنى المحلى ، وحتى تمثل انعكاسا صادقا لثقافة كل ولاية إسلامية على اختلاف مواقعها وأزمنتها ، وهو التكيف الذى يؤدى إلى نضج الأسلوب الفنى ، واستقرار طابعه العام المحلى ، الذى يؤثر بدوره فى الطابع العام الإسلامى .

لقد مر الأسلوب الفنى الإسلامى المحلى بتغيرات عديدة تمثلت أهم أهدافه فى :

(أ) إحداث مزيد من التكيف مع متغيرات البيئة الثقافية المتنوعة من ولاية إسلامية أخرى .

(ب) إحداث مزيد من العمق الجمالى .

إن التكيف الجمالى لكل عنصر من عناصر بناء التكوين الزخرفى ، أو لكل عنصر معمارى ، لابد وأنه قد شغل فكر الفنان والمصمم ، إما بصورة واعية وإرادية ، وإما بصورة لا إرادية بدأت عند أحد الفنانين ، وتنامت عند

آخر ، واكتملت فى زمن لاحق وليس أدل على ذلك من تلك العناصر الزخرفية والمعمارية التى ظهرت فى بداية العصور الإسلامية ، ولم يلبث بعضها أن تجرد فى بعض الولايات ، وتطور فى البعض الآخر[٧] .

إن هذا التغير التطورى[٨] يعترى الحركات الفنية عبر العصور ، ويعتبر "مونرو"[٩] التغير التكيفى " تغير يساعد على بقاء النمط ، إما عن طريق تغييره لنفسه ، أو تغييره لبيئته" ، أى إما عن طريق تغيرات تعترى العناصر المعمارية ، والزخرفية بتعمد ، وإما أن يوضع هذا العنصر فى بيئة جمالية أو عمل معمارى ، أو تكوين زخرفى ، أكثر تلاؤما مع هذا العنصر .

كما وأن هذا التطور يعنى " التعديل التدريجى التكيفى لأنماط أسبق وجودا مع نشأة أنماط جديدة"[١٠] وهو المفهوم الذى يتوافق مع ما حدث بعناصر الأعمال الفنية المعمارية والمنقولة ، وما اعتراها من تغيرات متعددة تدرجت عبر العصور حتى استقرت واكتملت وأسهمت إلى جانب غيرها من العناصر المحلية ، فى جلاء صورة الأسلوب الفنى الإسلامى بصفة عامة ، كطابع عام ، وبصورة جزئية كطابع خاص محلى ، متقارب فيما بين مختلف الولايات ، ولكن مع وجود خصوصية إقليمية ، نشأت نتيجة لارتباط العناصر الفنية المعمارية والزخرفية بالثقافات المحلية للولايات الإسلامية .

ثالثا : التصادم الحضارى وأثره على التعقيد التطورى للأسلوب الفنى الإسلامى :

إن عملية التطور الفنى قد تمت نتيجة " عملية واسعة النطاق من التحدر (عبر العصور) مع التغير التكيفى "[١١] وفقا لمختلف البيئات ، حيث أدى هذا التطور[١٢] التراكمى إلى ظهور صور أكثر تعقيدا ، أو أكثر بساطة، ومتباينة فى ذلك من ولاية لأخرى[١٣] ، وكانت بعض هذه التغيرات تغيرات تكيفية[١٤] ، أى تغيرات لم تؤثر فى تطور الأسلوب بقدر ما أثرت فى مزيد

من التكيف والانتماء مع البيئات الثقافية المحلية ، ولكن عبر الزمان اعـــترى الطابع المحلى لبعض الولايات الإسلامية شئ من الانتكاس[١٥] الـــذى أثـــر بدوره على الطابع العام ككل . وهو الأمر الذى قد تكرر فى أرجاء وأزمنـة ، مختلفة من العالم الإسلامى ، نتيجة لغزو عسكرى أدى بالضرورة إلى انـهيار حضارى ، مثلما حدث نتيجة للغزو المغولى الذى ضرب الأمة الإسلامية فـى أطرافها الشرقية ، وأدى إلى ارتداد الطرز الفنية المحليـة Reversion [١٦] فى هذا الموقع من الشرق[١٧] ، بينما استمر التعاقب أو التقـدم Progression فى أقطار أخرى ، فذلك الارتداد يعد بمثابة تغير واسع النطـاق أثـر علـى الطابع العام الإسلامى ، على غير ما قد حدث فى غرب العـالم الإسـلامى بالأندلس ، فقد كان بمثابة تغير فنى على نطاق أصغـر ، نظـرا لمحدوديـة تأثيره الذى انحصر فى الأندلس [١٨] دون امتداده إلى باقى الدول الإسـلامية بغرب العالم الإسلامى .

وفى شرق العالم الإسلامى ساد نوع من الفوضى لفترة زمنية محـدودة حتى استقرت الأوضاع العسكرية والاقتصادية ، ومن ثـم الحيـاة الثقافيـة والفنية ، وهى الفترة التى قد صحبها انحـلال Dissdution فـى معظـم مجالات الحياة الفنية، نتج عن تطور تراجعى Prograde - Evolution أو تخلف فنى رغم محدوديته الزمنية ، ففى شرق العالم الإسلامى كان الـتراجع محدود الزمان ، بينما فى غربه كان محدود المكان .

إن تطور الطابع الإسلامى . فى هذه الأثناء – قد اعـتراه شـئ مـن التعقيد التطورى والذى تبادل دوره مع التراجع والانحطاط الجزئى بـالفنون والطرز المحلية بشرق العالم الإسلامى على وجه الخصوص ، والـذى أدى إلى حالة من الغموض اعترت الكثير مـن العنـاصر ، بـل والكثـير مـن التركيبات التكوينية فى شتى مجالات الفنون .

وكان من الصعب على المعاصر لتلك الفترة أن يتنبأ بما سوف تـؤول إليه أشكال العناصر المعمارية والزخرفية فيما بعد .

فذلك الاصطدام الحضارى بين المنتج الفنى المعمارى والمنقول الإسلامى ، وبين ما أفرزه كل من الغزو القسرى الفنى المغولى فى الشرق ، والمسيحى الأسبانى فى الغرب قد أثر فى المكونات الفنية ، الأمر الذى خلف التعقيد التطورى ، أى التراجع الفنى لهذه المكونات الفنية ، نتيجة للخلط المفاجئ بين العناصر الفنية المحلية ، وبين العناصر الفنية الممثلة لتأثيرات الغزو .

ويمكن القول بأن ما تحدر واستمر بعد ذلك من عناصر فنية محلية ، ومن أسس هندسية محلية ، هى عناصر وأسس قد قاومت الغزو القسرى ، وظلت إما على هيئتها السابقة على الغزو ، وإما متحورة ، ومتأثرة فى بعض أجزائها بالفنون الغازية ، كنزعة فنية مضاد ، كما وأن ما تحدر واستمر من هذه العناصر الغازية ، قد أحدث فى تلك الأثناء نوع آخر من الخلط الفنى الجمالى الجديد ، وذلك بفضل ذكاء الفنان المسلم الذى أحس استخلاص أفضل ما فى هذه التأثيرات الوافدة ، مع الحفاظ على الروح الفنية الإسلامية فقد أدت هذه التأثيرات إلى حدوث طفرة فنية محلية ، ولم تلبث بعد فترة زمنية أن أصبحت مكوناتها جزءاً أساسيا من مكونات الطابع الفنى المحلى الإسلامى ، وكأن ما قد حدث من غزو فنى إنما قد جرى من أجل إحداث هذه الطفرة الفنية فى شرق العالم الإسلامى .

وبالدراسة المورفولوجية ، التحليلية للتركيب البنائى للطابع الإيرانى المحلى كمثال لإيضاح مدى أثر العناصر الوافدة على الفنون المحلية ، فى هذه الفترة الزمنية ، ومن خلال المقارنة بين ما يلى :

(أ) الطابع المحلى الإيرانى الإسلامى قبل الغزو المغولى .

(ب) الطابع المحلى الإيرانى الإسلامى بعد الغزو المغولى .

وبالدراسة التحليلية لهذين الأسلوبين وفق العناصر الشكلية المكونة لكل منها ، يمكن ملاحظة مدى الاختلاف وقدر التشابه فيما بين كل أسلوب وآخر، وذلك تطبيقيا على مجال " التصوير " كأحد الفنون الأغزر تأثرا ، والأكثر وضوحا فى اختلافاته – فى هذه الدراسة – لما اشتمل عليه من تأثيرات[١٩] .

يتضح من هذه الدراسة التحليلية أثر التصادم الحضارى –فى الجناح الشرقى من العالم الإسلامى – على الفنون المحلية ، متمثل ذلك على أحد أهم هذه الفنون الذى تحول بشدة من المحلية ، إلى المغولية لفترة امتدت حوالى (مائة عام) ، وهو الأسلوب المغولى الذى ارتد مرة أخرى إلى الأسلوب السلجوقى المحلى فى بعض سماته ، محدثا أسلوبا وسطا ضم فى طياته كل من الأسلوبين : المحلى السلجوقى ، والمغولى ، بعد حوالى (مائة عام) من سيادة التأثيرات المغولية .

فهذا التدخل الحضارى فى شرق العالم الإسلامى يعد أهم حدث أثر فى الطابع المحلى للولايات الإسلامية ، خاصة الشرقية منها ، بعد تلك التأثيرات التى قد حدثت فى مهد الحركة الفنية الإسلامية ، بالقرنين الأول والثانى الهجرى ، والتى تمثلت فى التأثيرات الشرقية الساسانية والغربية البيزنطية والرومانية .

رابعا : تشابه واختلاف الأساليب الفنية المحلية بالولايات الإسلامية وأثرها على تكوين الطابع العام الإسلامى :

هناك من الأنماط المحلية – بكل ولاية من الولايات الإسلامية – ما قد تكرر مرة بعد أخرى عبر مختلف العصور ، مع بعض التغيرات القسرية ، وهى التغيرات التى امتدت إلى أساليب التكوين ، وطرائق تنظيم العمل الفنى، وأسسه الهندسية ، وأشكال عناصره ووظائفه .

إن استمرارية هذه القواعد والأسس الفنية – فى أى عصر – تؤدى عادة إلى بقاء النمط[٢٠] واستمراره وفقا للمفهوم التطورى للفن[٢١] ، كما وأن التخلى عن هذه الأسس يؤدى إلى تراجع النمط ، ويتوقف ذلك على المتغيرات الثقافية والفنية بكل مجتمع أو ولاية إسلامية ، وإذا ما قدر للنمط الفنى أن يستمر ويبقى ، على الرغم مما قد يعتريه من تغيرات صغيرة ، أو طفرات كما حدث فى معظم الولايات الإسلامية – فإن ذلك يكون له انعكاساته المباشرة على محاولة التزام الطابع العام الإسلامى والمحافظة عليه ويكون كذلك بفضل جهود المهندسين والفنانين ، سواء كان ذلك بصورة إرادية ، أو بصورة لا إرادية .

ويرى الباحث أن مقومات المحافظة على وحدة الطابع العام الإسلامى واستمراريته تمثلت فى توافق وتشابه العناصر المعمارية والزخرفية ، فيما بين مختلف الولايات الإسلامية ، رغم الاختلافات النوعية المحدودة ، ووحدة الأسس الهندسية ، ووحدة أساليب التكوين بالأعمال المعمارية والمنقولة ، وما يغطيها من تكوينات زخرفية ، وإن تنوعت فى بعض مظاهرها عبر الولايات الإسلامية ، فضلا عن تقارب الثقافات المحلية بمختلف الولايات الإسلامية ، نتيجة لوحدة الثقافة واللغة والميول والاتجاهات ، وكذلك تشابه أساليب تحدر[٢٢] الفنون وتوارثها عبر الولايات الإسلامية ، فأساليب تحدر وتوارث الفنون لها أهميتها فى إرساء قواعد شيوع الطابع العام الإسلامى .

فالنمط أو الطابع العام الفني يحدد دائما وفقا للسمات المتشابهة التى تشيع بين كل فن من الفنون ، بمختلف الولايات الإسلامية ، والتى تأتى فى تعاقب زمني متواترا .

وحين تكون الصلة وثيقة بين أنماط الولايات المختلفة يكون هناك تأثير بين مختلف فنونها ، وهو الأمر الذى يتأتى باحتكاك فنانيها بعضهم البعض،

ويتناقل الأعمال والأفكار الفنية ، وهو ما ينعكس بدوره على تقارب أو تباعد الطابع العام المحلى ببعض الولايات ، عما هو سائد بولاية أخرى . فتقارب أو تباعد الأساليب الفنية المحلية هو الذى يؤكد إما وضوح الطابع العام الإسلامي ، وإما ضعفه وخفوته .

ويرى الباحث أن المحافظة على الطابع الإسلامى يكون بتعمد تقارب الأساليب الفنية المحلية على الرغم مما قد يعترى هذه الأساليب المحلية من تغيرات ، فهذه الأساليب أو الأنماط الفنية " تتحدر لكن مع التعديل عبر الزمن ، وينطوى تحدرها على الكثير من الانشطار إلى أنماط أصغر ، أو الامتزاج بأنماط أخرى لتكوين أنماط موحدة[٢٣] ، فأى نمط أو أسلوب إنما يتعدل من أجل أن يتكيف مع متغيرات البيئة الثقافية والفنية ، وهى المتغيرة من ولاية لأخرى ، وهو ما ينتج عنه – بصورة مباشرة – تقارب الأساليب المحلية أو تنافرها .

إن إثبات وضوح وشيوع الطابع العام الإسلامى فيما بين الولايات الإسلامية ، يتطلب إثبات تقارب الأساليب الفنية المحلية بمختلف الولايات الإسلامية وهو الأمر الذى يتطلب بيان العناصر الفنية أو المعمارية الثابتة نسبيا في الظاهرة الفنية أو الأسلوب الفنى فى ولاية إسلامية ما ، كذلك البحث عن العناصر ذاتها فى الأسلوب الفنى الشائع فى ولاية إسلامية أخرى، أو البحث عن العناصر ذاتها فيما بين عصر وآخر فى دولة ما ، حيث أن محصلة هذا التشابه فى العناصر الشائعة بمختلف الولايات ، أو العصور الإسلامية هو الذى يؤكد قوة أو ضعف الطابع العام الإسلامى .

وليس فقط التشابه فى العناصر المعمارية أو الفنية هو الذى يسهم فى بيان وضوح الطابع العام، ولكن يسهم فيه أيضا التشابه فيما بين ما تتضمنه الأعمال الفنية المعمارية أو المنقولة من أسس هندسية وأخرى فنية .

وعلى سبيل المثال تتمثل الأنماط المحليـــة فـــى أشـــكال وعنـــاصر التكوينات الزخرفية النباتية على العمائر الدينية بمصـــر ، عـــبر عصورهـــا الإسلامية وحتى العصر التركى فى هذا الجدول :

العصر	العناصر الزخرافية (أوراق نباتية وثمار)										
	آحادية الفصوص	أكانتس	ثلاثية الفصوص	خماسية الفصوص	مروحة نخيلية	عنقود عنب	تماثل هندسى	تجريد فنى	وريده مستديرة	عناصر هندسية	عناصر كتابية
ق ١هـ		√	√	√						√	√
ق ٢ هـ		√	√	√						√	√
العباسى والطولونى ٢١٢ – ٢٩٢	√		√		√		√	√		√	√
الفاطمى ٣٥٨ – ٥٦٧	√		√		√		√	√	√	√	√
الأيوبى ٥٦٧ – ٦٤٨	√		√		√		√	√		√	√
المملوكى البحرى ٦٤٨ – ٧٨٤	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√
المملوكى البرجى ٧٨٤ – ٩٢٣	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√
التركى ٩٢٣-١٢٦٥	مراوح نخيلية ، زهرة القرنفل ، الورود ، الكرم ، ثمار الرومان ، أشرطة السحاب ، زهرة اللوتس ، التجريد										

من هذا الجدول يمكن ملاحظة ثبات تكرار العناصر النباتية المتمثلة فى الأوراق النباتية أحادية الفصوص وثلاثية الفصوص وأنصاف المراوح النخيلية إلى حانب العناصر الهندسية والكتابية ، فضلا عن وجود بعض الظواهر الفنية المتمثلة فى التجريد والتماثل ، وذلك عبر مختلف العصور بمصر منذ القرن الأول الهجرى وحتى القرن العاشر ، ولم يشذ عن هذا التواتر سوى العناصر الزخرفية التى وردت إلى مصر عبر الأعمال الفنية التى تنسب إلى العصر التركى (٩٢٣ -١٢٦٥هـ).

والظاهرة ذاتها تنسحب على ثبات تكرار بعض العناصر الهندسية دون غيرها عبر عصر المماليك البحرية بمصر ، وعلى عدد من العمائر الدينية جاوزت الثلاثة والعشرون أثرا كانت موضع بحث .

وقد تمثل ذلك فى شيوع الشكل المستدير بالأسس الهندسية الخاصة بتكوينات عصر المماليك البحرية بمصر ، ويلى الشكل المستدير فى الشيوع الشكل السداسى ثم الشكل المثلث والشكل النجمى السداسى ، ثم الأشكال الأقل شيوعا وهى المتمثلة فى الشكل النجمى ذو الأثنى عشر محورا ، ثم الشكل المربع والنجمة الثمانية ، فالنجمة العشارية وهى أندر الأشكال شيوعا[٢٤] ، من ثم فإن ما شاع من هذه العناصر الهندسية دون غيرها وعبر آثار أحد عصور مصر الإسلامية ، وهو عصر المماليك البحرية هو الذى يؤكد استمرارية الطابع العام الإسلامى عبر آثار أحد العصور بمصر والذى يعد امتدادا لما ساد من طابع عام عبر ما قبل المماليك البحرية .

فالمتكرر والمتشابة من العناصر الزخرفية عبر العصور المختلفة بمصر ، هو الذى يشكل استمرارية الأسلوب ، ويسهم فى استمرارية ودوام الطابع الإسلامى للتكوينات الزخرفية بمصر ، فإنه على قدر كثرة المتشابهات أو قلتها يكون قدر تأكد وضوح الطابع العام أو تأكد ضعفه ،

وإلى جانب هذه المتشابهات من العناصر الزخرفية النباتية والهندسية والكتابية ، فإنه يأتي دور الأسس الهندسية الخاصة بهذه التكوينات ، وهي الأسس التي تناقلتها الأجيال وكررتها في أعمالها الفنية ، عبر مئات السنين ، والتي لها عظيم الأثر في تأكيد وحدة الأسلوب واستمرارية الطابع العام ، فضلاً عن التزام بعض الأسس الفنية ، والتي تمثلت – على سبيل المثال – في شيوع قاعدة التماثل في التكوينات الزخرفية الجدارية الاسلامية ، الهندسية منها والنباتية ، حيث تعد من أهم الأسس التي أعطت التكوينات الزخرفية شخصيتها المميزة ، فضلا عما استخدمه الفنان من عناصر زخرفية نباتية تكررت عبر العصور ، وكانت بعضها عناصر زخرفية تنتمي تماما إلى الفكر الفني الإسلامي ، مثل الورقة النباتية ثلاثية الفصوص ، فهي عنصر زخرفي إسلامي الأصل والمنشأ بذل فيه المصمم جهده الفني خلال العصور والولايات الإسلامية من أجل تجديدها وتنويع مظهرها وتصميماتها، فكانت من العناصر التي شاعت وأكدت استمرارية الطابع العام الإسلامي ، إلى جانب غيرها من العناصر التي وفدت كتأثيرات أو استلهمها الفنان من فنون وعمائر الحضارات المجاورة ، وذلك بالإضافة إلى شيوع أساس فني هام بالتكوينات الزخرفية ، أسهم في تأكيد الطابع العام للزخارف الإسلامية ، وهو" التجريد " حيث شاع بمعظم العناصر الزخرفية الداخلة في بناء التكوينات الزخرفية ، عبر العصور والولايات الإسلامية ، إلا فيما نذر من عناصر كانت قريبة من الطبيعة ، وكانت نتيجة لتأثيرات وفدت ، مثل ورقة الأكانتس التي شاعت على جدران بعض عمائر عصر المماليك البحرية ، والمتمثلة في تكوينات مدرستي صرغتمس والسلطان حسن (القرن الثامن الهجري) والتي تشبه تلك التي كانت بالمسجد الأقصى على العوارض الخشبية (٦٣هـ) ، وكذلك تلك التي كانت على تيجان الأعمدة الحاملة لعقود المثمن الأوسط بقبة الصخرة (٧٢هـ)[٢٥].

إن كم ما هو متكرر ومتشابه من عناصر معمارية أو زخرفية ، ومـــن أسس هندسية وأخرى فنية هو المعيار الذى يؤكد قوة أو ضعف الطابع العـــام الإسلامى فيما يلى :

(أ) فى العصر الواحد وعبر آثاره المعمارية والمنقولة .

(ب) فى الدولة الواحدة وعبر عصورها المختلفة .

(جـ) فى العالم الإسلامى وعبر ولاياته المختلفة فى عصر ما .

(د) فى العالم الإسلامى وعبر ولاياته وعصوره وفنونه المختلفة .

حيث أن التأثير المتبادل فيما بين ثقافات وفنون العصـــور المتعاقبـــة ، بكل ولاية من الولايات الإسلامية ، هو ظاهرة دائمة ، كما هو الحال فى أيـــة ثقافة متماسكة قوية الروابط ، فالثقافات والفنون المحلية بكـــل ولايـــة تؤثـــر تأثيرا كبيرا على الكل الثقافى العام ، وبصور تتفاوت من عصر لآخر ، ومن ولاية وبيئة ثقافية لأخرى ، ومنها يستمد الطابع العام قوته أو ضعفه .

فالطابع العام يؤكد عن طريق تكرار بعض أو كل السمات الموحى بـــها فى فنون العمارة والتحف المنقولة ، ومن ثم فإن شدة قرب أو بعـــد الطـــابع المحلى لفنون ولاية ، أو عصر ما ، عن الطابع المحلى لبـــاقى الولايـــات أو العصور المختلفة ، إنما يتحكم فيه معايير هندسية وفنية يتمثل أهلها فيما يلى:

١ - مدى توافق أو اختلاف شكل العنصر المعمارى أو الزخرفى فيما بيـــن الولايات ، أو العصور الإسلامية المختلفة .

٢ - مدى توافق أو اختلاف أسلوب تجميع واتحاد العنـــاصر المعماريـــة أو الزخرفية فى العمل الفنى الواحد .

٣ – مدى توافق أو اختلاف الأسس الهندسية والجمالية التى جعلها على هيئة كلية محددة ، مثل التزام التناسب الهندسى(١: ١,٦١٨ ١:١,٦١٨، ٢:٠٠)[٢٦]، بالأبعاد المعمارية والتكوينات الزخرفية .

٤ – مدى تقارب أو تباعد التأثيرات المحلية الخاصة بكل ولاية إسلامية والتى تختلف عن تلك التأثيرات العامة التى تشيع بكل الولايات على اختلاف بيئاتها الثقافية ولو لفترة محددة [٢٧] .

٥ – مدى توافق أو اختلاف أساليب تحدر العناصر الزخرفية والمعمارية ، بكل ولاية إسلامية ، وكذا أساليب تحليلها وتطويرها عبر الزمان .

٦ – مدى توافق أو اختلاف الخامات المحلية المستخدمة فى تنفيذ الأعمال الفنية المعمارية أو المنقولة ، وكذا أدوات تشكيلها وصقلها بمختلف الولايات ، وما ينتج عن تشابه أو اختلاف الخامات من عناصر فنية قد تتشابه أو تختلف من ولاية لأخرى .

فالطابع الفنى العام ينتج عن تجمع المتشابهات من العناصر والأسس الهندسية والفنية ، وخاماتها ، وأدوات تنفيذها عبر الولايات الإسلامية ، وكلما زادت هذه المتشابهات عبر فترة زمنية محددة ، أو فى إطار كل العصور ، كلما اتضح وتأكد الطابع الفنى العام ، كما وأن العكس صحيح ، فكلما قلت هذه المتشابهات كلما زادت المتناقضات بين الولايات الإسلامية وهو الأمر الذى ينتج عنه تناقص الطابع المحلى ومن ثم ضعف الطابع العام.

إن إقامة الدراسة المورفولوجية والمقارنة النقدية والتحليلية بين الأعمال الفنية التى تنتمى إلى دويلات ، أو عصور مختلفة – كما هو متمثل فى الجدول (رقم ١) على سبيل المثال – تقطع بأن بعض العصور كانت أكثر انتماء وتوافقا مع ما هو متشابه وشائع بباقى العصور الأخرى ، أى

أكثر انتماء وتوافقا مع الطابع العام الفنى السائد ، عن غيرها من العصـــور ، والتى تمثلت – على سبيل المثال – فى المكونـــات المعماريـــة والزخرفيـــة بالعصر التركى فى مصر (٩٢٣-١٢٦٥ هـ) ، وهو العصر الـــذى عكـــس بمكوناته تنافرا مع المكونات المعمارية والزخرفية التى كانت سائدة بمصـــــر فى عصور ما قبل العثمانى ، وهو التنافر الذى أحدث خللا فى الطابع العـــام الذى كان سائدا فى مصر .

فهذا الاصطدام الحضارى – فى هذه الفترة الزمنية بمصر – قد أربـــك الأساليب الفنية لفترة من الزمن قاربت المائة عام ، وحتى اســـتقر الأســـلوب العثمانى فارضا نفسه جنبا إلى جانب الأسلوب الذى ساد بمصر .

إن هذه الفترة التى شهدت ذلك التصادم الأسلوبى –فيما قبل اســـتقرار الأسلوب العثمانى – يمكن أن توصف بالنكوص أى " الانحلال واسع النطـــاق الذى يصيب حضارة متقدمة وفنونها .." [٢٨] ، وهـــو نـــوع مـــن النكـــوص القسرى الذى ولد فى تلك الآونة مزيجا من الأساليب الأصلية المنتميـــة إلـــى الأسلوب الذى ساد فيما قبل العصر العثمانى ، ومن التأثيرات العثمانية التـــى لم تلبث أن أصبحت أسلوبا فارضا نفسه وبصورة منفصلة ، جنبا إلى جـــانب ذلك الأسلوب التاريخى [٢٩] الذى نما وازدهر فى عصـــور مـــن مـــا قبـــل العثمانى.

إن انحراف الطابع العام المصرى فى تلك الآونة قد نتج عما اعـــتراه من تغيرات أسلوبية فى تلك الفترة الزمنية ، كما وأن هـــذا التفـــرد الجزئـــى للأسلوب العثمانى قد اثر على استمرارية الطابع المحلى بمصر وبالولايـــات العربية الإسلامية ، ولكن دون التأثير على استمرارية الطابع العام الإسلامى، حيث أن الأسلوب العثمانى المحلى كان جزءا من هذا الطابع العام الإســـلامى، فالأسلوب العثمانى ازداد انتشارا واتساعا عما كان عليه من محلية محـــدودة .

وباستمرار الطابع العام الإسلامى وبرسوخه عبر مختلف الفنون والولايـــات والعصور فإنه قد أصبح تقليدا (٣٠) فنيا ، على الرغم مما قـــد اعــتراه مـــن تغيرات فترية فى الأساليب الفنية المتعاقبة ، أو فى المواد والأدوات ، أو فـــى الوظائف والتقنيات وأساليب التكوين وهى متغيرات ربما تدفقت فى قـــوة ، أو تناقصت فى أحيان أخرى ، أو قد سكنت لفترة زمنية . وعلـــى الرغـــم مـــن اتساع ذلك جغرافيا ، وزمنيا ، فقد استمر الطابع العام الإسلامى ، بـــل وقـــد تحول إلى تقليد فنى متميز عن غيره من تقاليد فنون الحضارات الأخرى .

إن ترابط التقاليد وتوافق الأساليب الفنية ، ووحدة الطابع العام للنتـــاج الفنى المعمارى والمنقول الإسلامى ، لم يقدر له أن يستمر إلى يومنا هـــذا ، وعبر مختلف الولايات الإسلامية . ويمكن القول بأن الغزو الحضارى للأمـــة الإسلامية من قبل أمم فى شرقها وأخرى فى غربها قد أدى إلـــى اصطـــدام أساليب هذه الحضارات ، وإلى إفراز أساليب أخرى أصبحـــت فـــى بعـــض مكوناتها تميل تارة إلى الأسلوب المحلى الإسلامى وأخرى إلـــى الأســـلوب الغازى الحديث .

الخاتمة

- أن موررولوجيا الأساليب الفنية الإسلامية التى تعنى تحليل هذه الأساليب إلى أصولها البنائية الأولى ، المتمثلة فى العناصر المحلية والتأثيرات التى دعمت هذه النشأة الأولى ، فإنها تهدف إلى تصنيف هذه الأساليب إلى أساليب محلية متقاربة أومتباعدة الطابع العام ، هذا التقارب أو التباعد الذى أسهم فى تكوين الأسلوب الفنى الإسلامى ، وهى الأساليب المحلية التى اختلفت فى أساليب تحدره ، وفى بعض مكوناتها المعمارية والزخرفية ، وفى أساليب تكيفها مع بعضها البعض .
- إن السمات الفنية المميزة للطابع العام الإسلامى قد تختلف نسبيا عن السمات الفنية المميزة لطابع إقليم ما من الأقاليم الإسلامية ، وفى فترة زمنية ما .
- هناك من الطابع المحلى الفنى ما يكون أقرب إلى الطابع العام فى سماته ، عن سمات طابع محلى أخر .
- إن تحدر مجموعة السمات الفنية غالبا ما تنتقل فى تحدرها وتوارثها من طبقة اجتماعية أو ولاية إسلامية إلى أخرى ، أى أن تحدر وتوارث الفنون يتضمن كل من التحدر الاجتماعى والتحدر الجغرافى ، وفى أثناء ذلك تتغير مكونات الفن وأشكاله بفعل التكيف مع البيئات ، كما هو على سبيل المثال فى فن العمارة حين تتحدر أساليبه فى أكثر من ولاية إسلامية فتتعدد صوره ، نتيجة لتكيف مكوناته مع المناخ والوظائف ومواد البناء .
- إن تحدر الفنون والأساليب المختلفة يتضمن تحدر وتوارث أشكال العناصر المعمارية أو الزخرفية وأسسها الهندسية ، فضلا عن أساليب معالجتها التقنية والمهارات الفنية ، فهى عوامل تسهم فى الحفاظ على الطابع العام وفى استمراريته عبر الزمان والمكان .

- إن تحدر أسلوب فنى ما ، فى ولاية إسلامية وفى فترة زمنية ما ، قد يتعرض لتغير تكيفى محلى من أجل قيام العنصر المعمارى أو الزخرفى بدور أكثر وظيفية داخل البناء المعمارى ، أو التكوين الزخرفى فى الأسلوب المحلى ، كما وأن شدة تناقص هذا الأسلوب المحلى مع الطابع العام يعنى أن عناصر هذا الأسلوب قد تعرضت لتغيرات محلية تكيفية ، ونتيجة لظرف ما أو تأثير ما أفقدها التوافق مع الطابع العام ، وأبعد سماتها الأسلوبية المحلية ، عن السمات الأسلوبية العامة الشائعة بمختلف الولايات الإسلامية .

- سمات الأسلوب الفني المحلي لا يجب أن تتنافر مع سمات الأسلوب أو الطابع الفنى العام ، فالأسلوب المحلى فى فترة ما هو ما يطلق عليه "أسلوب فترى" وهو حصيلة تفاعل عوامل كثيرة تشمل تلك التى فى البيئات الطبيعية من خامات متوفرة ، والاجتماعية من طبقات قادرة على رعاية الفنون والعادات والتقاليد والقيم ، وكذلك الثقافية من علوم سائدة وفنون محلية وتأثيرات خارجية ، فضلا عن أثر ذلك التفاعل على نمط ثابت واحد من القاسم المشترك الأعظم للسمات التى تشيع فى الأعمال الفنية بمختلف أو معظم الولايات ، فمن الخطأ التيقن بأن كل الفنون فى فترة زمنية ما ، تتسم بنفس السمات والخصائص التى تشكل الطابع الفنى العام ، كما وأن التفرد الجزئي لأسلوب محلى ما لن يقف حائلا دون تأكيد الطابع العام أو التأثير عليه .

- من الضرورى أن يكون هناك استمرارية للسمات والخصائص الفنية ، وانتقالها من فن إلى فن ، ومن عصر لآخر ، عبر الولايات الإسلامية ، وأن ذلك لا يتأتى له أن يتم إلا بالامتداد الثقافى بين هذه الولايات ، من أجل استمرارية ودعم الطابع العام الإسلامى الذى يجب أن يعكس دائما التميز عن الطابع العام لفنون أى حضارة أخرى .

الهوامش

(١) يطلق على أحد فروع علم الجمال المعاصر (المنهجى) اسم مورفولوجيا الجمال " وهذا يدرس أسكال الفن فى مختلف المجالات : من الصور إلى القصائد والسيمفونيات ، وليس هدفه من ذلك هو التقييم ، بل تحليل النماذج ومقارنتها من حيث مكوناتها ، وتركيبها ، ومن ثم يستنبط تصنيفا للأنماط " توماس مونرو ، التطور فى الفنون ، جـ١ ، ص٣٧ .

(٢) الأسلوب هو شئ مجرد .. نفهمة إذا تبينا سمات متكررة معينة فى أعمال فنية مختلفة ويتوقف تفرد الأسلوب على ثلاثة عوامل : صفته الفنية (كنقش أو رسم) ، ومحتواه (أو تعبيراته) ، وشكله (أى عناصره ومظهره الكلى) المرجع نفسه ١٧٢ .(كما وأن) أسلوب الفن هو نوع من النمط ، والنمط هو نوع يشمل عددا من السمات المتكررة المتصل بعضها ببعض ، وهو طريقة خاصة متميزة لاختيار وتنظيم عناصر الفن ، يمكن أن تتكرر مع التنوع فى منتجات شتى ، تختلف فى كل شيء عدا الأسلوب » المرجع نفسه ٩١ .

(٣) نشأ الفنان فى مهد الحركة الفنية الإسلامية فى بيئة فنية وعملية زاخرة بتراث مختلف الحضارات المحيطة به ، المعاصرة له ، والسابقة عليه، كالحضارات الساسانية ، والصينية من جهة ، والإغريقية والرومانية والبيزنطية من جهة أخرى . وقد أفرزت هذه الحضارات تأثيرات تمثلت الشرقية منها – على سبيل المثال – فى العقد الفارسى المدبب الذى ظهر بالقرن الثالث الميلادى بفارس . وبالإضافة إلى المثلثات الكروية التى تشغل الأركان الأربعة لمرحلة انتقال القبة ، كعناصر معمارية ، فضلا عن العناصر الزخرفية المتمثلة فى الأشكال المجنحة وصفوف اللؤلؤ ، على سبيل المثال ، إلى جانب ما أفرزته الحضارة الغربية من عناصر معمارية وزخرفية تمثلت فى المنارات ذات القطاع المربع

وأوراق الاكانتس ، وعناقيد العنب وأوراقها ، والمراوح النخيليـــة وأنصافـــها ، وغيرها .

(راجع حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ٢ جـــزء . التـــأثيرات المعمارية بين آثار سورية ومصر . وفريد شافعى ، العمـــارة العربيـــة فـــى مصر الإسلامية ، المجلد الأول) .

(٤) العناصر المعمارية والزخرفية الوافدة قد ظهرت فى بعض الأعمال المعماريـــة والفنية التى لا يزال بعضها قائما حتى الآن ، كقبة الصخرة بالقدس (٧٢ هــــ) ، والمسجد الأموى بدمشق (٨٨ -٩٦ هــ) ، فضلا عن التحـف المنقولـة التى تعـكس الكثير من التأثيرات التى استقاها الفنان ، وهى التأثيرات التـــى كانت بمثابة بعض اللبنات التى أسهمت فى دعم الفنون بـــالعصور الإســـلامية الأولى . والباحث يرى أن الفنان فى العصور الإسلامية الأولى قد التزم عـــدم التقليد أو النقل الكلى للتكوينات الزخرفية أو الأعمال المعمارية ، وإنمـــا كـــان هذا النقل قائم على دراسة منهج التراث وترسيبه إلـــى أصولـــه الهندسـية والفنية وعناصره المكونة له ، ثم تطبيق بعض أشكاله ، وتحور البعض الآخـر ، أى أن الفنان فى هذه العصور الإسلامية الأولى قـــد بحـــث عـــن الأســـس والأصول الفنية والهندسية لفنون التراث المحيطة به ، وتوظيفها فـــى إطـــار الرؤية المعاصرة له والمتوافقة مع بيئته وثقافته وتكويناته الفنية .

(٥) إن ما قد استمر من عناصر زخرفية - خاصة النباتية منها - قد تحـــور عـــبر العصور الإسلامية ، وترسب أصوله الهندسية ، مبتعدة هذه العنـــاصر عـــن أشكالها التى كانت عليها وعن أصولها الطبيعية ، وقد تحولت - فيما بعـــد - إلى أشكال وخطوط هندسية مجردة من كل أصل طبيعـــى ، وعنـــد رؤيتـــها يستطيع المشاهد أن يرجعها إلى أصولها ، لكن فى إطار انطبـــاع إســـلامى ، اكتسبته هذه العصور والولايات الإسلامية .

(٦) كلمة أسلوب STYLE قد اشتقت من الاسم اللاتينى لأداة الكتابة STYLUS الذى امتد معناه إلى طريقة الكتابة أو التعبير ، ومفهوم الأسلوب يمكن تطبيقه على أى فن ، وكذلك على طريقة (التعبر الفنى) ، كما وأن الأسلوب هو طريقة خاصة لاختيار وتنظيم عناصر الفن " مونرو" ، ٩٧ – ٩٨ .

(٧) فلقد كانت بدايات التجريد منذ العصر الأموى بالشام ، واستمر حتى ظهر التجريد الكامل على العمائر الإسلامية وفنونها بالقرن الثالث الهجرى ، بالأمثلة التى تنسب إلى مدينة سامراء ، خاصة فى طرازها الثالث ، الذى انتقل إلى ولاية أخرى هى مصر منذ القرن ذاته ثم تطور عبر العصور التالية بها ، وأصبحت العناصر النباتية أكثر تعقيدا عن ذى قبل لدرجة قد يصعب معها رد العناصر الزخرفية إلى أصولها الأولى ، وقد تمثل هذا التطور التجريدى – على سبيل المثال – فى معظم العناصر وخاصة فيما أصاب أشكال الأوراق النباتية ثلاثية الفصوص ، وأوراق العنب والمراوح النخيلية .

(٨) كلمة " تطور VOLUTION " تعنى النمو المتنظم والمستمر لأشكال الوجود وحالاته " المرجع نفسه ، جـ٢ ، ١٧.

٩) المرجع نفسه ، ١٧.

١٠) المرجع نفسه ، ٢١، وهو التطور الذى حدث على سبيل المثال فى بعض العناصر الزخرفية والمعمارية كالقباب والمآذن والأعمدة ، وغيرها كالمقرنصات التى بدأت كمثلثات بفارس ، ثم تطورت عبر العصور إلى صفوف من المقرنصات بالشام ومصر ، حتى وصلت إلى ستة عشر صفا منها ، بعصر المماليك البرجية بمصر ، (راجع : كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ١٩٧٠، ص ٨٢-٨٥) وذلك من أجل تحقيق مزيدا من القيم الجمالية والنفعية .

(١١) المرجع نفسه ٢٣، كما يذكر المؤلف - فى عشر نقاط - أن ما يحدث للفنون لايعنى بالضرورة تطويرا ، أو أن الفنون تتقدم أو تنمو بصورة واحدة ، أو إنها تسير فى سلاسل متوازنة من المراحل فى كل أنحاء العالم ، أو أن الفنون سوف تستمر فى نموها بالضرورة فى المستقبل .

(١٢) إن كلمة تطور " لاتتضمن فى حد ذاتها أية فكرة عن التقدم .. إنها تدل على كل التحويلات التى (تعترى) كائنات عضوية أو مجتمعات ، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التحويلات إيجابية أم سلبية " مونرو ٢٩.

(١٣) على الرغم من وحدة الطابع العام الإسلامى على مر العصور ، واختلاف الولايات الإسلامية ، إلا أنه كانت هناك ولايات إسلامية - وعبر أحد عصورها التاريخية - يتسم فيها الطابع العام لتكويناتها الزخرفية بالتعقيد الشديد ، خاصة فى تكويناتها التى غطت جدران العمائر ، وبواطن العقود ، وكوشاتها وواجهاتها فضلا عما ذخرت به أرضياتها وأسقفها من ازدحام زخرفى ، شذ فى ذلك عن هدوء ورصانة الطابع العام الذى ساد باقى الولايات الإسلامية ، عبر عصورها المختلفة ، وقد تمثل ذلك فى التكوينات الزخرفية التى غطت العمائر الدينية المدنية بكل من العصر السلجوقى فى إيران (من منتصف القرن الحادى عشر وحتى الربع الأول من القرن الثالث عشر) عصر طراز الحمراء بالأندلس (منتصف القرن الرابع عشر).

(١٤) المرجع نفسه ، ٢٣.

(١٥) الانتكاس هو " نقيض التقدم ، فإذا كنا نستخدم مفهوم (التقدم) بمعنى تحسن واسع النطاق ، فمن المناسب أن نستعمل مصطلح الانتكاس بمعنى تدهور واسع النطاق ، أو الرجوع إلى حالة أدنى وارداً " المرجع نفسه .

(١٦) تعريف الارتداد فىقاموس وبسترهو : "أنه عودة إلىنمط من أنماط الأسلاف أو حالة من حالاتهم ، وهو عودة إلى ظهور صفة أو صفات الأسلاف ، قد تكون أفضل أو أردأ وأبسط أو أكثر تعقيدا" المرجع نفسه، ٢٩.

(١٧) المغول أو التتر قبائل رحل من صحراء غوبى ، وقد أفلحوا فى القبض على زمام السلطة فى الصين ، ثم انطلقوا بقيادة جنكيز خان إلى بلاد ما وراء النهر ، وشرقى إيران (عام ٦١٨هـ) ، وقد تأثروا بالثقافة الصينية بالشرق ، والثقافة الإيرانية بالغرب ، فالمغول فى بادئ الأمر - قد دمروا الكثير من العمائر والتحف المنقولة التى تعود إلى الحضارات السابقة عليهم بهذه المنطقة ، ثم لم يلبثوا بعد ذلك أن قاموا برعاية الفنون ، الأمر الذى نتج عنه إحياء الفنون والثقافة الصينية - التى كانوا قد تأثروا بها - فى هذه المنطقة من شرق العالم الإسلامى ، وذلك خلال فترة زمنية (جاوزت المائة عام) ، وبدأت منذ غزو شرقى إيران (عام ٦١٨هـ) ، وحتى نهاية حكم الأسرة الالخانية (عام ٧٣٦هـ) ، والتى أسسها هولاكو فى إيران ، وهى الأسرة التى اعتنقت الإسلام ، وتأثرت بالحضارة الإيرانية فيما بعد ، وهو الأمر الذى أدى إلى ارتداد الطرز الفنية السلجوقية التى كانت سائدة نتيجة للتأثر بالغزو الثقافى والفنى الصينى ، ولفترة زمنية قاربت المائة عام ، هذا فضلا عما أحدثه تيمور لنك من دمار (عام ٧٧١هـ) مرة أخرى لهذا الجناح الشرقى من العالم الإسلامى ، وبصورة أكثر ضراوة ودمار عما أحدثه جنكيز خان ، فقد كان الخراب يتبع جيوشه أينما حلت ، خاصة فى إيران والهند وآسيا الصغرى ، لكن عمل بعد استقراره على النهوض بالفنون والآداب ، ومؤكدا مرة أخرى دعم التأثيرات الصينية بالفنون الإيرانية ، وذلك بعد حوالى قرن ونصف القرن من التأثير الفنى والثقافى الذى أعقب الغزو المغولى (راجع زكى محمد حسن ، الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٩٨١ ،٢٧ ، ٣٠) .

(١٨) تعد الفترة الممتدة فيما بين سنتى (٤٢٢-٤٨٠هـ) من أسوأ فترة تاريخ العرب فى الأندلس ، إذ انقسمت البلاد إلى عدة ممالك صغيرة عرف ملوكها باسم

ملوك الطوائف ، وقد أخذت تسقط فى يد الأسبان الواحدة بعد الأخـــرى ، وقد كانت أولى هذه الممالك سقوطا هى مملكة طليطلـــة (عـــام ٤٧٨هـــ) وكان آخرها هى مملكة غرناطة (عام ٨٩٧ هــ) .

وجدير بالذكر أنه بعد خروج المسلمين من الأندلس ، وعودة زمام الأمر إلــى الأسبان ، فإن بعض المسلمين آثروا البقاء فى البلاد ، واســتمروا يزاولــون فنونهم وصناعاتهم ، واستفاد الأوربيون استفادة كبيرة من هؤلاء المســلمين ، بل يمكن القول بأن الطراز الأسبانى فى هـــذه الفــترة الزمنيــة – والــذى استمدت منه الفنون الأوربية الكثير – قد تأسس على أكتاف هؤلاء المدجنيــن من المسلمين الذين عاشوا فى أسبانيا واستمروا بها بعد خـــروج المســلمين جنبا إلى جانب المستعربين من الأسبان الذين عاشو فى ظل الحكم الإســلامى، وأتقنوا الفنون والعلوم الإسلامية . (راجع : محمد عبد العزيـــز مـــرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلـــس ، دار الثقافـــة ، بـــيروت ، ص٤٠– ٤١، ٦٢، ٢٢٥) ، (حسين مؤنس ، المســاجد ، ص ٢٤٧ –٤٨)، (السيد عبد العزيز ســـالم ، تـــاريخ المغـــرب فـــى العصـــر الإســـلامى ، الإسكندرية).

(١٩) (أ) التصوير الإيرانى السلجوقى قبل الغزو المغولى :

اندهرت فنون التصوير فى إيران خاصة فـــى مجـــالات توضيـــح الكتـــب التاريخية ودواوين الشعر والقصـــص ، بـــالصور الصغـــيرة ذات الألـــوان الزاهية الجميلة ، ولقد كان التصوير الســـلجوقى مشـــابها لمدرســـة بغـــداد (بالقرن السابع الهجرى) بل كانت التصاوير الســـلجوقية عربيـــة التفـــاصيل والملامح أكثر منها إيرانية ، فضلا عن أن التصوير السلجوقى فى تفاصيلـــه كان شبيها بتفاصيل تصوير مدرسة بغداد فى رسوم الأشـــخاص والألـــوان الزاهية والملابس المزركشة ، والسحنة الهادئة ، وكان رســـما تبـــدو فيـــه البساطة مع قوة التعبير خاصة (بالنصف الأول من القرن السابع الهجرى).

(ب) أما التصوير الإيرانى بعد الغزو المغولى :

فقد اتسم بظهور الأساليب الفنية الصينية التى تجلت فى سحن الأشخاص ، بعد أن كانت عربية ، مع صدق تمثيل الطبيعة والجبال والأشجار ورسم النباتات بدقة وواقعية ، وهى تختلف فىذلك عما كانت عليه من رسوم اصطلاحية مجردة بالمدرسة السلجوقية ، فضلا عن مراعاة النسب ودقة رسم الأعضاء فى رسوم الحيونات ، والسحب والحيونات الخرافية ، وذلك بالإضافة إلى تأثر الموضوعات ذاتها بالموضوعات الصينية ، مثل موضوعات القتال والقصص الحربى ، وامراء المغول الجالسين بين أفراد الأسرة والحاشية ، والتزام التأثيرات الصينية بلغ ذروته فى أجزاء الملابس وتفاصيلها المتمثلة فى تنوع غطاء الرأس ما بين خوذات وقلنسوات للرجال وللنساء ، وإتقان تفاصيل ثنايا الملابس . وهو ما قد تمثل فى مخطوطات الشاهنامة ، وجامع التواريخ لرشيد الدين المؤرخة (٧٠٧ -٧١٤ هـ) ذلك إلى جانب استخدام الأرضيات الذهبية التى يندر وجودها فى التصوير الإيرانى القديم ، وبالقرب من منتصف القرن (الثامن الهجرى) تحول التصوير إلى أسلوب ، وسط جمع بين الأسلوب المغولى وبين الأسلوب السلجوقى فى السابق عليه ، والذى كان متمثل فى البساطة فى الملامح العربية ورسوم الأشخاص ، وقد تمثل هذا الأسلوب فى مخطوطة الشاهنامة المؤرخة(٧٣١ هـ) ، والمحفوظة فى طوبقا بوسراى باسطنبول (راجع : زكى محمد حسن ، المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٨٧ / ٨٩) ، ومن ثم فقد كان للغزو المغولى أثره الكبير فى تغير التركيب البنائى المورفولوجى للأعمال الفنية التصويرية السلجوقية .

(٢٠) النمط هو صنف أو مجموعة أو نوع متميز على أساس أن أعضاءه يشتركون فى سمة أو سمات معينة ، (عبر الزمان والمكان) ، وقد تستخدم أى سمة كأساس (لتمييز) نمط TYPE من الأنماط " مونرو، جـ ٢، ٤٢.

(٢١) إن المفهوم التطورى للفن يعنى " الاعتقاد بأصل الأنواع (والأنماط) فيما يختص بالمجال الفنى ، أى بالتحول المستمر غير المحدود الذى يطرأ على أنماط أقدم ، ويحولها إلى أنماط أحدث ، عن طريق تغيرات صغيرة تدريجية أو طفرات أكبر " المرجع نفسه ، ٤٨.

(٢٢) إن تحدر وتوارث العلوم والفنون يتم " عن طريق التعليم والتقليد (أو المحكاة) ، وكلها تنقل المهارات والمعرفة والأهداف والمعتقدات من جيل إلى الجيل الذى يليه (كما وأن) القدرة على تعلم الثقافة وتجميعها هى سمة فطرية يتميز بها الإنسان " (المرجع نفسه ، ٥٠)، الأمر الذى يؤدى إلى تعاقب المحكاة بين أفراد الأسرة الواحدة ، أو بين صناع الحرفة الواحدة ، بفترة زمنية ما .

(٢٣) المرجع نفسه ، ٥٣ .

(٢٤) راجع عصام عرفة ، تطور أساليب التكوين ، رسالة دكتوراه ، ص ٢٣٤ – ٢٤١ ، ٤٥١ ، ٤٧٨ .

(25) Creswell , E . M . A . VOL . 1, Part1, Part1 , Fig . 29a , 131 - 137

(٢٦) راجع عصام عرفه ، التناسب الهندسى بالعمارة الإسلامية ، مجلة المؤرخ ، ١٩٩٧ .

(٢٧) يعرف الأسلوب أو الطراز بأنه " فترى أو تاريخى على اعتبار أنه يظهر أساسا فى فترة معينة من التاريخ ، (كالعصر الفاطمى مثلا وأن) أسلوب (العمل الفنى) الواحد .. هو أسلوب فرعى ينتظمه الأسلوب الفترى .. ويسهم فى تاريخه " مونرو ، ١٠٠– ١٠١ .

(٢٨) المرجع نفسه جـ ٢ ، ٢٩٩ .

(٢٩) الأسلوب التاريخى هو الأسلوب الذى يستمر عدة عصور متتالية ، والذى يتضمن " سمات تتكرر فى أعمال فنية معينة وله حيز المجال الذى يظهر فيه ، أى نطاق المكان ، و(إطار) الزمان .. ويسمى هذا النطاق منبت الأسلوب " المرجع نفسه ، ١١٩ .

(٣٠) التقليد هو اسم يطلق على ما ينتقل ثقافيا ، وخاصة ذلك الذى يتحدر عبر فترات طويلة من الزمن ، والتقليد بمعناه الواسع – دون تعميق أو تخصيص – هو تلك الكتلة القوية التى تتألف مما نرثه عن الأقدميين .. وتحدد إلى درجة كبيرة حياة كل جيل جديد ، وداخل نطاق التقليد ككل يوجد عدد من تقاليد كبرى ، وصغرى .. وتلك هى الخاصة بكل إقليم أو جنسية ، أو طبقة إجتماعية، أو مهنة " المرجع نفسه ، ١٥٠.

المصادر والمراجع

المراجع العربية :

- توماس مونرو ، التطور فى الفنون ، جـ١ ، جـ٢ ، ترجمة محمد على أبو درة وآخرون ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

- حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ٢جزء ، دار الكتب ، ١٩٤٦ ، والتأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر ، القاهرة ،١٩٦٢.

- حسين مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت ، يناير ١٩٨١ .

- زكى محمد حسن ، الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى ، دار الرائد العربى ، بيروت ، ١٩٨١ .

- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة ، الإسكندرية .

- عصام عرفه محمود :

  - تطور أساليب التكوين فى الزخارف الجدارية بمساجد القاهرة فى عصر المماليك البحرية ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ١٩٨٧ .

  - التناسب الهندسى بالعمارة الإسلامية ، منذ فجر الإسلام وحتى القرن الرابع عشر الميلادى ، نشر مجلة المؤرخ ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد الثامن عشر ، ١٩٩٧ .

- فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ .

- كمال الدين سامح ، العمارة الإسلامية فى مصر ، الهيئة العامـــة للكتــب والأجهزة العلمية ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٠ .

- محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإســــلامية فــى المغــرب والأندلس ، دار الثقافة بيروت .

المراجع الأجنبية :

- Creswell (K.A.C.) , Early Muslim Architecture, Vol. 1, Part 1, Oxford , 1932 -40 .

ديكابروتس مصر
في القرن الثالث الميلادي

د. محمد فهمي عبد الباقي محمود
جامعة القاهرة-كلية الآداب

سيتناول هذا البحث مايلي:

١ - بداية ونهاية وظيفة الديكابروتية في مصر.
٢ - إختيار من يتولاها، ومدتها، وحدودها، والمشاكل في الإختيار.
٣ - الأعمال التي قام بها الديكابروتس في مصر.

I

لقد كان الرومان يعرفون وظيفة العشرة الأوائل decemprimi الذين يتولون أمور الحى من قِبل المجلس المحلي[١]، ولم تعرف مصر هذه الوظيفة إلا في القرن الثالث الميلادي، علي أثر زيارة الإمبراطور سبتميوس سيفروس، وسماحِه لمدينة الإسكندرية، وعواصم الأقاليم بتكوين مجالس محلية تشريعية عرفت بإسم البوليه Boulé [٢]. ظهربعد ذلك الديكابروتيون deceprotoi في مصر، الذين لم يكن لهم نفس الدور الذي أداه ألـ decemprimi في بقية أنحاء الإمبراطورية الرومانية[٣].

لا شك أن الأزمة الاقتصادية التى ألمت بالإمبراطورية الرومانية منذ أواخر القرن الثاني وفى القرن الثالث، كان لها نتائج مهمة في الاقتصاد الروماني، ومن أهم هذه النتائج إنحدارقيمة العملة، وفقدان الإيرادات النقدية للدولة الكثيرمن قيمتها، بينما زادت قيمة الإيرادات العينية[٤]. مما دفع الإدارة الرومانيه إلى العمل على ضبط هذه الإيرادات تقديراً وتحصيلاً، فظهرت وظائف جديدة تحقق هدف الدولة، ومن بين هذه الوظائف الديكابروتية.

إن أول ظهور في البردى لهذه الوظيفة كان في الوثيقة P.Lond.pp.61-63. 1157 • وقد أرخها الناشرون في البداية بعام ١٩٨/٩٧ م ، لكنهم ناقشوا هذا الإفتراض التأريخي في المقدمة، مبينين أن العام السادس المذكور في البردية لإمبراطور غير مذكور، يرتبط أكثر بالإمبراطور سيفروس الاسكندر [٥]، وهذا يعني عام ٢٢٦-٢٢٧ م. وقد وجد هذا التاريخ قبولا من ا لباحثين [٦].

لم يستمر عمل الديكابروتيين فترة طويلة، حيث حدث تغيير إداري في مصر، إمتد هذا التغيير فيما بين عامي ٣٠٧- ٣١٠ م، ونتج عن هذا التغيير إلغاء الطوبارخية وإحلال الباجوس pagus بدلا منه كوحدة إدارية في عام ٣٠٨/٣٠٧ م [٧] بالتحديد، حيث اختفت آخر طوبارخية عام ٣٠٧ م [٨]. وظهر أول باجوس عام ٣٠٨ م [٩]، وترتب على هذا التغيير ظهور موظفين مرتبطين بالباجوس يعرفون بالمصطلح Praepositus Pagi (حاكم أو قائد الباجوس)، على حين كان الديكابروتس مرتبطا بالطوبارخية؛ وعلى ذلك توقف عمل الديكابروتيين بإلغاء الطوبارخية و ظهور الباجوس والبرايبوزيتوس [١٠].

أصبح هذا الرأى غير مقبول ومرفوضا لسببين، أولهما: أن عمل كل منهما مختلف عن الآخر، فالديكابروتيين لم يتولوا أي عمل قام به البرايبوزيتين حيث تولى الأخيرون معظم إختصاصات الاستراتيجوس خلال القرون الثلاثة الأولى من الحكم الروماني في مصر مثل: الفصل في المنازعات، وتلقى الشكاوى والإلتماسات ، والمصادقة على تعيينات العمالة الإلزامية. وثاني السببين: هو أن الديكابروتيين قد اختفوا من قبل ظهور البرايبوزتيين بخمس سنوات [١١].

تناول نفتالى لويس رأى جاتسر القائل بأن الديكابروتيين وجدوا على الأرجح في عام ٣٠٣ م، إعتماداً علـى تـاريخ الوثيقـة P.Amh.II. 83 ، ومد تاريخ بقائهم إلى ما بيـن عـامي ٣٠٤-٣٠٦ م. وقـد قـام ج. د. توماس[١٢] بتحليل كافة الأدلة التي يمكن الاعتماد عليها في تعضيد هـذا الرأى، منتهيا إلى أنهم لم يستمروا بعد عام ٣٠٢ م. والأدلـة التـي اعتمـد أصحاب هذا الرأى عليها هي:

P.Amh.II. 83; Plips. 84; O.Mich. I.498-499; P.Amh.III. 1076; O.Mich. 908, 906, 900; P.Cairo-Isidor 40; P.Strasb. 141; PSI.III. 187; PO.XII. 1410 ; O.Bodl. II. 2098.

وهي مرتبة حسب تناولها في العرض التالي:

أول هذه الأدلة هى الوثيقة P.Amh. II. 83 وهـي عبارة عن شكوى مرسلة إلـى الوالـى الذي تمكـن فلكـن من تحديد اسـمه وهـو كلوديوس كولكيانوس[١٣]، وبالتالى يكون تاريخ البردية ممتدا بين عامي ٣٠٣-٣٠٦ م. وحوت البرديـة أحداثـا جـرت أثنـاء التعداد الـذي أجـراه الوالى سابينوس ، وظهر فيها الديكابروتية. جرى هذا التعداد عـام ٣٠١ م، لذلك فهذه البردية لا تدل على وجود الديكابروتيين بعد عام ٣٠١ م.

والبردية الثانية التي كان يعتمد عليهـا في تعضيد الـرأى القـائل باستمرار عمـل الديكـابروتيين بعـد عـام ٣٠٢ م هـي Lips. 84 ، وهـي تضـم مجموعـة إيصـالات تحصيـل غـلال، يمتد تاريخـها بيـن عـامي ٣٠١/٣٠٢ إلـى ٣٠٤/٣٠٥ م. معظـم إيصالاتـها لايظـهر فيـها لقـب المحصلين إلا في خمس حالات فقط، أربـع منـها تذكـر الديكـابروتيين و توجد في:
Col. I. L.5, Col. II. L.2, Col. III. LL.3, 12 ، وإيصـال واحـد يذكـر أمناء الشون (السيتولوجيون) و يوجد في:Col. VI.L.19 .

آخر التواريخ المؤكدة في الإيصالات الأربعة للديكابروتيين هو سنة ١٨،١٧،١٠ في شهر كيهك Choiak ، أي ما بين ٢٧ نوفمبر - ٢٦ ديسمبر عام ٣٠١ م (Col. I. LL.3-4). وفى العمود الثالث ومن بعد الإيصال الذي حرره الديكابروتيين في ١٦ توت لعام ١٨،١٧،١٠ أي في ١٣ سبتمبر ٣٠١ م:

LL.13/14.

τῆς ις Θὼθ' ιη ς" καὶ ι ς"
ἀπὸ γενή(ματος) ιζς" καὶ ἐνάτου κυρίων .

يوجد ايصال مؤرخ في ٦ بشنس لنفس العام:

LL.18/19.

τῆς ς παχὼν ιης" καὶ ιζς" καὶ ις" ἀπὸ γενή(ματ- ος) ιζς ["]
καὶ ιςς" καὶ ἐνάτου"

ولم يحرره الديكابروتيين، ومع ذلك لايتعدي تاريخه أول مايوم عام ٣٠٢ م، والإيصال الموجود في نفس العمود (السطور: ٧- ١١) مؤرخ فى ١٦ برموده لسنة ١٩ ا، ١٨، ١١ للتحصيل عن عامي: ١٦، ١٥، ٨ و١٥،١٤،٠٧ أي أن تاريخه إبريل عام ٣٠٣ م. وهو إيصال سابق على الإيصال الذي حرره الديكابروتيين في السطور من ١٢ إلى ١٧، وإن كان لذلك دلالة إلا أنه لا رابط بينهما. أخيرا يوجد الإيصال الذي حرره السيتولوجيون (Col. VI. LL.19-26) مؤرخ في ٢٦ مسرى عام ١١،١٨،١٩:

L.19, *ιθς" καὶ ιης" καὶ ιας" Μεσορὴ κς .*

أي أن تاريخه ١٩ أغسطس ٣٠٣ م. ولا نستدل منه علي إستمرار عمل الديكابروتيين حتى عام ٣٠٣ م، وإنما يجزم بأن السيتولوجيين حلوا محل الديكابروتيين في التحصيل فيما بعد ديسمبر ٣٠١ او مايو ٣٠٢. وأغسطس ٣٠٣ م.

مجموعة من قطع الشقافة (الأوستراكا) من كارانس تدفع إلى الإعتقاد بأن الديكابروتيين أشرفوا على شون الغلال فى هذه القرية حتى ربيع عام ٣٠٢ م حيث إن آخر تاريخ ثابت فيها هو ٢١ و ٢٤ مارس[١٤]، وأن السيتولوجيين حلوا محلهم في صيف نفس العام[١٥].

يعترض بعضهم على هذا الرأى على أساس وجود ما يثبت غير ذلك في أوستراكا متشجان أيضا. أما القطعة الأولى منها وهى O.Mich. 908 فإن الناشر أرخها بعام ٢٩٨ م، وإفترض أنه من الممكن أن يكون عام ٣٠٦ بديلا للتاريخ الأول، لأن التارخ المذكور فيها هو العام الرابع عشر، وقد ناقش توماس هذا الإيصل، وتوصل إلى أنها تؤرخ بعام ١٤ من حكم الإمبراطور دقلديانوس أى في عام ٢٩٨ م، وفي هذا كان الديكابروتيون مازالوا في الخدمة. أما القطعة الثانية فهى O.Mich. 906 فهي عبارة عن إيصال حرره السيتولوجيون للعام ١٣، وقد جرى مناقشة كل التواريخ المحتملة، ولكنها مرفوضة جميعاً، مفضلاً عليها العام ١٣ من حكم الإمبراطور سيفروس الإسكندر عام ٢٣٤/٢٣٥ م. أما الأخيرة فهي O.Mich. 900 فإنه من المستحسن إسقاطها لأنها مؤرخة في عام ٣٠٣ إعتماداً على التاريخ المذكور بها[١٦].

لا يوجد حتى الآن دليل مؤكد علي أن السيتولوجيين ظهروا في النصوص من عهد دقلديانوس قبل عام ٣٠٢ م. البردية P.Cairo Isidor. 40. التى افترض الناشر لها تاريخين هما ٢٩٧ م و ٣٠٦/٣٠٧م، ولكنه فضل التاريخ الأخير دون سند قوى. والبردية

P.Strasb. 141 أرخــها الناشـر بعام ٣٠١/٣٠٠م، ولكنــها تشـير إلــى تحصيـل ضرائـب عـام ٣٠١/٣٠٠م وكلنـا يعلـم جيـدأ أن تحصيــل المتأخرات يأتي بعد تاريخها، وهى بالتأكيد عام ٣٠٢ م(١٧).

توجد برديتان أخرتان تستخدمان فى هذا المجال للتدليل علـى إستمرار عمل الديكابروتيين بعد عام ٣٠٢ م. الأولى هي PSI. III. 187 تحتوى على عقد إيجار من أوكسيرينيخوس موجه إلى ديكابروتس. أرخها الناشر اعتمادا على الخط بأواخر القرن الثالث أو بواكير القرن الرابع الميلادي. وفضل الناشر التاريخ الثانى اعتمادا على أن قيمة الإيجار الموجودة هى القيمة الإيجارية المنتشرة فى القرن الرابع الميلادي. وليس من السهل تصديق ذلك بل إنه من الصعب الموافقة عليه، و يوجد أمران يقطعان بعدم تأريخها في القرن الرابع، أولهما أن العقد مؤرخ بالعام السادس، وهذا لايأتى مع إمبراطور في القرن الرابع، وثانيهما أنه يحمل ذكرا للطوبارخية. والعام السادس من حكم الإمبراطور دقلديانوس هو عام ٢٨٩/ ٢٩٠ م، وإذا كان سادس الإمبراطور بروبوس فيكون عام ٢٨٠/٢٨١ م (١٨).

أما البردية الثانية فهي PO.XII. 1410 ، وهى عبارة عن منشور أصدره كاثوليكوس مانعا إعادة تعيين الديكابروتيين مرة ثانية في هذه الوظيفة. وقد وضع الناشران لها تاريخ بداية القرن الرابع الميلادي معتمد على قراءة السطر ٦/٥:

Τοὺς ἀπὸ Τ[οῦ] η (ἔτους) Καὶ α (ἔτους) δεκ-
απρώτους μηκέτι.

وهذا يشير إلى عام ٢٩٣/٢٩٢م، ويعتقدان أن تاريخ كتابته كان بعد تنازل دقلديانوس فيما بين عامي ٣٠٥-٣١٣؛ فند توماس ذلك وقدم تاريخين لها فهى إما أنها تؤرخ في عام ٢٩٠ م او أنها عام ٢٨٦/٢٨٥م. وإذا صح هذا التاريخ أو ذاك، فإنها لا تصلح في التدليل على استمرار الديكابروتية بعد عام ٣٠٢ م(١٩).

الشك في تواريخ هذه الوثائق هو الأساس، ولكن قطعه الشقافه O.Bodl.II.2089 كان الشك في قراءتها عند إستكمال النص بالديكابروتية و خاصة الجملة *διὰ Τῶν δεκπρώτων πόλεως* و قد وضع الناشر نقطا تحت الحروف المشكوك فيها، و هناك من يري أن هذا الإستكمال غير صحيح و رأي أنها تستكمل هكذا *ἀποδεκτῶν πόλεως* لذلك فهي إذا صح التصويب الأخير فإنها تخرج من التدليل علي إستمرار عمل الديكابروتيين بعد عام ٣٠٢ م.

كل هذه الأدلة الوثائقية مشكوك في تواريخها أو قراءتها، و كل ذلك يجعل القول بإستمرار عمل الديكابروتيين بعد عام ٣٠٢ م غير مقطوع به حتي الآن، و إن كنا نعتقد في إستمرار عملهم حتي عام ٣٠٢ م. و لدينا ملاحظة مهمة هو أن الرومان عندما يكون المردود من وظيفة أو ضريبة أو إيراد غير مجد، لا يصدرون أمرا بإلغائه أو بوقفه، و إنماكانوا يتركونه ينازع الروح وحده، و في نفس الوقت يضعون البديل.

II

و دراسة الوثائق التي لدينا تمكننا من التعرف علي المواصفات التي تحكم عملية الإختيار لوظيفة الديكابروتس، و نجد أنه لم تظهر مواصفات معينة في معظم هذه الوثائق، و اكتفت بالقول أنه ديكابروتس *δεκαπρώτος* [٢٠] و لدينا عدد من الوثائق تبين أن بعضهم تولي وظيفة سابقا، و كان عضوا في المجلس المحلي. ففي البردية PO.XL11 المؤرخة عام ٢٤٧ م نقرأ إلي " أوريليوس أسكلبياديس الجمنازيارخ السابق و الذي تولي البريتانية، و كان عضو مجاس المدينة، و ديكابروتس الطوبارخية الوسطي":

B.LL. 8-10

Α(ὐρηλίῳ) ἀσκληπ⟨ά⟩δη
γυμνα(σιαρχήσαντι) ἐνάρχ(ῳ) πρυτ(άνει) Βου-
(λευτὴ) της α(ὐτης) πόλ(εως) δεκαπρώτῳ
μέσης Τοπ(αρχίας).

ومن نفس العام للبردية السابقة، توجد بردية أخرى(٢١)، تحوى إيصالات لضرائب عينية، وفيها أربعة ديكابروتيين ، تولي أولهم سابقا وظيفة الإكسجيتيز والبريتانية، وتولى الثاني الجمنازيارخية، والثالث تولى أيضا فى السابق الكوسميتيزية والإكسجيتيزية، وكان الثلاثة الأول أعضاء في مجلس البوليه بالمدينة، أما رابعهم فكان جمنازيارخ كل مدينة أرسينوى، وأصبح كل واحد من الأربعة ديكابروتس في الطوبارخية السادسة والثامنة في قسم ثميستيس في أرسينوى:

LL.1-5,

Αὐρήλιοι Ὡρείων ἐξηγητεύσας πρυ-
τανεύσας καὶ Ἡρᾶς γυμ(νασίαρχος) καὶ Τούρβων
κοσμητ(ὴς) καὶ ἐξηγητεύσας βουλευταὶ
καὶ Σερῆνος γυμ(νασίαρχος) πάντες Ἀρσι(νοιτῶν)
πόλ(εως)
δεκάπρωτοι ς καὶ η τοπαρχίας Θεμ(ίστου),

ونجد الديكابروتس أوريليوس أجاثوس دايمون فى البردية .P Tebt.368 المؤرخة في عام ٢٦٥ م، كان قد تولى سابقا منصب الكوسموتيز وأصبح عضواً في مجلس بوليه المدينة:

L.2,

Αὐρή(λιος) 'Αγαθ[ὸς] Δαίμων κοσ(μητεύσας) βουλ(ευτὴς)
δεκάπ(ρωτος) β τοπ(αρχίας) Πο(λέμωνος) μ(ερίδος)

وفي 19 .PSI المؤرخة في عام ٢٤٨ م نجد الديكابروتس المذكور فيها جمنازيارخ سابق وعضو مجلس مدينة أرسينوى:

L.1-2,

Αὐρ]ηλιω 'Ερμεια γυ(μνασιαρχησαντι) β`ουλ-
(ευτη) τῆς 'Αρσι(νοιτων) πόλεως
δέκα(πρωτω) β καί δ τοπ(αρχιων) Θεμ-
(ίστο)ν μερίδες.

وكان بعضهم يتولى الديكابروتية بعد وظيفة أخرى(٢٢) دون أن يكون عضوا في المجلس، ففى البردية Lips. 83 المؤرخة في ٢٥٧ م تقريبا نجد الديكابروتيين للطوبارخيتين السادسة والثامنه من قسم ثيمستيس بأرسينوى كان ثلاثة منهم جمنازيارخ سابق والرابع كبير كهنة:

LL.3-5,

Αὐρήλιοι
'Αμμωνιανὸς καὶ Κάστωρ γυμ(νασιαρχήσαντες) καὶ 'Ηραισκος
ἀρχίερα(τεύσυς)
καὶ κληρον(ό)μοι Μέλανος γυμ(νασιαρχήσυντος) δεκάπρωτοι ς
καὶ η' το-
παρχιῶν Θεμίστου μερίδος.

وفـي البرديـة PSI.26 المؤرخـة فـي عـام ٢٧٣ م نجدهم تولـوا سـابقا وظيفة الإكسجيتيز ووظيفة الجمنازيارخ:

LL.3-4,

Αὐρήλιοι Σουχίδης
ἐξηγ(ητευσας) Καὶ Ἀπολλονους γη.

ولم يكن بالضرورة أنهم تولوا الوظيفة في نفس الإقليم الـذي تولـوا فيـه الديكابروتيه، ففــي البرديـه Thead.26 إثنــان كانـا يعمـلان فـي وظيفـة الإكسجتيز بالإسكندرية سابقاً، على حين أنهما الآن يتوليان الديكابروتيـه فى الطوبارخيتين السادسة و الثامنة فى حي ثميستيس بأرسينوى:

LL.3-6,

Αὐρήλιοι [Ἡ]ρωνῖνος καὶ Ἀθανάσιος κ[α]ὶ Φιλά-
δελρος καὶ Σερηνίων ἀμφότεροι ἐξηγ(ητεύσαντες)
Ἀλεξανδρίας δεκάπρωτοι ς καὶ η τοπαρχείας
Θεμίστου μερίδος .

وفـي الوثيقـة P.Thead. 27 كـان السـابقان يعمــلان كإكسـجتيز فــي الأسكندرية، أما الثالث فقد كان كوسميتيز دون أن يحدد مكانها:

LL.6-9,

Α[ὐρ]ήλιος Ἡρωνεῖνος
καὶ Φιλάδελφος [ὃ κ]αὶ Ἀθανάσιος ἀμφό-
τεροι ἐξηγ(ητεύσαντες) Ἀλεξ(ανδρείας) καὶ Σερηνίων
κοσμ(ητεύσας)
δεκά(πρωτοι) ς´ η´ το[παρ(χίας)] Θεμίστου μερίδος .

ونجد الديكابروتس أوريليوس أجاثوس دايمون فـى البرديـة .P Tebt.368 المؤرخـة فـي عـام ٢٦٥ م، كـان قـد تولـى سـابقا منصـب الكوسموتيز وأصبح عضوا في مجلس بوليه المدينة:

L.2,

Αὐρή(λιος) ᾿Αγαθ[ὸς] Δαίμων κοσ(μητεύσας) βουλ(ευτὴς)
δεκάπ(ρωτος) β τοπ(αρχίας) Πο(λέμωνος) μ(ερίδος)

وفـي PSI. 19 المؤرخـة فـي عـام ٢٤٨ م نجـد الديكـابروتس المذكـور فيـها جمنازيارخ سابق وعضو مجلس مدينة أرسينوى:

L.1-2,

Αὐρ]ηλιω ᾿Ερμεια γυ(μνασιαρχησαντι) β`ουλ-
(ευτη) τῆς ᾿Αρσι(νοιτων) πόλεως
δέκα(πρωτω) β καί δ τοπ(αρχιων) Θεμ-
(ίστο)ν μερίδες.

وكان بعضهم يتولى الديكابروتية بعـد وظيفـة أخـرى(٢٢) دون أن يكون عضوا في المجلس، ففى البردية Lips. 83 المؤرخة فـي ٢٥٧ م تقريبـا نجـد الديكـابروتيين للطوبـارخيتين السادسـة والثامنـه مـن قسـم ثيمستيس بأرسـينوى كـان ثلاثـة منـهم جمنازيـارخ سـابق والرابـع كبـير كهنة:

LL.3-5,

Αὐρήλιοι
᾿Αμμωνιανὸς καὶ Κάστωρ γυμ(νασιαρχήσαντες) καὶ ῾Ηραισκος
ἀρχίερα(τεύσυς)
καὶ κληρον(ό)μοι Μέλανος γυμ(νασιαρχήσυντος) δεκάπρωτοι ς̅
καὶ η΄ το-
παρχιῶν Θεμίστου μερίδος.

وفـي البرديـة PSI.26 المؤرخـة فـي عـام ٢٧٣ م نجدهم تولـوا سـابقا وظيفة الإكسجيتيز ووظيفة الجمنازيارخ:

LL.3-4,

Αὐρήλιοι Σουχίδης
ἐξηγ(ητευσας) Καὶ Ἀπολλονους γη.

ولم يكن بالضرورة أنهم تولوا الوظيفة في نفس الإقليم الذي تولوا فيه الديكابروتيه، ففـي البرديـه Thead.26 إثنـان كانـا يعمـلان فـي وظيفـة الإكسجتيز بالإسكندرية سابقاً، على حين أنهما الآن يتوليان الديكابروتيـه فى الطوبارخيتين السادسة و الثامنة فى حي ثميستيس بأرسينوى:

LL.3-6,

Αὐρήλιοι [Ἡ]ρωνῖνος καὶ Ἀθανάσιος κ[α]ὶ Φιλά-
δελρος καὶ Σερηνίων ἀμφότεροι ἐξηγ(ητεύσαντες)
Ἀλεξανδρίας δεκάπρωτοι ς καὶ η τοπαρχείας
Θεμίστου μερίδος .

وفـي الوثيقـة27 .P.Thead كـان السـابقان يعمـلان كإكسـجتيز فـي الأسكندرية، أما الثالث فقد كان كوسميتيز دون أن يحدد مكانها:

LL.6-9,

Α[ὐρ]ήλιος Ἡρωνεῖνος
καὶ Φιλάδελφος [ὁ κ]αὶ Ἀθανάσιος ἀμφό-
τεροι ἐξηγ(ητεύσαντες) Ἀλεξ(ανδρείας) καὶ Σερηνίων
κοσμ(ητεύσας)
δεκά(πρωτοι) ς' η' το[παρ(χίας)] Θεμίστου μερίδος .

وقد يكون مرجع ذلك هو أن مصالحهم المادية كانت توجد في المكان الذي اختيروا فيهه للديكابروتيه ، حيث عادوا وأقاموا إقامة دائمة، وقد يكون أصلهم من نفس المكان.

لانستطيع ضبط عدد موظفى الديكابروتيه في كل إقليم أو حتى في كل طوبارخية، وإذا ما كان المصطلح فعلا اسما على مسمي أى أن عددهم عشرة لا يزيد ولا يقل، حيث وجدنا أربعة ديكابروتيين ، و ثلاث، و اثنين، و واحدا. وفي بعض الوثائق قد تأتي بإسم شخص واحد ديكابروتس مضيفا إليه عبارة .*Καὶ οἱ λοιποὶ δεκαρωτοί* مما يبين أن عددهم أكثر من واحد[٢٣].

من العروف أن مدة تولى وظيفة محلية هو عام واحد، لكننا نجد أن مدة تولى وظيفة الديكابروتية تتراوح ما بين عام وخمسة أعوام. ولا ندرى إذا ما كان للوظيفة هذه حد أقصى أم لا، أم أن التجديد مرجعه هوى الإدارة ورغبتها فى إستمرار شخص معين، ومدى إستفادة هذا الشخص أيضا ماديا ومعنويا، وخاصة أنه لدينا من تولاها لمدة أربع سنوات إلى جانب من تولاها لمدة عام أو خمسة أعوام[٢٤].

كان فى إمكان الديكابروتس أن يرشح شخصا ما ليتولى الديكابروتية[٢٥]. ويبدو أن ذلك أحدث مشاكل متعددة، ففى البردية PO.XXII 2343 المؤرخة في عام ٢٨٨ م وهي شكوى رئيس الشرطة Eirenach بسبب تعيينه ديكابروتس حيث "ليس من المعقول أن يعين ديكابروتس عن طريق دمتريون".

L.6,

ὀνομασθεὶς οὐ δεόντως εἰς δεκαπρω-
τείαν ὑπὸ Δημητριανοῦ

فالشاكى هو سبتميوس هيراكليدس المسمي أيضا ديوجنيز رئيس الشرطة في أوكسيرينيخوس (L.5)، وعلى الرغم من أنه رئيس الشرطة إلا أنه لم يفلح في الوصول إلى الوالي مرتين متتاليتين، وفي المرة الثالثة نجح في الدخول إلى مجلس الوالي، لكن الوالي أبلغه بأنه مشغول (L.9)، وعندما التقى بالوالى في المرة الرابعة طلب منه كتابة شكواه .(L.10-12)

وفي البردية PO.IX. 1204 المؤرخة في عام ٢٩٩ م اعتراض آخربسبب أن الذي اختير ديكابروتس يتمتع بلقب رفيع المستوي يعفيه من الأعباء الإلزامية. مقدم هذه الشكوى هو أوريليوس بلوتارخوس المسمي أيضا أتاكتوس، رافعاً إياها إلى أوريليوس ذينوجنيز استراتيجوس إقليم أوكسيرينيخوس، ويقول بلهجة غاضبة شديدة: قد عينت خطأ وبإنتهاك قانون وظيفة الديكابروتية تماما عن طريق أوريليوس ديمتريانوس ديكابروتس الطوبارخية الغربية:

LL. 3-5,

οὐ δεόντως καὶ παρά πάντας
τοὺς νόμους ὀνομασθέντος μου ὡς εἰς δεκαπρωτείαν ὑπὸ
Αὐρηλίου Δημητριανοῦ .
τῆς πρὸς λίβα τοπαρχίας

وذكر الشاكى أن والده قدم عنه إلتماسا أثناء غيابه في الواحة الصغيرة في خدمة الجنود المقيمة هناك تبعا لأوامر والي مصر إليوس بوبليوس (LL. 5-8)، وخاصة انه يحمل رتبة سعادة *κράτιστος* (Vir egregius) التي تعفيه من الأعباء الإلزامية:

Κληθέντος Πλουτάρχου κρατίστου Ἰσίδωρος εἶπ(εν)
ἀπαλλαγὴν εὕρασθαι πειρώμενος ὁ παρεστὼς
τῇ σῇ ἀρετῇ Πλούταρχος ὁ κρατιστος τῶν πολειτικῶν
λειτουργιῶν δεδέηται τῆς θείας τύχης ἔτι ἄνω-
θεν τῶν δεσποτων ἡμῶν τῶν ΣεΒαστων καὶ τῶν
καισάρων μεταδοῦνι αὐτῷ του τῆς
Κρατιστιας / ἀξ ιώματος ,

يبدو أن ما وصل إلينا قليل من كثير بخصوص العمل في هذه الوظيفة الإلزامية، ويعكس هذا القليل الرغبة في الابتعاد عنها وعدم توليها أو إعادة التعيين ثانية، ولذلك نجد في البردية PO. XII. 1410 المؤرخة في عام ٢٨٥/٢٨٦ م أحد ولاة مصر وليبيا يصدر أمرا بمنع إعادة التعيين ثانية للأفراد الذين تولوا الديكابروتية مره اعتبارا من العام الثامن والأول، وسيتم حمايتهم من العمل مرة أخرى في هذه الوظيفة بمجرد إنتهاء مدة عملهم فيها:

Ἐξ αὐθεντείας Μαγ[νί]ο[υ
Ῥούφου τοῦ διασημ(οτάτου) καθολ(ικοῦ)
ἐπαρχείας Αἰγύπτου
καὶ Λιβύης
τοὺς ἀπὸ τ[οῦ] η (ἔτους) καὶ α (ἔτους)
δεκαπρώτους μηκέτι
μηδεὶς εἰς δεκαπρωτεί-
αν ὀνομαζέτω. Χρὴ γὰ[ρ
αὐτοὺς τετηρῆσθαι το[ῦ
λοιπ[ο]ῦ ἵνα μή πληρώσ[αν-
τες αὖθις ἀναδοθή[σον-
ται τοῖς τῆς δεκα[πρω-
τέ [[ι]]αις λειτουργήμ[ασ]ι. ὅστι[ς
δ`ε ἐκ δευτέρου ἀνεδέ(δοτο)
[α]ὖθις δεκαπρωτ[είᾳ

III

ربط بعض الدارسين بين اختفاء وظيفة أمناء الشون Sitologoi وظهور وظيفة الديكابروتيه، فهم يرون أن الديكابروتس حل محل السيتولوجوس[٢٦]. والحقيقة ليست كذلك حيث كان للديكابروتس أعمال متعدده، وإن كانت كلها ترتبط بالأرض وما تغله، ولم يمتد عملهم إلى مجال آخر.

ويظهر ذلك جليا من العرض التالى لأعمالهم المتعددة.

أولاً: وُجّهت إليه مباشرة طلبات فحص الأراضي.

ففي البردية P.Leit. 16 المؤرخة فيما بين عامى ٢٤٤-٢٤٧ م وجّه ثلاثة أخوة من أنطونين حائزين على أراضى في محيط قرية فيلادلفيا في إقليم أرسينوى (الفيوم) شكوى، وسبب الشكوى التقدير الجزافى للأراضي التي فى حوزتهم لمسجل الأراضى فى الناحية، والجدول التالى يبين مقدار الزيادة من مساحة الأراضى التي في حوزتهم تبعا لما سجّله المسجل والزيادة الكبيرة التي أضافها عليهم:

رقم الحوض	المساحة التي في حوزتهم	نوعها	المساحة التي سجلها المسجل	نوعها	الفرق بالأرورة
٤	٨ ١/٢	محاصيل	٩ ٥/٨	محاصيل	١ ١/٨
٥	٤ ١/٢	غير مروية	٦	غير مروية	١ ١/٢
٧	٧	غير مروية	١٥ ١/٢	غير مروية	٨ ١/٢
	١٠	بساتين تالفة جزئيا	١١ ١/٢	بساتين	١ ١/٢
١٤	٧	بساتين	١٠ ١٧/٣٢	بساتين	٣ ١٧/٣٢
٢٠	٦ ١/٢	بساتين	٢٠ ١١/٣٢	بساتين	١٥
الإجمالي	٤٣ ١/٢	——	٧٣ ٢١/٣٢	——	٣٠ ٥/٣٢

كان لابد أن ينزعج الأخـوة الثلاثـة نظـرا للمسـاحة الكبـيرة التـي أضيفت عليهم دون وجه حق، ولخطورة ذلـك أبلغـوا الديكـابروتس أنـهم أرسلوا مثل هذه الشكوى إلى والى مصر والبراكتور، وكتبـوا ذلـك فـي الإلتماس المقدم إليه:

LL.22-25;

ὅθεν , οὐκ ὀλίγου ὄντος τοῦ ἀδικήματος , τήν ἐπίδοσιν τῶν βι΄ / βλειδίων ποιούμεθα παρτυρού- μενοι κατ[ὰ] τα κλευσθέντα ὑ·π[ὸ] κ[λ]αυδίου [Μ]αρκ[ίο]υ΄ Σαλουταρίου [το]ῦ κρατίστου ἐπ[ι]τρόπο[υτ]ῶν Σεβαρτων

ويطلبـون مـن الديكـابروتس أن يحضـر معـه المسـجل ومدقـق الحـدود ليقومـوا بالمعاينـه الفعليـة للأراضـي، ويعملـون مسـحا لـها. ويفحصوا التسجيل غير الدقيق لها حتى لا يترتب خـلاف بعد ذلك، ولا تفرض الضرائب بزيادة، ويحفظ حقهم فى الملكية(٢٧).

وفي البرديتين P.Thead. 54,55 نجـد طلبـات فحص أراضـى أيضا مقدمة إلى مجموعـة مـن الموظفيـن كـان بينـهم الديكـابروتس ممـا يؤكد دوره فى مجال لأراضي.

Thead. 54, L.9;

]ου δεκ[απρώ]των τῆς τοπαρχίας καὶ κέρ- δωνος ὁ[ρειοδίκτ]ου{ς} χωρίς τοῦ{ς} ὑποτετα- κται ἐπὶ τῆς.

Thead. 55, L.4;

Πρώνος κουιουρατόρων δεκαπρώτω]ν τῆ {τοπαρ}χίας καὶ....

ووجه إليه الإقرار عن الأراضى العامة في البردية PSI. 19 :

LL. 1-2;

Αὐρ]ηλω 'Ερμεια γυ(μνασιαρχησαντι βουλ(ευτη)
τῆς 'Αρσι(νοιτων πολεως/ δεκάπ(ρωτων) β
και δ τοπ(αρχιῶν) Θεμ(ιστο)ν μερίδες.

ثانيا: كان يشارك في بيع الأراضي العامة.

فقد كان الثالث الذي وجه إليه طلب شراء أراضى في:

P. Lond pp.109-110, 1157 Verso
Col. 1 LL. 1-4;

(a) Αυρηλω Μαικιω Ν[ε]μεσ[ι]ανω α[πα]ιτη-
τη διαδεχομενω την στρ^{L} του Ερμοπο$^{\lambda}$ νομου/
και Αυρηλιοις Αρα..ω βου$^{\lambda}$ εξ[ηγητευσαντι
εναρχω πρυτανι Ερμουπολεως της μεγα$^{\lambda}$ αρχ-
αιας/και λαμπρας και σεμνοτατης και Ε[ρμ]
ειvω βουλευτη αγορανομησαντι τῆς ς πολεως
δεκαπρω$^{\tau}$ / τοπαρχειας Πατεμιτ' ανω.

ثالثا: كان له دور مهم في الإشراف على الجسور و القنوات.

فالبردية PO.XII. 1409 المؤرخة في ٢٧٨ م، وهى عبارة عن رسالة رسمية أرسلت إلى كل الإدارات في الإقليم، أرسلت إلى الاستراتيجيين و الديكابروتيين في الأقاليم السبعة و أرسينوى، وعندما تسلمها الاستراتيجوس أوريليوس هاربوكرايتون استراتيجوس إقليم أوكسيرينيخوس أرسلها بدوره إلى الديكابروتيين بالإقليم أيضا:

LL.1-2;

Αὐρήλιος ʽΑρποκρατίων στρατηγὸς ʼΟξ[υρυγχίτο]υ
δεκαπρώτ[οις τοῦ χαίρειν./ τῆς γραψεί-
σης ἐπιστολῆς εἰς κοινὸν ἡμῖν στρατη[γοῖς
καὶ δε]καπρώτοις τῆς [ʽΕπτανομίας καὶ ʼΑρσινο]ιτ[ο]ν.

ثم مضي الخطاب يبين ضرورة إصلاح الجسور وتطهير القنوات نظرا لإقتراب فيضان نهر النيل، وعلى ذلك عليهم تسخير الفلاحين للقيام بهذا العمل. وإلى جانب الضبط والاشراف الدقيق للإستراتيجوس والديكابروتيين، فإنه من الواجب إختيار وتعيين مشرفين تبعا لما لما هو معتاد من بين الموظفين أو الأفراد.

LL. 12-15,

ὅθεν δὶα φροντίδος ὑμίν τοίς στρτηγοῖς καί
τοῖς δεκαπρώτοις γενέ[σθω ἐπ]εῖξαι μὲν ἅπαν[
τας ἀντι/λαβέσθαι τῆς ἀναγκαιοτάτης ταύτης
ἐργασίας, αἱρεθῆναι δὲ τοὺς εἰωθότας εἰ[ς] τοῦτο
χειροτονεῖσθα[ι ἐπιμελη/τὰς ἐξ ἀρχόντων ἢ
καὶ ἰδιωτῶν τοὺς ἀναγκάσοντα ἑκάστους τὰ πρ-
οσήκοντα ἔργα αὐτοῖς σώμ[ασιν ἀπο/πληρῶ-
σαι κατὰ τὸν δοθέντα ὅρον ἐν τῇ τοῦ
ἀποτάκτου ἄνευ τιν[ὸ]ς ἀπεχθείας ἢ χάριτο[ς,

رابعا: تحصيل الضرائب على الأراضي سواء كانت عينية أو نقدية.

كان له فى هذا المجال دور كبير، وفى مقدمة ذلك تحصيله أو مشاركته فى تحصيل ضريبة الديموسيا. ففى البردية P.Fay.85 تولى الديكابروتيون تحصيل ٦٠ ٣/٤ إردبا من القمح، ومقدار آخر من الأرادب للديموسيا، وهى ما كانت تدفعه أراضي الدولة، ولذلك ذكر نفس الإيصال أن نفس الشخص دفع قيمة ضريبة الأراضي الكاتيكوية ثلاثة أرادب قمحا[(٢٨)]:

ἐμετρήθησαν ἐν θησ(αυρῷ) κώ(μης) Θεαδελφίας
ἀπὸ γενη(μάτων) γ (ἔτους) ὑπὲρ δημοσ[ί]ω(ν) αὐτῆς
ὀνόματος Πατερεῦτος ἀπάτορος μέτρῳ δημοσίῳ ξυστῷ
πυροῦ ἀρτάβας ἑξήκοντα ἥμισυ τέταρ-
τον, γ(ίνονται) (ἀρτάβαι) ξ (ἥμισυ τέταρτον), κριθ(ῆς)
(ἀρτάβαι) ς (ἥμισυ τέταρτον), καὶ ὑπὲρ κατοίκων
τῆς αὐτῆς πυροῦ ἀρτάβας τρεῖς,
γ(ίνονται) (ἀρτάβαι) γ.

ويتضح ذلك أيضا من إيصال آخر ورد فيه *ὑπὲρ δημοσίας* L.9;[(٢٩)]. وهو إيصال من قرية هيراكليديس. ووردت ثانية في إيصال آخر[(٣٠)]

بمقدار ٤/٣ ٣ إردب قمحا، و ١٢/١ ٣ إردب شعيرا وخمس دارخمات. والذي حرر هذا الإيصال هو "أوريليوس أجاثودايمون، كوسمتيز سابق، وعضو المجلس (سناتور)، وديكابروتوس الطوبارخية الثانية في قسم بوليمون":

L.1.

Αὐρή(λιος) ᾿Αγαθ[ὸς] Δαίμων κοσ(μητεύσας)
βουλ(ευτής) δεκάπ(ρωτος) β. Τοπαρχιας Πο(λέμ-
ωνος) μ(ερίδος)

وكذلك نجده يتسلم أمرا باستلام غلال من الشونة حتى يتم مقدار ٤٠٠ إردبا قمحا، وستين إردبا من الشعير و ٣٠٠ دارخمة (٣١). وحصلوا أيضا ضريبة الدرخمة، وضريبة الدرخمتين في إقليم أوكسيرينيخوس في الإيصال PO.XII.1442 (بتاريخ ٢٥٢ م) وكان إجمالي ما تم تحصيله ٣٦ دارخمة:

Β (ἔτους) τῶν κυρίων ἡμῶν Γάλλου καὶ Οὐολουσιανοῦ
Καισ[ά]ρων Σεβασῶν Φαρμοῦθι η. ᾿Ιβιῶνος Χῶσεως
ὑπ`ερ β (δραχμῶν) καὶ α (δραχμῆς) τοῦ αὐτοῦ β (ἔτους)
Αὐρηλὶα Μαξίμα ᾿Αμμω-
νίου [ἀσ]τὴ δραχ(μὰς) ἕξ, γ(ίνονται) (δρ.) λς. (2nd hand)
Α(ὐρήλιος) Τριάδελ(φος)
ὁ κ(αὶ) Σαραπίων γυμνασ(ιαρχήσας) κ(αὶ) ὡς χρημ(ατίζω)
δεκάπρωτ(ος) (δρ.) τριάκον-
τα ἓξ σεσημ(είωμαι). x x

ووردت هاتان الضريبتان في إيصال آخر يشار إليها بالاختصار ,B+ +a وحصلهما أيضا الديكابروتس، وقد تبع الضريبة +a الاسم ζεγματικων ، وقد يختصر هذا الاسم إلى ’ξευγ في نفس الإيصال (٣٢). أما ضريبة الدرخمتين فإنها ترتبط بالضريبة ἐπαρούριον التى كانت ضريبة منتظمة علي أراضي الكرم و البساتين(٣٣).

خامسا: كان علي الديكابروتيين إستلام الغلال (القمح و الشعير)، وتجميعها وإرسالها إلى الاسكندرية لشحنها إلى روما، وهو مايعرف بالأنونا Annona ، ولم يكن يستطيع الفلاح التصرف في محاصيله إلا بعد أن يتسلم الديكابروتس حق الدولة منه. ففي بردية لدينا نجد كومارخيين في قرية إزيون بانجا Ision Panga يتعهدان لاستراتيجون أوكسيرينيخوس بالمحافظة على المحاصيل في الأجران حتى يقوم كل فرد بسداد كامل ما عليه للدولة للد يكا بر وتس:

PO.X. 1255, LL. 6-11

ἐπειθεμένου σου ἡμῖν
ὥστε ἐν ἀρφαλεῖ ἔχειν τοὺς καρποὺς
ἐν ταῖς ἁλωνίαις ⟨ἐν⟩ τοῖς ἡμετέροις παιδίοις
ἄχρις ἂν πληρωθῶσι οἱ δεκάπρωτοι
τῶν ἑκάστου δημοσίων τελεσμάτων
ἐκ πλήρους,

وكذلك كان إهتمام أصحاب الإقطاعيات الخاصة، فنجد أن البيوس Alybius ، الذي يعتبر مدير إقطاعية إيبانوس Epianus يسأل هيرونينوس، فرونتستيس φροντιστης ثيادلفيا عن مقدار القمح المطلوب منه ليزنه للديكابروتس:

Π(αοα) Αλυπιου /
Αμα Τω δεξαδθια μου τα [γραμ-
ματα δηλωσον μοι πο[σας
αρταβας εμειρησας τοι[ς
δεχαπρωτοις υπερ μετρ[η-
ματων και ποσας

وفـى البرديـة P.Flor. 162 - تاريخـها غـير معـروف- نجـد رسالة من أليبوس مرسلة إلى هيرونينوس المذكور سابقا أن يدفع بقدر ما تسمح الأحوال ما عليه من واجبات إلى الديكابروتس

LL.1-5;

Π(αρα) Αλυπιου

Ει τι δυνασε των μετρη-
sic
ματων π[α]ραδος τω
δεχαπρωτω δια του
σου
σ[ι]τομετρου

وكان الديكابروتيون مسؤولين عن مخـازن الغـلال فـي ثيادلفيـا، ففـي P.Flor. 194 قـام إيرنـايوس Eirenaious وهـيرونينوس بتخزيـن بعض غلال الإقطاعية في شونة الدولة تحت إشراف الديكابروتيين.

كـان علـى الديكـابروتيين تجميـع مـا تـم تحصيلـه عنـد شـــخص يحفظه كوديعة، ويُجرى معه إتفاقا علـى ذلـك. ففـى البرديـة PO.XII. 3049 نجد عقد أجـرى بيـن ثلاثـة أشـخاص وديكـابروتس الطوبارخيـة الوسـطى فـى أوكسيرينيخوس (LL.B.1-10) حـول مقدار محـدد مـــن القمح من قرية نمـراى Nemerae ،وتعـهدوا بتسـليمهما إلـى أصحـاب المراكب المُكلفة بنقلها.

وكـان عليـهم إرسـال تقريـر إلـى الإسـتراتيجوس حـول مـدى تسديد الأفراد للغـلال وذلـك خـلال عـدد مـن الشـهور، ويكتـب التقريـر تفصيليا مع كل ما تـم تحصيلـه مـن كـل قريـة مـن القـرى. ففـي إحـدى البرديـات (٣٤) كتـب الديكـابروتس أوريليـوس هيراكليدس Aurelius Heraclides المسـمى أيضـا دينوسيوس، سـناتور فـي مجلـس مدينـة أوكسيرينيخوس وديكابروتس الطوبارخيـة الوسـطى إلـى استراتيجوس إقليم أوكسـيرينيخوس "القائمـة المفصلـة للقمـح المسـجلة المكيلـة والتـي وقعت عن طريقه من إنتاج العام السادس الجاري... كما يلي".

[16 letters] [στ]ρατ[ηγῷ Ὀξυρυγχίτου
[παρὰ Α]ὐρηλίου Ἡρακλείδου τοῦ κ[αὶ Δ]ιονυσί[ου βουλ(υτοῦ) τῆς
[Ὀξυρ]υγχειτῶν πόλεως δεκαπρώ[τ]ου μέσης[ς] τ[οπ(αρχίας). κατ᾽ ἄνδρα
[χειρ]ιστικοῦ πυροῦ μεμετρημένου καὶ διεσταλμένου δι᾽ [ἐμοῦ ἀπὸ
[γενή]μ(ατος) τοῦ ἐνεστ(ῶτος) ς (ἔτους) Μάρκων Ἰουλίων Φιλίππων Και[σάρων
[τῶν κυρίων Σεβαστῶν.
ἔστι δέ.

ثم كتب ما تم تحصيله من كل شخص والمكان الموجود فيه.

و بعد لذلك كـان عليـه أن يدفـع بمـا تـم تحصيلـه مـن غـلال إلـى الإسكندرية حتـى يتـم شـحنه إلـى رومـا، ففـي البرديـة PO.X. 1260 المؤرخة في ٢٨٦ م يكتب إلى استراتيجوس إقليم أوكسيرينيخوس مبلغـا إياه أنه تسلم "من أوريليـوس ديمـتريوس والملقـب بالديكـابروتس لجـزء من الطوبارخية ٧٥ إردبا جديدا، نقية، مغربلة من الشـعير تخـص قريـة هيراكليوم":

LL.6-12

παρέλαβον καὶ ἐν[ε]βαλόμην εἰς τὸ προκείμενον ἐκ γραμμάτων Οὐλπίου Κυρίλλου τοῦ διασημοτάτου καθολικοῦ παρὰ Α[α] ὐρηλίου Δημητριανοῦ(καὶ ὡς χρημα(τίζει) δεκαπ(ρώτου) μερῶν μέσης τοπ(αρχίας))κριθῆς νέας καθαρᾶς κεκ[οσ]κινευμένης (ἀρτάβας) οε, αἱ οὖσαι κώμης Ἡρακλείου,

كان عليهم أيضا مراقبة تحميل القمح و الشعير في المركب التـي سـتنقله إلـي الإسـكندرية، و ذلـك تبعـا لأوامـر والـي مصـر. فقـد أرسـل الوالـي تعليمات إلي استراتيجوس أوكسيرينيخوس لتحميل قدر معين من الغـلال في مركب حمولتها ٢٥٠٠ إردب، و أرسـل الإسـتراتيجوس بـدوره إلـي ديكبروتين الطوبارخية السفلي لينفذ ما طلبه الوالي:

PO.LIX, 3980 LL. 6-13

ἀκολούθως τοῖς γραφεῖσι ὑπὸ του κυρίου μου διασημοτ[άτου] καθολικοῦ Οὐαλερίου Εὐηθίου ''Εμβάλεσθε πλ[οῖ]ον δημόσιον ᾧ παράσημον Παναντίνοος ἀγωγῆς (ἀρταβῶν) 'βφ ὑπ[ὸ Ὁ]νωρατια[ν]ὸν ναύκληρον πυροῦ Καθαρωτάτου [καὶ] ἐκτὸς πάσης Φαυλότητος ταγχάνοντ[ος μέτρῳ] δημοσιῳ μετρόι τῇ κ[ελευσείοη ἀρ]ταβας.

فيبدو واضحا مسؤولية الدبكابروتيين فى تحصيل الغلال إلى جانب تجميعها ثم شحنها. ففى إحدى البرديات يبدو الكونتريون منزعج لوفاة ديكابروتس طوبارخية ثمُوسافوس Thmoisaphos فيرسل إلى الإستراتيجوس قائلا "بمجرد وصول رسالتى ارسل إلى ورثة أبوللونيوس ديكابروتس طوبارخية ثموسافوس، لكى لايحدث أى غش فى الشحن بسبب أى إهمال منك":

PO.I.62.LL4-11,

[ἐξα]υτῆς λαβών μου τὰ
[γρ]άμματα πέμψον
[ο]ὺς κληρονόμους Ἀπο[λ-
λωνίου τοῦ δεκαπρώτ[ο]υ
τῆς Θμοισαφῶς τοπαρχ(ίας).
ἵνα μὴ ἐκ σῆς ἀμε-
λείας ἐνέδρα περὶ τὴν
ἐμβολήν γένηται.

وكتب أنه أبلغ بذلك قائد الحراسة وبقية الديكابروتيين الآخرين، حتى يمكن شحنها بسرعة إلى أى مكان أريده:

LL.12-19;

ἔ-
πεμψα δὲ εἰς τοῦτο τὸν
στατιωνάριον ἀλλὰ
καὶ τοὺς λοιποὺς δεκα-
πρώτους ἵνα δυνη-
θῶμεν ὅθεν ἐὰν δέω
τὴν ἐμβολὴν ποιῆσαι
δὶα τάχους.
2nd. hand. ἐρρῶσι σε εὔχομαι.

هكذا تعددت أعمال الديكابروتس ولم يقتصر عمله على ما كان يقوم به أمناء الشون (السيتولوجين).

LL.6-12

παρέλαβον καὶ ἐν[ε]βαλόμην εἰς τὸ προκείμενον ἐκ γραμμάτων Οὐλπίου Κυρίλλου τοῦ διασημοτάτου καθολικοῦ παρὰ Α{ α } ὑρηλίου Δημητριανοῦ(καὶ ὡς χρημα(τίζει) δεκαπ(ρώτου) μερῶν μέσης τοπ(αρχίας))κριθῆς νέας καθαρᾶς κεκ[οσ]κινευμένης (ἀρτάβας) οε, αἱ οὖσαι κώμης Ἡρακλείου,

كان عليهم أيضا مراقبة تحميل القمح و الشعير في المركب التي ستنقله إلي الإسكندرية، و ذلك تبعا لأوامر والي مصر. فقد أرسل الوالي تعليمات إلي استراتيجوس أوكسيرينيخوس لتحميل قدر معين من الغلال في مركب حمولتها ٢٥٠٠ إردب، و أرسل الإستراتيجوس بدوره إلي ديكبروتين الطوبارخية السفلي لينفذ ما طلبه الوالي:

PO.LIX, 3980 LL. 6-13

ἀκολούθως τοῖς γραφεῖσι ὑπὸ του κυρίου μου διασημοτ[τάτου] καθολικοῦ Οὐαλερίου Εὐηθίου "Εμβάλεσθε πλ[οῖ]ον δημόσιον ᾧ παράσημον Παναντίνοος ἀγωγῆς (ἀρταβῶν) 'βφ ὑπ[ὸ Ὀ]νωρατια[ν]ὸν ναύκληρον πυροῦ Καθαρωτάτου [καὶ] ἐκτὸς πάσης Φαυλότητος ταγχάνοντ[ος μέτρῳ] δημοσιῳ μετρόι τῇ κ[ελευσείοῃ ἀρ]ταβας.

فيبدو واضحا مسؤولية الدبكابروتيين فى تحصيل الغلال إلى جانب تجميعها ثم شحنها. ففى إحدى البرديات يبدو الكونتريون منزعج لوفاة ديكابروتس طوبارخية ثمُوسافوس Thmoisaphos فيرسل إلى الإستراتيجوس قائلا "بمجرد وصول رسالتى ارسل إلى ورثة أبوللونيوس ديكابروتس طوبارخية ثموسافوس، لكى لايحدث أى غش فى الشحن بسبب أى إهمال منك":

PO.I.62.LL4-11,

[ἐξα]υτῆς λαβών μου τὰ
[γρ]άμματα πέμψον
[το]ὺς κληρονόμους Ἀπο[λ-
λωνίου τοῦ δεκαπρώτ[ο]υ
τῆς Θμοισαφῶς τοπαρχ(ίας).
ἵνα μὴ ἐκ σῆς ἀμε-
λείας ἐνέδρα περὶ τὴν
ἐμβολὴν γένηται.

وكتب أنه أبلغ بذلك قائد الحراسة وبقية الديكابروتيين الآخرين، حتى يمكن شحنها بسرعة إلى أى مكان أريده:

LL.12-19;

ἔ-
πεμψα δὲ εἰς τοῦτο τὸν
στατιωνάριον ἀλλὰ
καὶ τοὺς λοιποὺς δεκα-
πρώτους ἵνα δυνη-
θῶμεν ὅθεν ἐὰν δέω
τὴν ἐμβολὴν ποιῆσαι
δὶα τάχους.
2nd. hand. *ἐρρῶσι σε εὔχομαι.*

هكذا تعددت أعمال الديكابروتس ولم يقتصر عمله على ما كان يقوم به أمناء الشون (السيتولوجين).

الهوامش

(1) Turner, E.G. Egypt and the Roman Empire: The Dekaproti" JEA.22 (1936) pp.12-14, 18.
(2) Wilcken, GO. I.pp.626 ff.;Grundzüge, pp.217 ff., P. Jouguet, La Vie municipale dans L'Egypt romaine. Paris,1911. pp.366 ff, 389ff; Turner, op.cit pp.7f. PLond. III (pp.61f) 1157. Note5; PO.XII. 1410 intr. p.21.
(3) Jouguet, La Vie Municipale.p367 " or, a Supposer qu'il en fut ainsi ailleurs, On peut , Croyonsnous, affirmer qu'en Egypte Le role des *δεκάπρωτοι* etait tout different".
(4) Johnson, A.C. Roman Egypt in the third century. AAPap. 4 (1950) pp.151-158; Lewis, N and ReinHold, M.Roman Civilization. New York (1955) pp. 151-158.
(5) P.Lond.III.p.62: "The Sixth year to which the papyrus relates can , therefore , at least be that of the Same emperor (Severus Alexander).= AD. 226-227."
(6) Turner, OpCit. P.8 note.2
ويري نفتالي لويس أنهم ابتدأوا من عام ٢٤٤م، أي أن ذلك هو أقدم ظهور لهم في الوثائق معتمدا علي P.Leit.16 = SB.10208 و ذلك في:
Lewis, N. Inventory of Compulsory Services. ASP.3 (1968) p.21
و كذلك أنظر:
Larson, M.F. The officials of Karanis . (27B.C. – 337 AD.) A contribution to the study of local Government in Egypt under Roman Rule.
رسالة دكتوراه غير منشورة متشجان ١٩٥٤، صفحة ٥٩.
(7) Gelzer, M.Studien Zur byzantinischen Vertwaltung Agypten. (1909) p.57; Wichen, Grundzuge, pp.76-79, 228.

(٨) ورد ذكر آخر طوبارخية في
P.Grenf. II,78 = M.Chr.63; SB.I.5679 2-3
و أنظر:
Lewis, ICS. S.V *τοπάρχης* ; Thomas, JD. The, disappearence of the dekaprotoi (BASP.11,1970).

(٩) أول تاريخ للباجوس ورد في:
P.Cairo Isidor. 125.1 (6 Aug 308 AD.) Boak, Mel . Maspero 2 (1934)
(10) Gelzer, op.cit. p.43: " mit der neuen Payrusordnung verschwanden sie [the dekaprotoi also wohl." ; Jones, E.g. H.M. Cities of the Eastern Provices. 2nd edition (1971) p.337; Thomas, op.cit. p.61.

(11) Oerel, Die Liturgie. (1917) pp.301-2 ; J.Lallemand, L'administration Civil de L'Egypte de L'avenement de Dicolatien a La Creation du diocese. (1964) pp.131-134; Thomas , op.cit. p.61.
(12) Thomas, op.cit. pp.62-68.
(13) W.Chr. 230.
(١٤) O.Mich. I.498-499, و أنظر Thomas, pp.63-64
(١٥) O.Mich I.501, II. 923 و أنظر Turner, op.cit p.8.n.5
(16) Thomas op.cit p. 63 note 22
(17) Thomas, op.cit. p.65
(18) Idem, p.66.
(19) Idem.
(20) P.Leit 16; P.Flor.214, 231, 194; PO.XII. 1507; PTebt. 268; PO.XII.1409; PO.X.1260, 1255, 1271; PO.162; P.panop Beaty I, II; PFLor. 162, P.Strasb. 11; Plips. 84; PO.LIX. 3980; P.Thead. 18 ; PO.XL11.3050.
(21) P.Fay.85.
(22) P.Lips 83; PSI. 26; PThead. 27; PFay. 0.23; PFLor. 257.
(٢٣) كان واحد في P.Tebt.II 368, 581 ؛ و إثنين في PThead. 27
BGU. 1611; P.S.I. 26 ؛ و ثلاثا في P.Fior.7 ؛ و أربعة في PFay
85. و تم ذكر واحد فقط و جماعته في O.Mich.76, 454

(٢٤) أنظر: P.O.XII.1410 intr.; Turner, op.cit. p.9, Oerel.
Liturgia, p.211 و قد ظهر توليها لمدة عام في PSI. 807 ، و أربعة في
PO.X. 1257 ؛ و خمسة في BGU. 574=W.Chr.279;PTebt.581,
BASP. 15 (1978) pp.185-189.
(25) PO.XXII. 2343, IX. 1204.
(26) PO.XLII. 3049, intr. p126; PThead. 26 note 2; Wilchen, GO.I. 628; ALY, Z.Essays and Papers, (Athen, 1955). pp.48-50; Larson, op.cit in note 5, pp. 58-59; El Mosallamy, A.H.S. A Study in Sitologia in Roman Egypt.
مجلة كلية الآداب، الجامعة الليبية – العدد السابع (١٩٧٥) ص ٥٥.
(27) LL.26-31.
(28) Wallace, Taxation, p. 233.
(29) PSI. 26.
(30) P.Fay. 023.
(31) P.Flor. 231 and O.Mich.I. 448-499, III 1076.
(32) P.Lond. III pp.61-63 note. I.6, II, 14, 21, 31, 32.
و حصلوا أيضا φορων ὑπ`ερ في Plips. 83 و كذلك أيضا: ὑπέρ
γεννημάτων في P.Thead. 26
(33) PO.XII. intr. p. 110 and see PO.XII. 1436 note 10.
(34) PO.XII. 1444. And see, PO.XII. 1527.

All Correspondence to be directed to :
Editor - in Chief : Prof. Hamid Zayyan
Cairo University, Faculty of Arts,
Orman, Giza, **A. R. E**

رقم الإيداع : ٨٨/٧١٣٧

الترقيم الدولى ٩ - ٠٢٦ - ٢٣٨ - ٩٧٧

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN HISTORY & CIVILIZATION

A BIANNUAL PUBLICATION OF THE DEPARTMENT OF HISTORY

Volume 23 (January 2000)

22 al-Mu'arrikh al-Misri

المؤرخ المصرى

دراسات وبحوث فى التاريخ والحضارة



...صدرها قسم التاريخ
...لية الآداب جامعة القاهرة
...د الثالث والعشرون يناير ٢٠٠٠

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة

العدد
الثالث والعشرون
يناير ٢٠٠٠

محتوى العدد